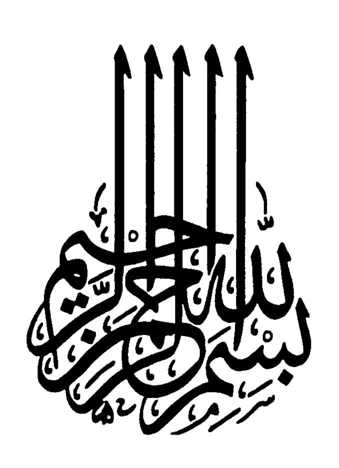
الطفولة والثقافة والمجتمع

دكتور
محمد سعيد فرح
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة طنطا

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه



الاهـــــداء

الى جيـل طفـلى عـزة وأحمـد

الى جيـــل أكتــوبر ١٩٧٣

أهـــــدى

هـذا الكتاب مع أمنية بمستقبل أفضل من حاضرنا

مقـــدمة

يبلغ نسبة الاطفال فى العالم ٣٦ ٪ من عدد السكان ٠ وتنال هذه الفئـــة العمرية الصغيرة السن ، الكبيرة الحجم اهتمام المشرعين والاطباء وعلماء النفس والاجتماع ورجال التنميـــة الاقتصادية والاجتماعية ٠ ولذا كان الغرض الاساسى لهذا الكتاب الذى كتب فى عام ١٩٧٩ بمناسبة العام الدولى للطفل ، أن يبين أن دراسة الاطفال ليست ترفا ، بل خطوة أساسية وضرورية لتحقيق المزيد من الرفاهية والتخطيط لمستقبل أفضل ، هو ملك لهم ٠

والطفل ليس موضع اهتمام الجهود الفردية للباحثين والعلماء وحدهم ، بل موضع اهتمام جميع الهيئات سواء على المستوى القومى أو على المستوى الدولى ٠٠

ولقد صدر عن هيئة الامم المتحدة الاعلان العالمى لحقوق اطفل فى هـــذا العالم وقد تضمن هذا الاعلان العالمى مبادىء عشرة :

١ – يتمتع الطفل بكل الحقوق المذكورة فى هذا الاعلان ٠ ويمنح هذه الحقوق كل الاطفال دون أى استثناء أو تفـــرقة أو تمييز ٠ بسبب الجنس أو اللون أو النوع أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو غيره أو الاصـــل القومى أو الاجتماعى أو الملكية أو المولد أو أية حالة أخرى له أو لاسرته ٠

٢ – يتمتع الطفل بحماية خاصة ، ويمنح عن طـــــريق القانون وغيره من الوسائل الفرص والتسهيلات التى تتيح له أن ينمو جسميا وعقليا وخلقيا وروحيا واجتماعيا نموا صحيحا وسويا ٠٠ وفى ظل الحرية والكرامة ٠ ويراعى عند سن القوانين اللازمة لهذا الغرض أن يكون لأفضل مصالح الطفل أكبر الاعتبار ٠

٣ – للطفل عند مولده الحق فى اسم وجنسية ٠

٤ - يتمتع الطفل بمزايا الآمن الاجتماعى • وله الحق فى أن ينمو ويشب فى صحة جيدة ويجب من أجل هذا أن يحاط هو وأمه برعاية وحماية خاصتين بما فى ذلك الرعاية المناسبة قبل الولادة وبعدها • وللطفل الحق فيما يناسبه من غذاء ومسكن وتسلية وخدمات طبية •

٥ - يعطى الطفل المعوق جسميا أو عقليا أو اجتماعيا المعالجة والتربية والرعاية اللازمة تبعا لحالتة الخاصة •

٦ - يحتاج الطفل من أجل نمو شخصيته نموا كاملا متناسقا الى الفهم ، ويجب كلما أمكن أن ينمو فى رعاية وتحت مسئولية أبوية ، وعلى أية حالة فى جو من العطف والامن المعنوى والمادى ، ولا يجوز فيما عدا الحالات الاستثنائية أن يفصل طفل صغير عن أمه • ومن واجب المجتمع والسلطات العامة أن تشمل بالرعاية الخاصة الاطفال الذين لا أسرة لهم ، والاطفال الذين لا يملكون موارد كافية للمعيشة • ومن المرغوب فيه أن تنفق الدولة وتبذل المعونات اللازمة لاعالة الاطفال فى الاسر العديدة الافراد •

٧ - منحق الطفل أنيلقى تعليما مجانيا واجباريا علىالاقل فىالمراحل الاولى ، ويجب أن يعطى تعليما أرقى يرقى بثقافته العامة ، ويساعده على أساس من الفرص المتكافئة أن ينمى قدراته ومداركه واحساسه بالمسئولية الادبية والاجتماعية ، ويصبح عضوا نافعا فى المجتمع • ويجب أن يستهدف المسئولون عن تعليم الطفل وارشاده تحقيق أفضل مصالح الطفل • وتقع هذه المسئولية أول كل شىء على كاهل أبويه •

ويجب أن يتاح للطفل الفرصة الكاملة للعب والتسلية الذين يجب أن يوجها الى نفس الاغراض التى يحققها التعليم • وعلى المجتمع والسلطات العامة أن تعمل جاهدة على تعزيز استمتاع الطفل بهذ الحق •

٨ - يجب أن يكون الطفل فى جميع الظروف أول من يتلقى الحماية والمعونة

٩ - يجب حماية الطفل من كل أشكال الاهمال والقسوة والاستغلال ، ولا يجوز أن يكون موضوعا للمتاجرة بأى شكل من أشكالها ، ولا يجوز السماح

بتشغيله قبل أن يبلغ حداً أدنى من العمر ولا يجوز بأية حـال السماح له أن يتولى عملا أو وظيفة تضر بصحته أو تعليمه أو تعيق نموه الجسمى أو العقلى أو الخلقى ٠

١٠ - يجب حماية الطفل من ممارسة الاعمال التى من شانها أن تعـزز التمييز العنصرى أو الدينى أو سـائر انواع التمييز ٠ ويجب أن يربى بروح التفاهم والتسامح والصداقة بين الناس ، والسلام والاخوة الشـاملة والادراك التام بأن يكرس طاقته ومواهبه لخدمة أقرانه ٠

واذا ما تساءلنا هل وضعت خطة قومية لرعاية الطفـل المصرى ؟٠٠ فان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب ، ذلك لأنه قد وضعت عناصر سياسـية قومية لرعاية الطفل فى المجتمع المصرى سواء أكان هذا الطفل سويا أو شاذا وقد وضعت هـذه الخطـة عـلى مرحلتـين ٠٠ خطـة طويلـة المـدى وخطـة عاجلة، وتدور هذه السياسة حول ثلاثة محاور رئيسية هى :

أولا : الرعاية الصحية للطفل وأمه قبل وبعد ولادته حتى ينشـأ الطفل نشأة سليمة ٠

ثانيا : الرعاية الاجتماعية ٠٠ وتهدف هذه الخطة الى الاهتمام بانشاء دور الحضانة ، وتوفير مديرات ومشرفات لهذه الدور على مستوى لائق ومنـاسب من التعليم والثقافة ٠

ثالثا : الرعاية التعليمية ٠٠ وترمى الى التوسـع فى التعليم الابتـدائى وتوعية المواطنين لارسال أطفالهم الى المدرسة وخاصة البنات ، والتوسع فى مدارس الفصل الواحد فى النجوع والكفور ، والعمل على الحد من التسرب من المدرسة الابتـدائية ٠

ورغم أن هذه السياسة القومية لا زالت محل تفكير المسئولين ، ورغم أننـا بعيدون كل البعد على الدراسات الخاصة بوضع خطة قومية تسمح للطفل دخـول

الجنة من أوسع أبوابها فخورا مزهوا ، كما يقول الدكتور **مصـــطفى الديوانى** فى عدد الاهرام الصادر فى ١٩٧٨/٨/٤ ، فاننـا نـرى بحكم تخصصنا أن الخطة القومية لرعاية الطفل المصرى ، تفتقد الرؤية الاجتماعية ، كمـــا أغفلت تماما ضرورة تقويم أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل المصرى ، لدعـم أساليب التنشئة الصالحة ، ونبذ أساليب التنشئة الاجتماعية التى لا تساير أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ٠

ومن هذه الرؤية أعددنا هذا الكتاب لتوضيح جهود بعض الذين درســـوا سلوك الطفل ، ولنبين ضرورة فهم سلوكه ، مقتدين فى ذلك بالمنهـج العلمى فى الدراسة من أجل التخلص من الشوائب والرواسب التـى تعـوق الطفل من النمـو الاجتماعى والنفسى ، وتأمين حياته فى عصر يحكمه التفكير العلمى ، ومن أجـل اشباع حاجاته العضوية والنفسية والتعليمية ولاجتماعية ٠

الاسكندرية ـ سان استفانو ـ فبراير ١٩٨٠

الفصل الأول

الطفل ومكانته في المجتمع

١ ـ الطفل قيمة انسانية ٠

٢ ـ معنى الطفولة وأهمية دراسة الطفل ٠

٣ ـ عملية التنشئة الاجتماعية عملية متغيرة٠ نماذج لدراسات مقارنة ٠

٤ ـ الاتجاهات العامة في دراسة الطفل ٠

الطفل والثقافة والمجتمع

١ ـ الطفل قيمة انسانية :

قد يندهش القارىء المتردد على المكتبات من العدد الكبير من الكتابات والمقالات الانطباعية التى تدور حول الطفل ، ولكن دهشته هذه ستزداد من ندرة الابحاث العلمية التى تتناول هذا الموضوع . ولا غرابة فى ذلك . ففترة الطفولة تنال فى الآونة الاخيرة اهتمام الاطباء وعلماء التغذية ومخططى المدن والمشرعين وأخصائى التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلماء النفس والاجتماع والانثربولوجيا والتربية والمفكرين والادباء والسياسيين . بل ان هيئة الامم المتحدة حددت عام ١٩٧٩ بعام الطفل ، ولم يترك الصحفيون الفرصة فأدلوا بدلوهم فى هذا الموضوع. وكل فريق من هؤلاء يحاول أن يفهم الطفل وتحقيق التوافق بين حاجاته والابنية الاجتماعية . ولا عجب أن ينال الطفل هذا الاهتمام اذ يبلغ عدد أطفال العالم الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر عاما ٣٦ ٪ من عدد سكان العالم . وتهبط هذه النسبة الى ٢٧٪ فى أمريكا الشمالية ودول أوروبا ، وترتفع الى ٤٢٪ فى دول أمريكا الجنوبية ثم تصعد الى ٤٤٪ فى دول أفريقيا وآسيا (١) . بيد أن الامر الملفت للنظر والذى يدعو الى الدهشة حقا هو ضآلة عدد الابحاث التى أعدها المتخصصون والاخصائيون عن فترة الطفولة .

وهذا الاهتمام بالطفل والطفولة من الباحثين والمفكرين يبشرنا بأمل فى تقدم حقيقى لتحقيق مزيد من الرفاهية ، ولكننا اذا كنا نبغى الاصلاح والتغيير لصالح الطفل فلا يكفى أن يوجه النقد لاساليب التربية والتنشئة . ومدى كفاءة ونوعية الخدمات التى توفر للاطفال ، أو تقييم وضع الطفل فى المجتمع ، بل يتعين علينا أن نضع أيدينا على عناصر التقدم التى تنسج هذا المجتمع ومواضع

---

(1) The population Reference Bureau: World population Growth and Response. 1965 - 1975. a decade of global action. washington 1976.

التخلف التى تعوق العناصر البنائيـة عـن أن تشبع حاجـات الاطفـال وتحقق مطالبهم (١) ٠

حقا سنستفيد الكثير لو أعطينا قدرا من الاهتمام لمجتمع الاطفـال ، حيث تدرس مظاهر الحياة الاسرية وارتباطها بسلوك الطفل ، ومكانته فى المجتمع ثم نتقصى مدى توفر الخدمات التى تشبع حاجاته العضوية والنفسية والاجتماعية ، لان دراسة الطفل ليست وقتا ضائعا ، أو مجهودا مبددا ٠ كما أنها ليست نوعا من الرفاهية ٠ بل تعتبر عملا ضروريا ومجديا ومثمرا ٠ فمن ناحية تساهم المعرفة العلمية لسلوك الاطفال ، وكيفية نموهم فى تحسين مستوى الانسان وتساعد على تقدمه ٠ ومن ناحية يعتبر الفهم الواضح السليم للطفل الخطوة الاولى فى تكوين نظرية واضحة عن السلوك الانسانى (٢) ٠

الا أن الدراسات التى تهتم بالطفل ، لا تسير على أرض معبدة ، فهى تواجه مشكلات عديدة تتطلب مزيدا من البحث والاستقصاء ابتداء مـن النمو الجسدى والنفسى والاجتماعى للطفل ، مرورا باكتسابه المفردات اللغوية وانتهـاء بنمو اتجاهاته الاجتماعية والسياسية ٠ والمهتم بالطفولة كما يدرس الاطفال فى البيئة السوية لا يستطيع أن يتجاهل ما تفرخه لنا البيوت المفككة من مشكلات ، ولا أن يغمض عينيـه عـن الآثـار التـى تترتب عـلى انصراف الوالديـن وانشغالهما عن تنشئة أولادهمـا ، أو اغفـال توجيههـم التوجيـه السليـم ، كمـا لا يستطيع أن يتغاضـى عـن النتائـج التـى تنجـم عن التفكـك الاسرى ٠ فقـد بينت بعض الدراسات أن الاستقرار الاسرى فى طور الرشد يعتمد الى حد كبير عـلى أنماط

---

(1) De Lauwe Chombart : Child Representation in Contemporary Franch Urban Society. Danzigerd,k (ed). Reading in Child Socialization. Oxford. Pergamon Press. 1970 P 267.

(2) Baldwin Alfred : The study of child Behavior and developemnet. In Paul Henry Mussen (ed). Handbook of Ressearch Methods in child developemnet. New Delhi. Wiley Eastum Print 1970. PP 3-4.

التوافق والتكيف التى تتكون فى طور الطفولة · كما أوضحت دراسات أخرى أهمية التدريب على تنمية السلوك الحركى والتفكير المجرد المناسب باعتبارهما أمرين مطلوبين فى عصر التكنولوجيا ·

ونحن اذ نهتم بدراسة الاطفال · سواء الاسوياء منهم أم المنحرفين ، فاننا نؤكد أن العلوم السلوكية تعطى الظواهر السوية نفس القدر من الاهتمام الذى تعطيه للظواهر الانحرافية ، كما أنها تدرس مجتمع الكبار مثلما تدرس مجتمع الصغار ، كما تؤكد هذه الدراسات المساهمات التى لا حد لها والتى يمكن أن تقدمها لنا دراسة الطفولة لتحقيق مزيد من الرفاهية الانسانية ·

ومن المهم أن نحدد ما قلناه منذ البداية من أن دراسة طور الطفولة واعطاء مزيد من الاهتمام لدراسة الاطفال ليس ترفا علميا · بل ثمة فوائد علمية وعملية ونظرية تعود على الانسانية جمعاء من نتائج هذه الدراسات التى توجه نحو الاهتمام بالاطفال ، فاذا ما ألقينا نظرة على تاريخ علم نفس الطفل ، والدراسات التى قام بها التربويون والانثربولوجيون والاجتماعيون ، لتبين لنا أن الغرض الاساسى لهذه الدراسات هو التعرف على احتياجات فئات الاعمار المختلفة فى المجتمع ، وتحقيق مزيد من الرخاء للانسان ، ومحاولة فهم الطفل باعتباره عنصرا أساسيا فى تكوين بناء المجتمع بل محور عملية التفاعل الاجتماعى ·

وقد درج المجتمع الانسانى على التفرقة بين فئات الاعمار المختلفة داخل النسق القرابى ، وداخل دور التعليم المختلفة ، وخلال المشاركة الجمعية ، كما يميز بين فئات السن داخل النسق المهنى · ورغم أن حدود السن ليست جامدة ، بل أنها تقريبية الى حد ما ، فان ذلك لا يقلل من أهميتها البنائية ، وأول مركز يشغله الشخص العادى فى البناء الاجتماعى هو مركز الابن الطفل فى نسق الاسرة ، ويحدد المجتمع لهؤلاء الابناء الاطفال حقوقهم وامتيازاتهم وواجباتهم كما أنهم يتميزون بألعابهم المفضلة ، وطرقهم الخاصة فى التعامل مع الآخرين (١) ، ولهم

(1) Parsons. T : Age & Sex in the Social Structure of the United State, In Essays in Sociological Theory. Revised edition. N. Y., The Free Press 1964. PP. 89 - 103.

أغانيهم وحكاياتهم وقصصهم ونوادرهم بل وأمراضهم • ورغم أن المجتمع حدد بوضوح ملامح مجتمع الاطفال على هذا النحو الا أن المسئولية ليست من السمات التى يتميز بها عالم الاطفال ، اذ يتميزون بعدم المسئولية والاعتماد على الكبار وعدم الاكتراث بالنظام ، لكنهم ينفردون بالتعاون غير الفرضى بينهم • ومن الحقوق التى حددها المجتمع للاطفال حديثا ، القوانين التى تلزم بتعليمهم والقوانين التى تحرم تشغيلهم قبل سن معينة والتى لا تسمح لهم بالدخول فى أماكن العمل ، وحتى اذا سمح لهم بالعمل ، فقد حدد المشرع عدد ساعات تشغيلهم والفترة التى يعملون فيها (١) •

وحقوق الاطفال ، والامتيازاتهم قبل أن يقننها المشرع ، كفلتها الاديان السماوية التى أصبغت عليهم الكثير من الصفات والخصائص ، فالقرآن مملوء بالآيات البينات التى تحدد مكانة الاطفال والاولاد وأهميتهم •

« اذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا » (سورة النور آية رقم ٥٩) ،
« وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد » (سورة الحديد آية رقم ٣٠) ،
« وكانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا » (سورة التوبة آية رقم ٦٩) ،
« وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف »
(سور البقرة آية رقم ٢٣٣) ،
« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (سورة الانعام آية رقم ٦) ،

والامثال العامية تبدى ما لفترة الطفولة من أهمية ، وتظهر أهمية الطفل ودور المسئولين عن تنشئته (٢) ، وتضم أمثالنا العامية العربية العديد من الاقوال التى تبرز أهمية الطفل وتؤكد مكانته فى المجتمع (٣) ومن هذه الامثلة :

---

١ - أنظر الباب الثالث عن تشغيل الاحداث من قانون عقد العمل المصرى•ص ٦٢ وما بعدها ، « التشريعات العمالية والتأمينات الاجتماعية » • القاهرة دار الفكر الحديث ١٩٧٧ •

(2) Inkles Alex. : Society, Social structure, and child socialiaztion In John Clausin (ed) socialization and society. Fifth Printing Boston. Little, Brown Company. 1968, p. 95.

٣ - أنظر : أحمد تيمور : الامثال العامية • الطبعة الثالثة ولجنة نشر المؤلفات التيمورية ١٩٧٠ •

قنديل البقلى : وحدة الامثال العامية فى البلاد العربية ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ •

« اللى خلف ما ماتش » ويبرز هذا المثل العامى تجدد الحياة والانجاب وأهمية الابناء فى الارض والعدل والميراث والعصبية الاجتماعية ، ثم مثل « ابنك اللى من صلبك » أو « ادى ابنك لى له أولاد » ، وهناك أمثال كثيرة تؤكد أهمية التأديب والحزم فى التربية مثل « أدب ابنك صغير تفرح به كبير » ، « وربى ابنك واحسن أدبه ما يموت الا لما يفرغ أجله » « ان كبر ابنك خاويه » « وابنك على ما تربيه » ، « ابنك فضله فى الاكل والكسوة ، واضربه للتربية والنشوة » ، « وابنك وهو صغير ربيه ولما يكبر خاويه » ، « جناح الشخص أولاده » « خذوا فالكم من أولادكم » ، « الصغار أحباب الله » ، « قلبى على ولدى انفطر »، « يا مربى فى غير ولدك يا بانى فى غير ملكك » ، « اكسر للبنت ضلع يطلع لها اثنين » ، « البنات مربطهم خالى » وتلقى أمثالنا العامية المسئولية الاولى للتربية على عاتق الاب ولكنها لا تغفل دور الام ، وقالوا فى الامثال « اللى من غير أب يلطف به الرب » ، « واللى ما تعلموش أمه وأبوه تعلمه الايام والليالى » .

وتؤكد لنا كل هذه الامثال العامية وغيرها مكانة الاولاد والاطفال فى المجتمع وطريقة تنشئتهم ، ودور الاسرة فى عملية التنشئة ، كما تعتبر أصدق تعبير فى ضرورة قيام الاسرة بتوجيه الطفل وتاديبه .

معنى الطفولة وأهمية دراسة الطفل :

من الاهمية أن نعرض لمعنى الطفولة ، وأهمية دراسة الطفل باعتبار أن مرحلة الطفولة مرحلة أساسية وهامة من مراحل النمو ، ففترة الطفولة هى المرحلة الاولى من مراحل تكوين ونمو الشخصية . تبدأ من الميلاد حتى بداية طور البلوغ. وقد اختلف العلماء السلوكيون فى تحديد الدعامة التى يستند عليها تصنيف مراحل النمو ، فمنهم من أشار الى أن عملية نمو الشخصية عملية نفسية توضع دعامتها فى فترة الطفولة . ويرتبط كل طور بمواضع جسدية معينة . تتغير كلما كبر الشخص . وهناك فريق من الباحثين حدد طور الطفولة على أساس العمر الزمنى . وأنكر أن هذا الطور يقوم على مواضع جسدية . ومن أشهر هؤلاء عالم النفس جوردن البورت الذى قدم تخطيطا لطور الطفولة يقوم على التقسيم الزمنى لمراحل النضج الجسمى والنفسى ، وطبيعة التجارب التى يمر بها الطفل فى كل

مرحلة • أما الفريق الثالث وهو فريق الاجتماعيين فقد حدد فترة الطفولة استنادا على نوع العلاقات المتبادلة بين الطفل والآخرين المهتمين به والذين يتفاعل معهم ، ويتزعم هذا الفريق الثالث تاكلوت بارسونز الذى بين أن الانتقال من طورالطفولة الىطور الرشد أشبه بتطور المجتمعات من مرحلة البساطة والبدائيةالىمرحلةالتعقد والتراكم والتماسك العضوى ، أى تحول علاقات الشخص مع الموضوعات الاجتماعية من البساطة الى التعقيد كلما كبر واتسعت علاقاته •

وكما اختلف هؤلاء العلماء فى تحديد الدعامة التى تقوم عليها فترة الطفولة وهل هى جسدية أم نفسية أم اجتماعية • اختلفوا أيضا فى تحديد الفترة الهامة فى حياة الطفل والاشد أثرا ، أهى السنوات الخمس الاولى التى تبدأ من الميلاد كما يرى فرويد أم أن طور الطفولة المتأخر الذى يبدأ من السادسة حتى البلوغ ، هو الطور الاهم ، حيث الفرصة أكثر موائمة لادماج العناصر الاجتماعية فى شخصية الطفل ، كذلك اختلف هؤلاء العلماء فى تحديد الشخص المهم فى حياة الطفل ، أهو الام أم الاب أم المدرس ؟ وقد أوضح فرويد أن الام تلعب دورا هاما حتى السنة الثالثة فى حياة الطفل وهذه العلاقة أساس الاستقرار النفسى ، وهى التى تؤدى الى تخفيف حدة التوترات والاحباطات التى يعانى منها الطفل • أو الى اشتعالها وظهور الاعراض المرضية • ولكن الاب يصبح أكثر أهمية فى الطور الاوديبى عند الابن الذكر (أى من الثالثة الى الخامسة) حيث تعتبر الام أكثر أهمية بالنسبة للابنة حينئذ ، وذلك عند بدأ تكوين الضمير (*) ، حيث يتوحد كل طفل بوالده من نفس الجنس • ويرى فرويد أن التوحد له دور كبير فى تكوين الشخصية • وهو دعامة الاستقرار

(*) يتكون الضمير عادة كحل عادل لعقدة أوديب ، بمعنى حب الطفل الذكر لامه وغيرته من أبيه التى يعانى منها الطفل أو حلا لعقدة الكترا - بمعنى حب الابنة لابيها واعتباره مثلا أعلى ، وغيرتها من أمها - التى تعانى منها الابنة فى هذا السن ، ويؤكد فرويد أن تكون الضمير الخلقى يرتبط بحل هذه العقدة • بل أنه ميراث هذه العقدة ، ويمثل هذا الضمير التصور الاخلاقى عن هذا العالم •

النفسى للشخص ، وهو تعبير عن عملية نفسية تحمل عاطفة الحب نحو الوالد من الجنس الآخر والكراهية المشوبة بالغيرة للوالد من نفس الجنس • وفى مرحلة تكوين الضمير يتخذ الطفل الذكر أباه مثالا أعلى ، ويرتبط به ، ويتوحد معه حلا للصراع الاوديبى فعندما يتكون الضمير يتوحد الطفل بالقيم والمعايير الاخلاقية التى يقتدى بها الوالد من نفس جنسه أى يتحد مع القيم الدينية والاخلاقية والجمالية والشعور الجمعى السائد والنواهى التى تلزم الشخص بأداء سلوك معين ، ولعل أخطر ما قدمه فرويد فى هذا الصدد هو قوله أن عملية تكوين الضمير عند الطفل تعنى بداية الخوف الحقيقى من سلطة المجتمع •

وترى روز لوب كوزر أن الام فى علاقاتها بأبنهاأكبر عامل فى تماسك شخصيته ، أو اضطرابها ، فالطفل يعتمد على أمه منذ ميلاده اعتمادا كليا طوال السنوات الاولى لاشباع حاجاته ، وازالة التوترات التى تنشأ عن الجوع وعدم النظافة ، ولكن وظيفة الام لا تقتصر على الانجاب أو تقديم الطعام وحده فهى تمنح الابناء شيئا أهم من الطعام • فهى تمنحهم الحب والطاقة النفسية اللازمين للاندماج فى الجماعة • وهذا الحب الذى تضفيه الام على ابنها ويشعر به شرط أساسى لقبوله المعايير السائدة أو انماط السلوك الاجتماعى المتفق عليها ، وتضفى الام على ابنها أثناء اهتمامها باشباع حاجاته أو تدريبه على أداء أنماط السلوك الاجتماعى والنظام الكثير من أشكال الحب ، فيغير من حاجاته البيولوجية الفطرية الى حاجات اجتماعية وليتمكن من الانتماء الى الجماعة اذ أن الطفل يدرك بحدسه أنه لا منقذ له من الهلاك الا الحب المتبادل بينه وبين أمه وتفاعله معها ، فالام هى مصدر الاشباع النفسى والطمأنينة وهى الدافع الى تحصيل الانماط الاجتماعية والثقافية والتوحد مع قيم الجماعة (١) •

وقد أكد بارسونز هذا الاتجاه ، ورأى أن الام تتحمل مسؤلية التنشئة الى من الثالثة ، ومنذ الثالثة حتى الخامسة تتحمل الاسرة كلها كنسق اجتماعى

---

(1) Coser, R, Laub : Role Distance, Sociological Ambivalence and transitional status system. A. J. of sociology. Vol 72 No. 2. 1966. pp. 173 - 187.

المسئولية الكاملة للتنشئة الاجتماعية للصغير (١) • وقد أكد هارى ستاك سيلفيان هذا الاتجاه الذى يبرز المسؤلية الاجتماعية للام وأكد دور العاطفة والانفعالات المتبادلة بين الطفل والام فى تحصيل الانماط الثقافية ، وتبدأ المسئولية الاجتماعية للام ابتداء من طور الرضاعة ، وقد أعطى سيلفيان الرضاعة تفسيرا اجتماعيا • وبين أن الثدى له دلاله فى اكتساب الرضيع بعض الانماط الثقافيــة ، كما أن التفاعل بين الرضيع وأمه له أثره فى تكوين الشخصية القلقة أو الشخصية المطمئنة، وأشار الى أن التكامل بين الطفل والام فى المواقف المختلفة هو محصلة عملية تفاعل مستمر متبادل بينهما ، كل منهما يؤثر فى الآخر ويتفاعل معه (٢) •

ويتعلم الطفل فى مواقف التفاعل مع الام وأثناء تبادل العلاقات معها أن يتخذ لنفسه دورا فى الحياة ، وأن يندمج مع أعضاء أسرته وأن يفعل شيئا ، وأن يمتثل لمــا يلقن له ، وأن يلتزم بقبول الواجبات والمسؤليات ، ويرى سيلفيان أن البذور الاولى للشخصية ، واتجاهات الشخص ، وقيمه ازاء السلطة انما توضع أثناء طور الطفولة ، وتحدد علاقات الطفل بأمه هذه القيم والاتجاهــات وكــل العناصر الاجتماعية التى تكون شخصية الطفل •

أما دوركيم فقد رفض مسؤلية الاسرة فى التربية الاجتماعية• اذ أن العلاقات الاسرية لاتقوم على العاطفة وحدها،وهى ـأىالاسرةـ عاجزة عنأنتكون أداة صالحة لاعداد الطفل لاداء واجبه كمواطن وعضو فى المجتمع • وقد أبرز دوركيم دور المدرس والمدرسة فى تكوين البيئة الاجتماعية الصالحة لدمج النظــام والعناصر العقلية فى شخصية الطفل ، وهو بذلك يسقط تأثير السنوات الخمس الاولى من عمر الطفل فى تكوين الجانب الاجتماعى من الشخصية ، ويؤكد على أهمية فترة

---

(1) Parsons : Social structure and personality : 2 ed printing. N. Y : Free Press. 1965.

(2) Sullivan, H. S. : The conception of Modern psychiatry. London, Tavistock puplication. 1955 - sulliven H. S. : Interpersonel theory of psychiatry N. Y. Norton & Com. 1953.

الطفولة المتأخرة ، والتى تبدأ منذ التحاق الطفل بالمدرسة (*) والمدرس ، ـ وهو أشبه برجل الدين ـ هو الذى يغرس المبادىء العقلية فــى شخصية الطفل وهو الذى يعوده على النظام ، ومن رأيه أن المدرسة هى المكان الملائم لتعويد الطفل على المبادىء العقلية والاخلاقية ٠ اذ يسمح العمر العقلى للطفل بذلك. وهى المسئولــة عن المحافظة على الطابع القومى للشخصية ، والتربيــة المدرسيــة تخضع أساســا لمبادىء العقل وتعبر عن قهر الجماعة لسلوك الشخص (١) ٠

ويرى كلوزين أن عالم الطفولة يبدأ من الاسرة (٢) ٠ ثم يتسع هذا العالم بعد ذلك ليضم عالم الرفاق وزملاء المدرسة ، ويعمل الوالدان عادة لصالح الطفل ، وهما يستجيبان عادة للمطالب التى يفرضها المجتمع على الطفل النامى من أجــل ايجاد الطابع الاجتماعى المرغوب فيطور الرشد٠ وتؤثرالسلطة الابوية تأثيرا هاما وخطيراعلى الطفلفى السنوات الاولىمن حياته،وتتشكلهذه السلطةبأشكالمتباينة٠فقد تتخذ صورة سلبية بمعنى التهديد بسحب الحب ، أو تتخذ صورة ايجابية باضفاء مزيد من الحب على الطفل أو قد تتشكل بصورة الوعد برضــا الله وجناته ، أو الوعيد بغضبة ونار جهنم ، أو تقييد حركة الطفل فى البيئة الاجتماعية والفيزيقية التى يتفاعل فيها مع الآخرين ، وتفرض هذه السلطة الوالدية ما تشاء من ثواب أو عقاب ، بيد أن القوة العقابية للوالدين تتغير وتتعدل كلما كبر الطفل كمــا تتضاءل اذا ما قلتسيطرة الاسرة على البيئة الاجتماعية التى يتفاعل معها الصغير

(*) السؤال الذى غاب عن دوركيم ، ماذا عن الاطفال الذين يعيشون فى مجتمعات تسودها الامية والتخلف ، هل تخلــو شخصية هؤلاء الاطفال مــن العناصــر الاجتماعية والعقلية المكونة لشخصياتهم ، وهــذه الآراء الدوركيمية عــن الطفل والطفولة والمدرسة وأهمية التعليم انما تؤكد لنا أن عالم الاجتماع ابن مجتمعة وعصره ، فالدراسات المقارنة لدول العالم الثالثتلقىظلالا من الشك على عمومية آراء دوركيم وأمثاله من علماء الاجتماع الغربيين ٠

١ ـ دوركيم أميل : التربية الاخلاقية ٠ ترجمة السيد محمد بدوى ٠ القاهرة ٠ مكتبة مصر ٠

(2) Clausen John : Perspective on childhood socialization. In John Clausen (ed) op, cit. p. 132.

ويولى معظم العلماء السلوكيين اهتماما زائدا لدراسة مهام عملية التنشئة فى طور الطفولة أثناء عملية التفاعل بين الطفل ووالديه ، والمسئوليات الوالدية فى طور الطفولة ، ومن بعدها مسئوليات المدرسة الابتدائية التى تحددها وتفرضها الضغوط البنائية ، والتى تحدد بدورها المعايير الاجتماعية ٠

وقد حدد كلوزين المسئوليات الاجتماعية التى يتعين على الوالدين أن يحققانها اذا ما أرادا لابنهما الطفل أن يعيش مقبولا من أبويه ومن الآخرين(١) ٠

وهذه المسئوليات هى :

١ ـ توفير العون والتربية للطفل ٠

٢ ـ توجيه واعلاء الحاجات الفيزيولوجية مثل الحاجة الى الطعام والحاجة الى الاخراج ليحقق التكيف مع الوالدين ولمواجهة المعايير الثقافية ٠

٣ ـ تعليم الطفل وتدريبه على المهارات واتاحة الفرصة لممارسة المهارات الحركية والقدرات العقلية والمهارات الاجتماعية بما يكفل له الحماية وتعزيز الآمان ، وتنمية القدرات والامكانيات على أداء السلوك المستقل ٠

٤ ـ توجيه الطفل الى عالم الرفاق توجيها مباشرا والى المجتمع المحلى والمجتمع الاكبر من خلال مجموعة من المواقف الاجتماعية ٠

٥ ـ نقل مجموعة من الاهداف الثقافية والقيم ودفع الطفل نحو الاهداف الوالدية والاجتماعية ٠

٦ ـ ابراز وصقل المهارات الشخصية والاهتمام بمشاعر الآخرين والاستجابة لها٠

٧ ـ ضبط مجال سلوك الاطفال وتحديد الاخطاء وتصويبها ، وتقديم النصح والتفسيرات لهم ٠

وتحدد معايير كل مجتمع أغلب هذه المسئوليات والمهام ، فالمجتمع عادة يحدد

---

(1) Clausen : Ibid. p. 137.

كيف ومتى يقوم الوالدان بهذه المهام ؟ ومن منهما يؤديها ؟ فمثلا على الام أن ترضع صغيرها وتغذيه ، وعلى الوالدين معا أن يستثمرا الوقت والجهد لمراعاة أولادهما ويتأكدا من أنهم يتعلمون مهارات خاصة مقبولة ، ويتحاشون أداء أنماطا معينة من السلوك الخاطىء المرفوض فى سن معينة .

وتبدأ هذه الجهود للوالدين فى فترة مبكرة جدا ، قبل أن يعى الطفل بها ، اذ يبدأ الوالدان فى التحدث الى طفلهما بلغة يحددها ادراك الطفل للعالم الخارجى ليعرفاه بوضوح من نحن ؟ وماذا نريد ؟،وما يجب علينا أن نفعله ؟ فعلينا أن نسلك مع الغير سلوكا مشرفا تحكمه الامانة والصدق والخير والوفاء ، وضرورة أن يعمل الانسان بكد وجد ، وما أن يبدأ الطفل يعى العالم الذى حوله حتى تبدو تعاليم والديه أكثر تحديدا وأكثر دلالة ، اذ تعى البنات ألا يرفعن أرديتهن ، ويتعلم الصبية ألا يبكو وعلينا أن نلعب ونستمتع وأن نعمل وأن نحقق المساواة فى اللعب ، وتبدو هذه التعاليم واضحة وصريحة عندما يتحول الطفل من البيت الى المدرسة (١) .

والطفل لا يشعر بهذه الضغوط ، ولا يشعر بهذه المؤثرات التى تفرض عليه ، أو حتى ببداية التغير فى اهتماماته . بل ولا يعى بما يتوحد به ، وما يدمج فى شخصيته ولكن اكتساب الطفل لمفردات اللغة يسهل من اندماجه فى الجماعة الاسرية ، وفهم الناس من حوله ، وادراك العالم المادى الذى يحيط به والذى يتسع باستمرار لديه ، ونوعية العالم الاجتماعى الذى يتفاعل معه ، ويزداد اتساعا باستمرار ، وعندما يلتحق الطفل بالمدرسة تتخذ هذه الضغوط الوالدية انساقا مكتوبة من التوقعات ، فاذا ما اندمج فى فريق الكشافة مثلا أو أى فريق رياضى أو جماعة نشاط مدرسية ، كان عليه مراعاة قانونها المكتوب .

ونحن عندما نعرض الاساليب الوالدية التى تفرض على الطفل ، والتى تساهم فى تشكيل سلوك الاطفال ، واتجاهاتهم ، نقول أن أكثر الاشياء ضلالا هو

---

1 — Inkles Alex : Society, social structure, and child socialization op cit, p. 94.

دراسة طور الطفولة باعتباره مجرد عملية تقتصر على الاسرة وحدها (١) وارجاع السلوك الانسانى الى طور الطفولة الاولى ، ذلك لان توحدات الشخص مع القيم وانماط السلوك عملية مستمرة • وتبغى دائما تحقيق تكيف الشخص مع المجتمع ومن ثم فان السلوك لن يستقر فى طور معين من أطوار الطفولة • كما أن عملية التنشئة عملية تراكمية ، ومستمرة ، ومتغيرة • فأساليب التنشئة التى تفرض على الطفل لتوجيه سلوكه ينبغى أن تتغير كلما كبر الشخص ، كما تتغير هذه الاساليب من مكان لمكان ، ومن زمان لزمان ، ليتحقق توافق الشخص مع المصادر الطبيعية المتيسرة فى البيئة والمستوى التكنولوجى الذى وصل اليه المجتمع ، بمعنى أن أساليب تنشئة الطفل الذى يعيش فى المدن الساحلية تختلف عن أساليب تنشئة الطفل البدوى أو الطفل الريفى • وكذلك فأساليب تنشئة الطفل فى المجتمع المتقدم تكنولوجيا تختلف عن أساليب التنشئة فى مجتمع زراعى متخلف أو فى مجتمع يعتمد على الحرف اليدوية • وهذا التغير فى أساليب التنشئة الاجتماعية والتباين الواضح فى طريقة تنشئة الطفل من جيل لجيل ومن وقت لوقت ومن مكان لمكان ، انما يرتبط بالتباين فى الانظمة الاقتصادية (٢) والتفاوت فى المستوى الحضرى والاقتصادى • ويعكس لنا هذا التباين فى أساليب التنشئة الاجتماعية التفاوت فى مكانة الطفل من مجتمع لآخر • ولكن رغم تغير القيم الاجتماعية التى تدمج فى شخصية الطفل ، فهناك قيم انسانية ثابتة راسخة عند الاطفال لا تتغير ولا تتبدل ، وهى القيم الانسانية التى تنادى بها الاديان السماوية•

عملية التنشئة الاجتماعية عملية متغيرة
نماذج لدراسات مقارنة :

تتغير أساليب تنشئة الطفل عادة لتتوافق مع التغير الحادث فى أدوات الانتاج وكل الانساق البنائية ، فكل الانساق تلعب دورا هاما فى تشكيل أساليب التنشئة وتعديلها • فهناك عوامل ايكولوجية ، وعوامل اقتصادية وعوامل سياسية وعوامل

1 —: Danziger, K: Conceptions of socialization. In Dagziger, K (ed) Readings in child socialization. Oxford Pergamon Press 1970 p. 18.

2 — Inkles Alex. : Society, social structure and child socialization op cit pp. 106 - 110.

دينيـــة تؤثر فى عملية تنشئة الطفل، ويتجلى التباين فى انماط التنشئة الاجتماعية من مجتمع لمجتمع بل داخل القطاعات المختلفة فى البناء الواحد من خلال التغيرات التى تحدث فى القيم الاجتماعية أو قيم المنهج الدراسى أو القيم التربوية أو القيم الاقتصادية بل ومن خلال القيم التى تبث أيضا من خلال أجهزة الاتصال ٠

وعلى سبيل المثال لهذا التباين وأسبابه سنعرض بايجاز أولا للدراسة المقارنة التى قام بها برونفنبرنر عن الطفل الامريكى والطفل الروسى ثم سنعرض لدراسة محمود عبد القادر عن أساليب التنشئة فـى مصر والكويت والبحرين ٠ فهاتـان الدراستان توضحان تباين أساليب التنشئة الاجتماعية تبعـا لاختلاف العوامـل البيئية والمستوى الحضرى ٠

فدراسة برونفنبرنر أوضح مثال لاثر النظام السياسى والاقتصادى عـلى أساليب التنشئة الاجتماعية (١) للطفل ، وقد عرض لنا الباحث الامريكى ملاحظاته من أسلوب التنشئة الاجتماعية فى أكبر دولتين صناعيتين فى القرن العشرين ، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ وقد جمع الباحث بياناته ومعلوماته عـن الطفل الروسى خلال سبع زيارات قام بها فى الفترة ما بـين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٧ ، واستغرقت كل زيارة بين أسبوعين وثلاثة شهور أتيح له فيها ملاحظة الاطفـال والكبار والتحدث معهم فى مجالات متباينة ٠

فهاتان الدولتان تختلفان اختلافا أساسيا فـى التنظيم السياسـى والنسق الاقتصادى والايديولوجيا والبناء الطبقى ، وهذا التباين الاقتصادى والايديولوجى والسياسى أدى الى تباين أساليب التنشئة ٠ وهذا التباين الاقتصادى والايديولوجى فى رأينا محصلة عمليات التنشئة الاجتماعية المتباينة فى كل من الدولتين الكبيرتين واختلاف مدى اهتمام الجيل الكبـير باعـداد الجيـل الصغـير ، وتأثـير القـوى الايديولوجية والاخلاقية على سلوك الافراد ٠ فالمجتمع الرأسمالى ـ فى أوج قمته

1 — Bronfenbernner Urie : Two worlds of childhood U.A. and U.S.S.R. N.Y. Russel Range Foundations.

ممثلا فى الولايات المتحدة الامريكية - يختلف عن المجتمع الاشتراكى - ممثلا فى أقدم تجربة اشتراكية ممثلة فى الاتحاد السوفيتى - فى مفهوم التنشئة الاجتماعية والبيئة التى تمارس فيها هذه العملية • والدولتان وان واجهتا مشكلات متماثلة باعتبارهما مجتمعين يقومان على الانتاج الضخم • فهما يختلفان فى تحديد النسق المسؤول عن تربية الصغار مسئولية مباشرة •

ففى الولايات المتحدة تتمركز التربية داخل الاسرة ، حيث يلعب الوالدان دورا هاما فى عملية التنشئة الاجتماعية • فهما يلقنان الطفل قيم الطبقة التى ينتميان اليها وتكمل جماعات رفاق السن وظيفة الاسرة فى هذا المجال ، وهذه الجماعات مستقلة عن اشراف جماعات الكبار الى حد كبير • وتتصف هذه الجماعات بالمرونة فى أفكارها وتعارض مبادئها مع مبادىء الاسرة • أما فى المجتمع السوفيتى فالاسرة جزء من البناء الاجتماعى السوفيتى ، وتعكس السلطة الابوية سلطة الجماعة ، كما أن مسؤلية الاب نحو أبنائه هى استمرار لمسئوليته نحو المجتمع • وليست الاسرة نظاما اجتماعيا ينفرد بعملية التنشئة • فهذه الوظيفة تساهم فيها منظمات الاطفال التى تنشأها الدولة وتشرف عليها •

وقد أوضح الباحث الامريكى أن الطفل السوفيتى يحظى بقدر وافر من الحنان والدفىء داخل الاسرة فى صورة العناق والقبلات يفوق ما يناله الطفل الامريكى تعويضا له عن ساعات غياب الوالدين فى عملهما فى وحدات الانتاج • كذلك يرتبط الطفل السوفيتى بالاسرة برباط وثيق من الحب • ويؤدى الحب الزائد الذى يضفى باستمرار على الطفل السوفيتى ، الى تحديد حركته الذاتية ، ورغم تقييد الحركة الذاتية للطفل فهو أكثر وقاية من القلق اذا ما ترك فى عناية شخص آخر أو فى دور الحضانة • ولا تقتصر التربية فى الاسرة السوفيتية على الام بل تمتد هذه المسؤولية الى الآخرين من الاقارب والاطفال الكبار • أما فى المجتمع الامريكى ، فيرى الباحث أن التربية مسؤولية الاسرة وحدها التى تحاول أن تخلد قيم طبقتها ، واستنادا على هذه الملاحظة أشار الباحث الى أن الاطفال السوفيت أقل تعرضا للقلق اذا ما تركوا فى حماية شخص آخر •

وقد أظهرت دراسة برونفنبرنر أن التربية فى الاتحاد السوفيتى تقوم على الاقتناع والتشجيع والمدح • ويلجأ السوفيت عادة عند عقاب الابن المتمرد الى التأنيب والتهديد بسحب الحب • وهم يهدفون من عملية التنشئة ادماج القيم التى تؤكد الطاعة وضبط النفس وطاعة الوالدين والكبار • ويهتم السوفيت اهتماما شديداً بنظام التربية • وتضع الدولة معايير التربية الجماعية ، وتقدم التسهيلات الاجتماعية التى تسهم فى تربية الاولاد ، وتؤسس الدولة دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس الداخلية ، ومدرسة اليوم الكامل لخدمة أبناء النساء العاملات، وكل هذه المؤسسات تخدم ايديولوجية المجتمع السوفيتى• ويربى الطفل فى المدرسة على احترام العمل وتقديسه واحترام النظام الاجتماعى •

أما فى البناء الامريكى ، الذى يؤكد التعبير الحر للفرد ، فتقوم التنشئة على أهداف متباينة ، وقيم متصارعة بين طبقة وطبقة ، ولا تخضع عملية التنشئة لمنهج محدد مخطط له ، يرتبط بنظام الدولة • بل عملية التنشئة الاجتماعية عملية شخصية تثمر نتائجها بمقدار ما يبذل الوالدان من جهد • ويواجه الطفل منذ مولده فى المجتمع الامريكى تيارات متباينة من المبادىء والقيم ونماذج السلوك داخل الاسرة وخارجها • وعندما يشب الطفل ويخرج عن نطاق الاسرة يخضع تحت سيطرة اتجاهات وقيم جماعات ورفاق السن ، وزملاء المدرسة وهى اتجاهات وقيم متباينة فيما بينها ، علاوة على اختلافها مع قيم واتجاهات الاسرة • ويتسامح المجتمع الامريكى مع من يستخدمون العقاب البدنى ومن يضعون القيود على حركة الابناء ، ومن مظاهر عدم التجانس فى أساليب التنشئة الامريكية اختلاف القيم التربوية عند الامهات اللاتى نشأن فى المدينة وينتمين الى الطبقة الوسطى عن قيم الامهات العاملات اللاتى نشأن فى الريف •

وتهدف التربية داخل الاسرة السوفيتية الى تحقيق ما يلى :

١ - التعود على التفاعل الجماعى ، ومن الضرورى ادماج القيم التى تؤكد الاتجاهات نحو الصغار والكبار وتكوين شخص يؤدى سلوكا طيبا يتوافق مع معايير الجماعة •

٢ - المساهمة فى النشاط المشترك · ومن مظاهر هذا النشاط المشترك التعود على اللعب الجماعى ، والتدريب على نقد السلوك من وجهة نظر الجماعة · وتأكيد قوة الجماعة على ضبط السلوك ·

٣ - التأكيد على احترام الممتلكات العامة ، والايمان بأن ما يخص المرء يخص الآخرين وما يخص الآخرين يخص المرء ·

ويدرب الطفل منذ نشأته ، سواء داخل الاسرة أم داخل التنظيمات الاجتماعية على أن السلوك الانحرافى خيانة للجماعة ، ويعاقب المنحرف بحرمانه من عضوية الجماعة التى ينتمى اليها اذا ما كرر هذا الفعل ·

أما بالنسبة للفروض الثلاثة الاساسية التى حاول الباحث اختبارها · وهى لماذا يغش الطفل الامريكى فىالامتحانات أكثر من الطفل الروسى ؟ ولماذا يريد الطفل الامريكى أن يغتصب مالا يخصه ؟ ولماذا يتجاهل الطفل الامريكى الآخرين الذين يحتاجون الى مساعدته ؟ فقد بين الباحث أن الطفل الامريكى يتعلم أن يعيش لنفسه أما الطفل السوفيتى فيتعلم أنه يوجد فى جماعة ، ويقوم وجوده على هذه الجماعة ، وهو يعمل من أجل هذه الجماعة · فالهدف الاساسى من عملية التنشئة الاجتماعية هو توحد الطفل مع قيم تؤكد الجماعة · فالطفل السوفيتى لا تستقطبه مواقف الغش والسلوك الانحرافى مثل رفاق سنة فى الولايات المتحدة الامريكية · ولا يعانى من صراع القيم ، فلا فرق بين القيم والسنن التى تلقنها له الاسرة وبين القيم التى يتعرف عليها داخل جماعات رفاق السن · فالهدف من التنشئة الاجتماعية - التى يخطط لها تخطيطاً دقيقا - تحقيق الاهداف المرغوبة فى الدولة والمتفق عليها والمقبولة من الجميع ، فالطفل السوفيتى يعيش فى مجتمع متجانس ويواجه مجموعة من القيم المتجانسة · كما يهدف أسلوب التنشئة الى تكوين طفل يتوافق تماما مع معايير الجماعة ويخضع لها ·

أما عملية التنشئة فى المجتمع الامريكى فتتنازعها أهداف متباينة · وتعكس قيما متصارعة ويواجه الطفل قيما وفلسفات غايتها تأكيد قيم الفرد وحريته · وان

اختلفت وسائلها لتحقيق هذه الفردية وهذه الحرية • كما أن قيم الاسرة قد تتباين مع القيم التى يقابلها الطفل أثناء تفاعله مع رفاق سنة أو القيم التى يتعرف عليها من خلال وسائل الاتصال أو القيم التى ينادى بها المجتمع المدرسى •

ولقد وصل الباحث الى نتيجة هامة تفسر أسباب تباين سلوك الطفل الامريكى عن الطفل السوفيتى وهى ضعف دور الاسرة الامريكية فى عملية تنشئة الابناء ، رغم مسئولياتها الشرعية فى تكوين الطابع القومـى للشخصية • ويرجع ذلك الى أن الوالدين لا يبذلان جهدا ولا ينفقان وقتا فى المواقف التى تتطلب النصح والارشاد وتوجيه السلوك لضعف علاقات الود والالفة داخل الاسرة ، وتعارض قيم الاسرة مع قيم رفاق السن والمدرسة والبناء الاجتماعى الاكبر • بينما فى الجانب الآخر نجد السوفيت يؤكدون التربية الجماعية وقوة الروابط العاطفية بين الاسرة ، والتناسق بين قيم الاسرة وقيم الجماعات التى يرتبط بهـا الطفل • وارتباط قيم هـذه الجماعات كلها بالبناء الكبير • فكأن الطفل السوفيتى يسبح فى بحر هادىء ، بينما زميله الامريكى يسبح فى بحر مضطرب عليه أن ينجو فيه بنفسه •

وتعد الدراسة المقارنة « لتربية الطفل والشخصية » فى المجتمع المصـرى والمجتمع الكويتى والمجتمع البحرينى (١) ، والتى قام بها محمود عبد القادر من ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ خير مثال يوضح لنا تباين أساليب التنشئة تبعا لتباين العوامل الايكولوجية واختلاف المستوى الحضارى •

وهذه الدراسة هى الحلقة الثالثة فى دراسة تتبعية بدأها محمود عبد القادر فى مصر منذ عام ١٩٦٣ • وتهدف هذه الدراسات الى القاء الضوء على الانسان العربى ، استنادا على الرأى القائل بأن أفضل أسلوب لمعرفة الانسان العربى هو دراسة أساليب التربية المبكرة ، والاسس التى تحكم تغيرها وتطورها فى ظـل مجتمعات وثقافات تتسم بالحركة والديناميكية • والهدف الاول من هذه الدراسات

---

(١) محمود عبد القادر على : تربية الطفل والشخصية • دراسة مقارنة بـين المجتمع المصرى والكويتى والبحرين • جامعة الكويت • مجلة كلية الآداب والتربية • العددان الثالث والرابع يونية ١٩٧٣ ص ٣٣١ ـ ٣٧٠ •

العمل على تطوير الانسان العربى · بما يخدم خطط التنمية الاجتماعية ويعمل على رفاهية المواطن العربى وسعادته ·

والمجتمعات الثلاثة التى درسها الباحث مجتمعات تشترك فى وحدة الدين ، ووحدة اللغة ، كما تظلها مظلة الحضارة العربية الاسلامية ، وكان من المنتظر أن يكون تباين أسلوب التنشئة بينها طفيف أو منعـدم ، ولكن الدراسـة بينت أن التباين يفوق ما كان متوقعا ، ويرجع ذلك الى أسباب عديدة · فالكويت والبحرين نمت ثرواتهما بشكل سريع ، وهما يجمعان بين القديم والجديد ، ويتصارع فيهما الجديد مع القديم بأسلوب فريد ، كما تتميز الكويت بالتغير السريع الذى لا يعادله فى السرعة أى مجتمع آخر معاصر ، وهناك عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وجغرافية حديثة جدا تساهم فى احداث التغير بالكويت وزيادة معدل هذا التغير ، والكويت والبحرين مجتمعان صغيران نسبيا اذا ما قورنا بالمجتمع المصرى مثـلا كما يتسم المجتمعان بالتجانس النسبى ·

أما المجتمع المصرى فمجتمع تمتد جذور حضارته الى آلاف السنين ، وهو من أقدم المجتمعات الانسانية ، يعيش فيه القديم والجديد جنبا الى جنب ، وينصهران ببطىء سويا فى بوتقة واحدة · ونلاحظ التغير فى أوضح صورة وأحدث أشكاله فى العواصم الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية · كما نشاهد الجمود فى مثال حـى صغير بالريف · ولا سيما الريف البعيد عن المراكز الحضرية ، والذى لم تدخله الكهرباء بعد ، وحرم أبنائه من التعليم · الذى تكفله لهم الدولة بالمجان · ولاسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية انخفضت ظروف المعيشة فى مصر بشكل ملحوظ عن مستوى المعيشة فى الكويت والبحرين ·

وكانت أدوات الباحث لجمع البيانات فى البيئة المحلية هما :

(أ) استخبار خاص بالاتجاهات الوالدية نحو تنشئة الطفل ·

(ب) قياس شخصية الاطفال والمراهقين فى هذه المجتمعات ·

وقد درس الباحث الموقف من عملية الرضاعة والموقف من عملية الفطـام

والعمليات التى تدخل فى كل من عملية الرضاعة وعملية الفطام ، وما يترتب على هاتين العمليتين من آثار عند الطفل ، تظهر على شكل اكتساب عادات جديدة ٠ وقد وضع الباحث أربعة فروض أساسية هى :

١ ــ تختلف أساليب الرضاعة للطفل باختلاف مجتمعات الدراسة ٠

٢ ــ تختلف أساليب رضاعة الطفل باختلاف خصائص الوالدين فى كل مجتمع من مجتمعات الدراسة ٠

٣ ــ تختلف أساليب الفطام باختلاف مجتمعات الدراسة ٠

٤ ــ تختلف أساليب الفطام باختلاف خصائص الابوين فى كل مجتمع من مجتمعات الدراسة ٠

وقد كشف البحث عن وجود ثلاث طرق للرضاعة يتفاوت استخدامها من مجتمع لمجتمع بل داخل المجتمع الواحد ــ والرضاعة الطبيعية ــ أى أن ترضع الام طفلها من الثدى منذ الولادة حتى الفطام دون أن تستخدم وسائل أخرى ــ بصفة أساسية ــ هى أكثر الاساليب شيوعا فى مصر والكويت وتكاد هذه الطريقة أن تكون الطريقة الوحيدة فى الريف المصرى ٠ أما فى حضر مصر فترضع حوالى ⅔ الامهات أولادهن رضاعة طبيعية ٠ أما فى الكويت فنجد أكثر من خمس الامهات يرضعن أولادهن رضاعة طبيعية أما فى البحرين فتهبط الرضاعة الطبيعية الى المرتبة الثانية بعد طريقة الجمع بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية ٠

وكما كشفت الدراسة المقارنة أن طريقة الجمع بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية ، أى رضاعة الابن بطرق صناعية سواء البزازة فى مصر أو المرضاعة فى الكويت أو الرضاعة فى البحرين هى الاسلوب الذى يلى الرضاعة الطبيعية شيوعا فى كل من مصر والكويت وتحتل المكانة الاولى فى البحرين وكذلك كشف البحث أن عدد الامهات المصريات الريفيات اللاتى يستخدمن هذه الطريقة لا يتجاوزن عددهن ثمن عدد أمهات عينة البحث ، بينما ترتفع نسبة هؤلاء الامهات فى حضر مصر الى الثلث تقريبا ، أما الكويتيات المؤمنات بالجمع بين

الرضاعة الصناعية والرضاعة الطبيعية فنسبتهن أكبر من نسبة المصريات الحضريات ، اذ تبلغ نسبتهن ٢/٥ من عدد أمهات العينة ، أما النتيجة غير المتوقعة فنجدها فى ارتفاع نسبة الامهات البحرانيات اللاتى يتقبلن الجمع بين الطريقة الطبيعية والطريقة الصناعية حيث ترتفع الى أكثر من نصف عدد الامهات، وهذه الطريقة هى الاكثر شيوعا فى البحرين عنها فى مصر والكويت ٠

أما استعمال الرضاعة الصناعية ، أى ارضاع الطفل بغير استعمال الثدى أساسا فى عملية تغذية الطفل ، فتحتل مكانة أدنى فى مصر وهى تنال تأييداً وتقبلا أكثر فى الكويت والبحرين ٠ وقد أبانت الاجابات التى حصل عليها الباحث ، والتى تكشف عن معايشة القديم والجديدمعا، وثنائية أساليب الحاضر وأساليب الماضى بأن هناك ميلا متزايدا نحو الجمع بين الطرق الصناعية والطرق الطبيعية ، ولكن هناك فى الوقت نفسه تمسكا واضحا باستخدام الثدى فى هذه المجتمعات رغم توفر الامكانيات شراء اللبن الجاف دون أن يؤثر ذلك على دخل الاسرة الكويتية والبحرانية ٠

وقد كشفت الاجابات ان التعليم أهم عامل لتقبل الجديد مع التمسك بأساليب الرضاعة الطبيعية ٠ اذ أن حوالى ٥٦٪ من غير المتعلمات فى الكويت ومثلهن تقريبا فى عينة البحرين يرضعن أطفالهن بصفة أساسية من الثدى دون الاعتماد على أى وسائل صناعية ٠ أما فى مصر فترتفع نسبة اللاتى يرضعن أولادهن رضاعة طبيعية من بين غير المتعلمات الى ٨٥٪ ، وتهبط هذهالنسبة هبوطا طفيفا الى ٧٧٪ بين المتعلمات ٠ والصورة لا تختلف كثيرا فى الحضر ، وهذه الوسائل الصناعية أكثر استعمالا بين العاملات من المتفرغات ٠

وقد أظهر البحث أن تعليم الوالد له أثره فى تقبل أساليب الرضاعة المستحدثة ، وقد أوضحت الدراسة أن الزوج فى مصر له تأثير غير مباشر على أساليب الرضاعة ، أما فى الكويت والبحرين فالزوج خاصة ان كان متعلما ، فله رايه ، وتأثيره الحاسم فى أسلوب الرضاعة المستحدث ٠

وقد بينت الدراسة أيضا أن أساليب رضاعة الطفل فى المجتمعات الثلاثة فى مرحلة تغير ، وأن هذا التغير أكثر شدة فى البحرين ، ويمكن أن يوصف هذا التغير فى أساليب الرضاعة بأنه طفرة هناك ، أما التغير فى الكويت فيوصف بأنه منسق ومتلاحق ، أما فى مصر ، فالتغير فى أساليب الرضاعة غير ملموس ٠

وأظهر البحث أن عمر الزوجة كمؤشر للتغير يكشف عن الفرق بين تقبل أساليب الرضاعة الجديدة والتمسك بأساليب الرضاعة التقليدية ، فالامهات اللاتى تزيد أعمارهن عن ٤٥ عاما يرضعن الاولاد من الثدى وحده ، كما وضح لنا عزوف المرأة البحرانية عن الاعتماد التام على الرضاعة الصناعية وحدها ، ما زال يشكل المعالم المميزة لاسلوب الرضاعة فى كل من الجيلين ٠

أما الامهات الكويتيات اللاتى يمثلن الجيل الحالى أى اللاتى تقل أعمارهن عن الخامسة والاربعين فيفضلن الجمع بين الاساليب الجديدة والاساليب القديمة ، وان كان هناك ميل متزايد نحو الاعتماد على الوسائل الصناعية فى الكويت ٠

أما أساليب الفطام ومدته ، فقد أوضحت الدراسة وجود أربعة أساليب للفطام ٠ الفطام المتعسف و الفطام الفجائى فى مقابل الفطام التدريجى أو التلقائى ومع ذلك فان الفطام المتعسف هو الاكثر شيوعا ٠

ونعنى بالفطام المتعسف منع الثدى عن الطفل مرة واحدة باستعمال وسيلة محبطة أو مؤلمة تنفر الطفل من الاقتراب من ثدى الام مرة أخرى ، والاسلوب المتعسف فى مصر يستعمل مادة الصبر أو مسحوق البن ، أما فى الكويت فيوضع على الثدى الديد مرة ، أو القهوة أو الحناء أو الاشياء الحامضة أو الملح أو الصبغة ، وهى الوسائل نفسها التى تستخدمها الام البحرانية بجانب خرق المصاصة أو وضع حبر على الثدى أو وضع بعض الاصباغ أو الزعتر ، أو الدواء المر ، ونجد أن حوالى خمسى الامهات فى ريف مصر والبحرين يستعملن هذا الاسلوب وتنخفض هذه النسبة الى أقل من الثلث عند الامهات المرضعات فى حضر مصر ٠ وتقل نسبة الامهات الكويتيات اللاتى يستخدمن الاسلوب المتعسف الى ٢٨٪ من عدد الامهات ٠

أما الاسلوب الفجائى فى الفطام ، وهو أسلوب وسط بين الاسلوب المتعسف والاسلوب التدريجى ، فيقصد به كراهية الطفل لثدى أمه بايحاء منها ، وايهام الطفل بأن الثدى قد قطع ولم يعد به لبن ، أو قذف الرضاعة بعيدة عنه والايحاء له أنه لا يمكن الحصول عليها ٠ وتكرر هذه الطريقة فى كل رضعة حتى يكف

الطفل عن الرضاعة أو الاقتراب من الثدى ، ويقصد بهذا الاسلوب عادة فى البحرين بث الاشمئزاز تدريجيا عند الطفل لينفر من ثدى أمه ٠

أما فى الكويت فيعرف الطفل بأن الثدى فرغ من الحليب ، أو تخفى عنه الرضاعة أو الثدى ، أو تقلل الرضاعات حتى تصل الى رضعة واحدة أو رضعتين فى اليوم ، ثم توضع مادة حريفة مثل الفلفل أو المر على الثدى أو البزازة ويصاحب ذلك عبارات وتعبيرات الاشمئزاز من الثدى ٠

ويحتل أسلوب الفطام التدريجى المرتبة الاولى فى حضر مصر اذ تزيد نسبة المؤمنات بهذا الاسلوب عن ٢/٥ عدد الامهات ٠ وكذا الحال فى الكويت ، أما فى البحرين فيحتل هذا الاسلوب المرتبة الثالثة ٠ ونسبة الامهات المؤمنات به تقل عن ربع عدد أمهات العينة ٠ أما فى ريف مصر فتتدنى نسبة الامهات اللاتى يتبعن هذا الاسلوب الى ١٥٪ من عدد أمهات العينة ٠

أما الاسلوب التلقائى ، فيقصد به أن يمتنع الطفل من تلقاء نفسه عن الثدى أو البزازة ٠ اما بسبب تغير طعم لبن ثدى الام فى فم الطفل بسبب الحمل أو عدم استساغة الرضيع لطعام البزازة ٠ ويترتب على ذلك امتناع الطفل عن الرضاعة ٠ وتدعم الام وتشجع هذا التصرف من الصغير

وهذه الطريقة أكثر شيوعا فى الريف المصرى عن المجتمعات الاخرى ، ويكاد أن تنعدم تماما فى البحرين ، اذ يبلغ نسبة القرويات المصريات أعضاء العينة اللاتى يأخذن بهذا الاسلوب ١٢٪ من عدد أفراد العينة ، وتهبط نسبة هؤلاء الامهات فى الكويت الى ٦٪ ثم تتدنى فى حضر مصر الى ٣٪ وتكاد تختفى فى البحرين ٠

وقد أبانت الدراسة المقارنة لاساليب الفطام أن ثمة علاقة دالة بين ارتفاع مستوى تعليم الام والميل نحو استخدام الاساليب المعتدلة فى الفطام ، فالام المتعلمة أكثر بعدا عن استخدام الاساليب الفجائية والتعسفية ٠ ويوضح لنا الفطام

التدريجى الصورة أكثر ، اذ يبدو لنا مدى تأثير تعليم الام على تقبل هذا الاسلوب فى جميع المجتمعات وبدون استثناء · وترتفع نسبة اللاتى يتقبلن هذا الاسلوب كلما ارتفع مستوى التعليم ، وتعلو نسبة المؤمنات بهذا الاسلوب خاصــة بــين الجامعيات ، وتبلغ نسبة المؤمنات به أدناها عند الاميات ·

كما كشفت الدراسة أن تعليم الاب له أثره الثابت على هذا الاسلوب فى مصر والبحرين كما أن أثر تعليم الاب متذبذب فى الكويت ·

وقد أوضحت الدراسة المقارنة أن عمر الزوجة مؤشر صادق للتغير ، وهذا المؤشر أكثر ما يكون وضوحا فى الكويت والبحرين · فرغم أنه لا توجد فى ريف مصر فروق بين الامهات اللاتى تزيد أعمارهن عن ٤٠ عاما والامهات اللاتى تقل أعمارهن عن ذلك فيما يتعلق بأساليب الفطام المفضلة ، فاننا نجد فروقا شاسعة فى الكويت والبحرين بين الامهات الصغيرات والامهات اللاتى تزيد أعمارهن عن اربعين عاما ازاء الوسيلة المفضلة للفطام ·

ولقد وصل محمود عبد القادر الى نتيجة هامة وهى أن هذه المجتمعات تمر فى فترة تغير تستبدل فيها بالوسائل التقليدية الضارة الوسائل الصحية الحديثة للفطام الا أن تقبل الجديد والنفور من القديم لا يتحقق بايقاع واحد داخل المجتمع الواحد· وأن التعليم ـ سواء تعليم الاب أم تعليم الام ـ يعد أهم العوامل لاختيار وسيلة الفطام ، كما تعوق القيم الثقافية فى الريف المصرى والبحرين من تغيير الوسائل السائدة واحلال وسائل جديدة محلها ·

وقد كشفت الدراسة عن وجود علاقة طردية بين متوسط عمر الطفل عند الفطام وسن الام ، فالامهات الصغيرات فى السن يفطمن أولادهن فى سن صغير ، أما الامهات اللاتى تخطين الاربعين فيتجهن الى فطام أولادهن فى سن متأخر نسبيا ، الا أن الامهات البحرانيات فيشذذن عن هذه الظاهرة الثقافية · واذا أخذنا فى الاعتبار المعايير الغربية التى تحدد سن الفطام ، فنجد أن عمر الطفل عنــد الفطام فــى المجتمعات الثلاثة مرتفع جدا ، حتى فى حضر مصر · ورغم ذلك فهناك تبــاين

شديد بين المجتمعات الثلاثة فيما يتعلق بعمر الطفل عند الفطام ، فالسن الملائم والشائع لفطام الطفل فى حضر مصر ثمانية عشر شهرا ، وهو أقل سن لفطـام الطفل ، يقابل ذلك فى الطرف الآخر ، أعلى سن لفطام الطفل ويقترب من عامين ، ويوجد فى البحرين وريف مصر تقريبا ، أما الكويت فتقع على متصل يقترب من البحرين والريف المصرى • اذ يبلغ متوسط عمر الطفل عند الفطام واحد وعشرين شهرا ونصف • وأغلب الناس فى هذه البلدان متأثرة بالثقافة الاسلامية المتوارثة التى تؤكد على رضاعة الطفل حولين كاملين يتم بعدهما فطام الطفل •

وقد وصل الباحث فى هذه الدراسة المقارنة الى نتائج هامة أهمها :

أولا : أنه من السهل على الام فى هذه المجتمعات أن تتخذ قرارا يحدد أسلوب رضاعة الطفل أما قرار عمر الطفل عند الفطام فهو تقليد اجتماعى لا زال جامدا •

ثانيا : أن كل مجتمع من هذه المجتمعات الثلاثـة يختلف عن الآخـر بالنسبـة للاساليب المستخدمة فى الرضاعة أو الفطام •

ثالثا : أنه كلما كانت درجة تغيير المجتمع أكبر ، صاحب ذلك تغيرا كبيرا فـى هذه الاساليب الا أن هذا التغيير لا يسير فى خط مستقيم •

رابعا : استنتج الباحث فروضا نفسية أهمها أن درجة الاضطراب الانفعالى عند الاطفال فـى البحرين تكون أعلى منها عند أطفـال الكويت وأن هـذه الدرجة قد تكون فى ريف مصر أعلى منها فى الحضر ، والفرض الثانى أن درجة القلق فى الريف أعلى منها فى بقية المجتمعات • الفرض الثالث أن قوة ألانا أو درجة العصاب عند اطفال هذه المجتمعات تختلف باختلاف أساليب الرضاعة وأساليب الفطام .

غير أننا نلاحظ على هاتين الدراستين عدة أمور وهى :

١ ـ ان العينة فى دراسة محمود عبد القادر ليست ممثلة لريف مصر •

٢ ـ ان أساليب الرضاعة والفطام فى المجتمعات العربية الثلاثة متغيرة • وهذا يؤكد أن شخصيات الاطفال متغيرة فى المجتمعات الثلاثة •

الفصل الثاني

كيف يكتسب الطفل سلوكه

١ ـ معرفة الطفل لدوره ٠

٢ ـ الغرض من عملية التنشئة ٠

٣ ـ تاثير الانساق الاجتماعية على الطفل ٠

بالورقة البيضاء ، أو اللوح الاملس يكتب عليه كل ما يرغب فيه الوالدان أو المدرسون ، بل ثمة موقف ايجابى من الطفل (١) • ومن السهل علينا أن نلاحظ الفروق بين سلوك الوالدين ازاء الابن الواحد ، وأيضا ملاحظة التباين فى سلوكهما واتجاهاتهما بين الابنة والابن كما يمكن أن ندرك الاختلاف فى اتجاهات الوالدين حسب ترتيب الابناء فى الاسرة ، أو نتيجة اختلاف أعمار الوالدين من ابن لآخر ، فطريقة معاملتهما للابن وهما فى سن الشباب تختلف عن طريقة معاملة ابن آخر أنجباه فى سن متأخرة ، وكذلك يؤثر الاطفال على اتجاهات وسلوك والدهما ، فهما يتعلمان أشياء جديدة كانا يجهلانها قبل الانجاب ، لان معاشرة الاولاد تكسبهما أدوارا جديدة ، كما يغيران من العلاقات المتبادلة بينهما ، وتتغير نوع المعاملات بينهما اذ تتزايد قوة ورسوخا ، كما أن ينظمان علاقاتهما معا لتتكيف مع المتغيرات الجديدة ، وهما يتعلمان كيف يشاركان سويا مشاركة فعالة فى تربية أولادهما ، ويتعلمان كيف يؤديان وظائفهما الوالدية أفضل أداء ، ويدركان معنى وأهمية التغلب على الصعوبات التى تعوق الوالدين عن أداء وظائفهما وتربية أولادهما ، والا أصيب الابناء بأشد الضرر ، وبايجاز فهما يدركان أن علاقاتهما الزواجية قبل الانجاب وقبل تحمل مسئولية تربية الاولاد تختلف كل الاختلاف عن علاقتهما ومسئوليتهما الزواجية بعد الانجاب وبعد تحمل مسئولية تربية الاولاد ، ويؤكد ذلك انخفاض معدلات الطلاق بعد الانجاب عن معدلات الطلاق قبل الانجاب • وتزايد انخفاض هذه النسبة كلما كثر عدد الاولاد (٢) •

وحتى أوائل الستينات من هذا القرن كانت آراء فرويد التى استخلصها نتيجة دراسة الاطفال دراسة اكلينيكية ، وخاصة الاطفال المصابين بالعصاب ،

---

(1) Bell, R. Q. : Reinterpretation of the direction of the effects of socialization. In K. Danziger : Readings in child socialization Op cit p. 313.

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء • احصاءات الزواج والطلاق • الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ج•م•ع•

والهستيريا ، وملاحظة سلوكهما أثناء فترة العلاج وبعده • وكذلك آراء دوركيم التى عبر عنها فى كتابة التربية الاخلاقية ، والذى اهتم فيه بدراسة العناصر الاخلاقية عند الطفل ، هى المحور الذى تدور حوله كل الدراسات المتعلقة بالطفل • فأغلب الدراسات والبحوث حتى أوائل الستينات كانت تركز اهتمامها على مظاهر تربية الطفل • الا أن الاهتمام قد وجه منذ سنوات قريبة الى دراسة تأثيرات الاب على الابن والابنة ، وسلوك الام ، وأثره على الطفل أو الطفلة ، كما أعطى مزيد من الاهتمام الى أثر انفراد أحد الوالدين بالسلطة ، ومدى الشعور بالدفء العاطفى أو الوحشة داخل لاسرة ، والى تقسيم العمل بين الوالدين والى القيم الوالدية وأساليب العقاب ، والى ما يتوحد به الطفل من قيم ، والنظر الى عملية التنشئة باعتبارها عملية متغيرة •

ورغم ازدياد عدد البحوث التى تهتم بالطفل على المستوى العالمى وظهور ارهاصات علمية تؤكد الاهتمام بالطفل على مستوى العالم العربى ، الا أننا نأخذ برأى كلوزين بأننا لا زلنا نجهل الوسائل والادوات البصرية لدراسة الطفل ، وخاصة المتعلقة بالآثار المتعددة لعملية التنشئة على أطفال فى أوضاع اجتماعية مختلفة أو ربط هذه التأثيرات الوالدية بالنظم الاجتماعى الاكبر (١) ، واذا كانت الابحاث العالمية التى تهتم بالطفولة كثيرة ومتعددة ، فنحن فى العالم العربى عامة ومصر خاصة ، بدأنا نخطو خطوات نحو دراسة الطفل وطور الطفولة • وأغلب هذه الدراسات تهتم بأساليب التربية الاسرية والاتجاهات الوالدية ، فلم يهتم الا بحث واحد أو اثنين ــ فيما أعلم ــ بدراسة سلوك الطفل نفسه ، وملاحظة سلوكه هو ، وما يتوحد به من قيم ، كما أن أغلب الدراسات المصرية بل معظم الدراسات على مستوى العالم العربى جهود فردية وليست جهود فريق بحث علمى متكامل ،

---

(1) Clausen John : Perspective on childhood socialization op cit p. 133.

=

والكثير منها يعكس جهود باحثين للحصول على درجات جامعية علمية ٠ وكان مجال دراساتهم المناطق القريبة من الجامعات أو العاصمة أو المناطق التى نشأوا فيها ٠

---

(١) عبد المنعم المليجى : تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ٠ القاهـرة دار المعارف ١٩٥٥ ٠

(٢) نجيب اسكندر ابراهيم : الاتجاهات الوالدية فى تنمية الطفـل ٠ تأليـف نجيب اسكندر ابراهيم ومحمد عماد اسماعيل ، القاهـرة ، دار المعرفـة ١٩٥٩ ٠

(٣) محمد عماد اسماعيل : التنشئة الاجتماعية للطفل فى الاسرة العربية ٠ دار النهضة العربية ٠ القاهرة ١٩٦٧ ٠

(٤) زكى اسماعيل : التربية والبناء الاجتماعى — دراسة فى مجتمع بدائى — رسالة دكتوراه — جامعة الاسكندرية — كلية الآداب ١٩٧٥ ٠

(٥) نادية شكرى يعقوب : أثر التليفزيون على تلاميذ المدارس الابتدائيـة — دراسة اجتماعية ميدانية بين تلاميذ المدارس الابتدائية فى القاهرة رسالة ماجستير — القاهرة — جامعة عين شمس ٠

(٦) احسان محمد الحسن : آثار التليفزيون النفسية والاجتماعية على الاطفال٠ بغداد ٠ الجامعة المستنصرية ٠ مجلة الجامعة المستنصرية ، السنة الثالثة — العدد الثالث — ١٩٧٢ ٠

(٧) محمود عبد القادر على : تربية الطفل والشخصية — الكويت — جامعة الكويت مجلة كلية الآداب والتربية — العددان الثالث والرابع ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٨) أنعام سيد عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة — دراسة مقارنة رسالة ماجستير — جامعة عين شمس — كلية الآداب ١٩٧٤ ٠

(٩) السيد عبد العاطى السيد : احتياجات الطفولة فـى المجتمعات الريفيـة والبدائية ٠ تقرير عن نتائج الدراسة الاستطلاعية لقريتى بهيج والعزة

(١٠) جامعة الدول العربية : حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربـى — جامعة الدول العربية — بيروت ١٩٧٠ ٠

(١١) جامعة الدول العربية : ندوة الطفل فى السنوات الست الاولى ٠

(١٢) عايدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات الريفية الحضرية — رسالة ماجستير جامعة المنيا — كلية الآداب ١٩٧٧ ٠

(١٣) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية — رسالة دكتوراه — جامعة الاسكندرية كلية الآداب — ١٩٧١ ٠

دراسات فى المجتمع المصرى ٠ الاسكندرية ٠ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦ ٠

وهذه الدراسات المحلية سواء كانت رسائل علمية أم بحوث تجريبية ، فان أغلبها يركز الاهتمام مثلها مثل كل البحوث العالمية على الجوانب المختلفة للحياة العائلية ، وأثرها على سلوك الاطفال (١) ، باستثناء أبحاث نادية شكرى واحسان الحسن وسعيد فرح ، فالهدف عند أغلبية الباحثين توضيح العلاقات بين موقف الحياة العائلية وتطور الطفل ونموه ، الا أن أهم ما يوجه لهذه الدراسات المحلية أنهـا أشبه بالافلاك ، كل يدور فى فلكه ، لا رباط بينها ولا يجمعها خط فكرى واحد ، بل ان القائمين بها لا يعلمون بما يقوم به الآخرون من جهد ، ولا يعرفون بعضهم بعضا ، فالدراسات كلها مجهودات فردية ٠ ونرى أن صعوبة النشر هى العامل الاول والاكبر وراء هذه المشكلة ٠

1 — Hoffman : The measurement of family life variable op cit pp. 945 - 945.

٣ - أوضحت دراسة برونفنبرنر اختلاف شخصية الطفل الروسى عن شخصية الطفل الامريكى تبعا لاختلاف أساليب التنشئة،ونتيجة لاختلاف الايديولوجية السائدة فى كل من المجتمعين بينما أوضحت دراسة محمود عبد القادر فى المجتمعات الثلاثة تغير شخصيات الاطفال باختلاف أساليب الرضاعة وأساليب الفطام نتيجة اختلاف المستوى الحضارى واختلاف المستوى الاقتصادى ٠

وأخيرا فاذا كان الوعاء ينضح بما فيه ، فاننا نجد أن الوعاء الثقافى يؤثر على أساليب تنشئة الطفل وتكوين شخصيته ٠

الاتجاهات العامة فى دراسة الطفل :

لقد درس باحثون كثيرون تأثير عمليات التعلم على سلوك الوالدين ، والاتجاهات التربوية والاجتماعية للوالدين ، وأثر ذلك على نمو شخصية الابن ، وأثر النشأة الحضرية أو الريفية للوالدين أو أحدهما على توحدات الطفل بقيم معينة ، يعتقد أنها هامة لتربية الطفل ، واذا ما أردنا أن نفهم الطفل فهما عميقا ، فعلينا أن نفهمه كعنصر وظيفى فى الجماعة الاسرية ، وأن ندرس تاريخ هذه الجماعة ، ويتضمن ذلك دراسة نشأة الوالدين والظروف التى أثرت فى هذه النشأة ، من أجل أن نحصل على فهم أفضل وأوضح لتجارب الطفل داخل الاسرة ٠ وهذا يتطلب منا أن ندرس المستوى التعليمى للوالدين ، وعقيدتهما الدينية والموطن الاصلى الذى نشأ فيه كل منهما وهل هو الريف أم الحضر ، وتجاربهما الاسرية ، وذكرياتهما فى أيام الطفولة الاولى وطبيعة علاقتهما بوالديهما ، ومستوى معيشة الاسرة لان ذلك كله يؤثر فيما ينقل الى الطفل ، وما يتوحد به من قيم ٠

وبقدر ما نهتم بمعرفة تاريخ الاسرة لما له من أثر على عملية تكوين

---

1 — Hoffman, Lois Wladis : The measurements of Family Life variables. In Paul Henry Hussen (ed) Handbook of Research Op cit p. 947.

شخصية الطفل الا أننا يجب ألا نغفل عن أثر الظروف التاريخية التى يمر بها المجتمع على عمليات تنشئة الصغير ، والاساليب التربوية السائدة والمتغيرة ، فنحن لن نفهم عمليات التنشئة الاجتماعية فى مصر مثلا سواء فى الريف أم فى الحضر ، ما لم نفهم الظروف السياسية والاقتصادية وآثار الاحتلال التركى والاستعمار الانجليزى على بناء المجتمع المصرى • كذلك لن نفهم القيم المتغيرة فى دول الخليج العربى ما لم نفهم ونتبصر التغيرات التى ترتبت على اكتشاف البترول والثروات التى تدفقت على هذه البلدان نتيجة استغلال النفط • اذ لا شىء أخطر وأكثر خداعا من محاولة فهم طور الطفولة باعتباره طورا مستقلا عن مرحلة السياق التاريخى للمجتمع ، الذى نشأ فيه الطفل • فعملية التنشئة سواء فى محيط الاسرة أو فى المدرسة أو فى دور الحضانة والاندية وما يتوحد به الطفل من قيم ومبادىء تبثها وسائل الاتصال ، عملية تتأثر تأثيرا كبيرا بالمؤثرات والعوامل التاريخية ومحصلة أحداث تاريخية واجتماعية واقتصادية •

وعندما نحاول تحديد التأثير الخاص لاى أسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية والذى كان سائدا فى فترة زمانية معينة ، فعلينا أن نضع فى الاعتبار الطبيعة التراكمية لعملية تنشئة الطفل ، ولا نتجاهل أثر المضمون الثقافى والمضمون الاجتماعى ، بجانب قدرات الطفل الشخصية ، كما نواجه فى الوقت نفسه مشكلة التنافر بين الاساليب التى تساهم فى تنشئة الطفل ، وتوفر له التجارب التى تؤثر فيه • كما نواجه مشكلة غياب وسائل المقارنة فى المضمون الثقافى المنقول ، والتباين فى العلاقات بين الهيئات التى تقوم بعملية التنشئة والشخص الذى ينشأ (١) •

كذلك فعندما يفرض على الابناء أساليب تربوية معينة ، تتمشى مع القيم الثقافية السائدة • لا يقف الابن فى هذا الموقف موقفا سلبيا ، ويصبح أشبه

---

(1) Clausen John : Perspective on childhood Socialization Op. cit, pp. 133 - 134.

كيف يكتسب الطفــل ســلوكه

معرفــة الطفــل لدوره :

عادة ما يبدأ الطفل فى تمييز سلوكه ومعرفة دوره كذكر أو أنثى منذ منتصف العام الثالث من عمره وذلك عندما يبدأالتوحـد بالوالـد من نفس الجنس ، أو تقليد سلوك هذا الوالد ، ويدفعه ذلك التقليد وما يصاحبه من عمليات الثـواب والعقاب من الاب أو الام ، والتى تثيب على أداء السلوك المرتبط بدور الجنس ، وتدين السلوك المخالف لذلك • وينمو الوعى بالسلوك المرتبط بالجنس أثناء نمو الوعى الذاتى أثناء عملية التنشئة • فالطفل يتعلم أثنـاء تفاعله مع الآخـرين، السلـوك المتوقـع منـه وتوقعاتـه مـن أدوار الآخـرين وكيف يكيف سلوكـه ويبـرره فـى مواقف التفاعـل (١) • ويدفعـة هـذا الى الوعـى بـدوره بسرعة كما يحدد له ما ينبغى له ن يفعله وما لا ينبغـى له ، ونقصـد بسلوك الدور • أن يتعلم الطفل الذكر ، والطفلة الانثى أن يؤديا سلوك الدور المرتبط بنوعهما ، فاذا كان من العسير أن نقدم تعريفا للمقصود بالسلوك المرتبط بالدور، فان التعريفات التى حاولت ذلك رغم قلتها ، تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ، كما تفتقر الى الوضوح ، والعلوم السلوكية تبين أن الفرق بين سـلوك دور الطفـل والطفلة اختلاف غير واضح المعالم اجتماعيا ونفسيا ، ومفهوم سلوك دور الطفل مفهوم عام غامض له أكثر من معنى لدى مختلف العلماء • وقد يقصد بالسلوك المرتبط بالنوع ، المكانة والعلاقات ، وكيفية اكتساب الدور ، وكيفية التفاعل مع الآخرين أو يدل على الفرق بين سلوك الذكر وسلوك الانثى ، وقدرات وتفضيلات كل نوع ، أو قد يقصد به التوقعات المنتظرة من الذكر والانثى ، وتقسيم العمل بينهما ، وتفترض الرؤية العامة للمداخل التى تهتم بالطفل عمومية الفروق بين النوعين ، ولكنها لا تردها الى الخصائص البيولوجية لكل نوع ، رغم أن كل الثقافات تؤكد أن هذه الفروق هى الاساس فى سلوك كل نوع (٢) ، ويمضى الطفل زمنا قبل

---

(1) Angrist shirleys : The study of sex Roles. Journal of social Issues, vol. XXV Num I 1969 - p. 218.

(2) Ibid, p. 217.

أن يعى حقيقة نوعه،ويتعلم السلوك المرتبط بنوعه،كما يتطلب الامر بعض الوقت ليعبر فيه عن سلوك نوعه تعبيرا واضحا (١) ، ويبدأ التعلم عندما يبدأ فى سماع بعض النصائح أو الاوامر والنواهى من والديه ، التى توجه اليه والى طريقة لعبه أو ملابسه فيتعلم أنه غير مسموح له أن يفعل أشياء يرفضها الوالدان ، أو غير مصرح له أن يفعل الا ما يقره الوالدان ، ويستمر الطفل فى تعلم قدر كبير من السلوك الذى يميز الوسط الثقافى الذى يعيش فيه ، ويتفاعل مع أفراده ٠

وعلى ذلك فان السلوك المرتبط بدور النوع ، لا تحدده الخصائص البيولوجية وحدها وانما تحدده مجموعة من القواعد والمعايير تفرضها الثقافة ، التى تتباين من مكان الى مكان آخر أو من زمان الى زمان ، تبعا لتباين نسق القيم واختلاف الانساق الاجتماعية ، وهذه الفروق بين سلوك نوع الطفل موجودة فى كل الثقافات نتيجة لاختلاف الثروات ، واختلاف أدوات الانتاج ، والظروف الايكولوجية(٢) ٠

وهناك مجموعة من العوامل التوافقية تدفع الطفل الى أداء الافعال المميزة للوالد من نفس النوع من أهمها التمتع برضا الوالدين ، وحصوله على رضاهما وحبهما ، وتوقعه لنتائج ما يقوم به من أفعال ، والحصول على تقدير والديه وجماعته الاسرية بأنه شخص مطيع ومفيد ونافع اذا ماادى سلوكاينال به رضا وتقدير الآخرين (٣)٠

وما أن يبلغ الطفل أو الطفلة الثالثة من العمر حتى يبدأ فى تعلم مكانته فى المجتمع سواء مكانته كذكر أو مكانتها كانثى ، لاعداده لاداء سلوك الـدور المطلوب منه فى المستقبل ، وتؤكد كل المعايير الثقافية رفضها أن يلعب الطفل العاب

---

(1) Maccoby, E.E. : The taking of Adult Roles in Midlle Childhood, in Danziger K. Reading in child socialization op, cip p. 41.

(2) Inkles, A : Society, social structure and child socialization p. 107.

(3) Maccoby. E.E. The Taking of adult Roles in Middle childhoom op cit p. 42.

الجنس الآخر كما تستهجن أن يلبس الطفل ملابس الجنس الآخر • فالانثى تلقن المهارات وتعود عليها لتجعل منها أنثى والطفل يلقن ويدرب على المهارات التى تجعل منه رجلا وأبا وأخا وزوجا ، وليحتل المركـز الاجتماعى المحـدد له ، وليعـرف المعتقدات والتوقعات المطلوبة منه • وتهتم الام عادة بتدليل الابنة وتؤكد عندها الطاعة والمسئولية وتضفى عليها المزيد من الرعاية ، ويبدو اهتمام الاولاد الذكور بالمهارات الحركية مثل الالعاب التى تتميز بالسرعة والقوة والعنف ، ويهتم الوالدان بتعويد الابن على حب النضال والتنافس والاعتماد على الذات والشجاعة • وتدور العاب البنات كلها حول عالم المرأة ، وهن يؤدين فى العابهن أدوارا يتخيلن فيها أنفسهن فى أوضاع ربة البيت ، أثناء العمل فى اعداد الطعام أو تربية الاولاد ، أما الطفل فيتخيل نفسه فى دور أبيه ساعيا لاهثا وراء الرزق ، وأنه صاحب الكلمة العليا فى البيت • وعلى أية حال فكل العاب الاولاد والبنـات تعكس تفضيـلات الشخصية فى هذا الطور المبكر من النمو ، ويكتسب الطفل فى أثناء لعبة الكثير من المعلومات التى تناسب نوعه ، فهو يتعلم كيف يأخذ الفرصة ، ويظهر مهاراته ، كما يتعلم كيف يتعامل مع الحياة الاجتماعية (١) •

ويتميز الطفل فى الطور الاول من النمو بالاعتماد الكامل على الوالدين ، وأدوار الام وأدوار الاب فى هذا الطور لها دور مجرد غير محسوس (٢) : كمـا ان الابوين يعتبران نموذجين للذكورة والانوثة عند الطفل والطفلة •

وقد كشفت لى ملاحظة سلوك ابنى وابنتى فى هذا الطور من النمو أن الفروق بينهما ظهرت أولا فى مجال الملبس ثم فى مجالات اللعب ، اذ بدأت الابنة بعدما

---

(1) Charles Harring Gton : Socialization process and personality By charles Herring Gor and John whiting. in Francais. Hsu. psychological Anthropology. New edition Cambridge. Mersachusetts, 1972 p. 496.

(2) Parsons T : Age & Sex in the social structures of the united state. In Talcott Parsons : Essays in sociological Theory. N.Y. Free Press. 1964. p. 90.

بلغت الثالثة ترفض لبس البنطلون وتتمسك بلبس الفستان والجونلة ، وترفض وتبكى لو حاولت الام قص شعرها ، وتطلب اطالته، وترفض خلع القرط الذهبى، وتقول دا ما أنا بنت وأنت ولد ، وأيضا ينفصلان فى لعبهما ، فهى تلعب بعرائسها ودمياتها وهو يؤدى دور الذكر ، وتتميز ألعاب الابنة عن الابن • فألعاب الابنة تتصف بالوداعة والهدوء ، وهى تقلد دور الام فى لعبها ، بينما يغلب على الابن ألعاب العنف ، والتمرد والاعتماد على القوة البدنية أحيانا ، ويقــوم الابن فــى ألعابه بدور الاب ويقول «أنا بابا» • وهو يردد دائما عندما يذهب لقص شعره «أنا ذاهب الى الحلاق مع بابا وانت تذهبين للكوافــير مع ماما » • ومن الواضح مــن ملاحظات الآخرين أن البنات يتفوقن فى أشياء معينة تبعا لنوع الثقافة السائدة • كما يتفوق الاولاد فى مجالات أخرى تحددها الثقافة ، فمثــلا ثبت أن البنــات يتفوقن فى أمريكا وأوروبا عــلى الصبية فى الاختبارات اللفظية (١) ، كما أن الصبية أكثر تفوقا ومهارة فى المواد العملية والقدرات الميكانيكية • كما أثبتت بعض الاختبارات التى أجريت على الفتيات الاوروبيات أنهن أكثر هلعا وأكثــر عصبية ، وأن الصبية أكثر انجازا وأكثر تطلعا الى المستقبل •

وما أن يصل الطفل الى سن السابعة من عمره ، حتى يبدأ فى تشكيل سلوكه وفق المعايير الثقافية السائدة والملائمة لتكوينه البيولوجى ويبدو على الطفل الفزع والخوف والقلق بل الغضب عندما يواجه موقفا يتطلب منه أن يسلك وفق سلوك دور النوع الآخر،وتفرض على الابنة فى هذا الطور ضغوطا ثقافية تمنع العنف، وتتطلب منها الرقة والنعومة،كما يواجه الابن فى هذا الطور ضغوطا ثقافية تؤكد التنافس والقوة،وتدين السلبية والتردد والخوف ويبدى كل طفل صغير الاعجاب بالالعاب التى تؤكد نوعه،والمهارات التى تؤكد تفوق نوعه • وتوحد الابن بالاب واقتدائه بسلوكه وتوحد الابنة بالام واقتدائها بسلوكها لا يرجع الى كونهما أبا وأما فقط ، بل يرجع الى انهما يمثلان بالنسبة للطفل أو الطفلة القيم السائدة فى المجتمع كما يجسدها له الكبار •

---

(1) Angrist Shirley : The study of sex role : Journal of social Issues vol. XXV No. I. 1969. p. 217.

ويرى بعض علماء النفس أن الطفل فيما بين العام الثالث والعام السابع من عمره، يبدأ فى التمييز بين البنت والولد، والام والاب، وتستند هذه التفرقة على رموز ثقافية محددة ، ابتداء من الملبس وشكل الجسم ، وتصفيفه الشعر ، ونبرات الصوت ، ومدى الاهتمام بالتزين قبل الخروج ، والوضع أثناء التبول ، وقد ثبت تجريبيا أن الطفل ابن السادسة من عمره يكتسب بعض التصورات عن معنى الذكورة ومعنى الانوثة ، ويعتمد اكتساب الخصائص التى تميز الطفل الذكر عن تلك التى تميز الطفلة الانثى على الاتفاق السائد بين أعضاء الثقافة الواحدة ، فهناك من الملامح الجسدية الظاهرة التى تميز ملامح الذكر البالغ عن الانثى البالغة ، ابتداء من الشارب حتى شكل الصدر ، وهناك السلوك الظاهر الذى يبدو واضحا فى تفضيل العنف والقوة عند الذكور ، وتحريم ذلك على الاناث ، وهناك بعض الصفات الكامنة مثل المشاعر والدوافع والاتجاهات والمعتقدات التى تخص كل نوع ، فالبنت لها قدرة على كبت العدوان ، والسلبية وتحمل الآخرين وتدليلهم وكما تتميز البنات بالجاذبية والجمال ويتميز الاولاد بالقوة .

الغرض من التنشئة فى طور الطفولة :

الغرض من التنشئة فى طور الطفولة ، تدعيم المعايير المرتبطة بأدوار السلوك ، وتثبيت المعتقدات العامة المشتركة التى تؤكد السلوك المناسب للولد أو البنت، وما يهمنا أن نؤكده هو أن توافق سلوك الطفل مع معايير دور نوعه يساعدنا على التنبؤ بسلوكه فى طور الرشد ، أما ان عجز عن التوحد مع معايير نوعه وتعارض سلوكه مع أفراد نوعه ، وأصبح يسلك سلوك أفراد النوع الآخر ، فهذا يؤدى به الى الشعور بالغربة عن أفراد نوعه .

ويكون الطفل أثناء تفاعله مع أبويه نسقا بنائيا ، ويتأثر هذا النسق بعمل

---

(1) Bell R. Q. : A reinterperation of the direction of effects in Studies of socialization. In Danziger (ed). Readings in child socialization. Op cit p. 326.

الام ، ومهنة الاب ، ومدى غياب الاب عن البيت ، وعدد الاخوة والاخوات ، ويدرك الطفل أثناء تفاعله مع والديه معنى دوره فى المجتمع ، والتزامات هـذا الـدور والتوقعات المطلوبة منه فى المواقف المختلفة ، كما يفهم معنى دور والده ، ودور والدته والفرق بينهما كما يعرف معنى الذكورة والانوثة والفرق بينهما ، كمـا يتعلم ما يتطلب من نوعه ، وتوقعاته هو من النوع الآخر ، والطفل داخل الجماعة الاسرية عضو ايجابى طيع ويتأثر تأثيرا كبيرا بأساليب الفطـام التى يفرضهـا الوالدان ، وكلما ازدادت أساليب الثواب والعقاب التى يفرضها الوالدان عـلى الطفل كان ذلك أكثر تأثيرا فى تحديد سلوك الطفل ٠

ويدرك الطفل العالم الخارجى الذى حوله أثناء تفاعله مع أمه ثم أبيه ، ومن ثم يبدأ فى ملاحظة سلوك الناس الذين يحيطون به ، ويتأثر بهم ،ويبدأ التوحد بالمثال ، ويتحدد السلوك المرتبط بدور النوع ٠ وقـد ثبت تجريبيا من معاملة الوالدين لاولادهما تباين هذه المعاملة ، حسب ترتيب الطفل بين أفراد أسرته ونوعه ، ويرجع ذلك الى تزايد تجارب الوالدين كلما كثر عدد الاولاد ٠

تأثير الانساق الاجتماعية على الطفل :

وقد بينت نتائج بعض البحوث الغربية أن الاطفال الذين ينشئون فى أسر كبيرة الحجم ، ولا تنظم فترات انجابها ، وتتقارب أعمار الاولاد فيها ٠ هم أكثر الاطفال حرمانا من رعاية الام ، وقد بين لنا سميث ، وسوتان (1) أن سلوك الطفل الاول يميل أكثر الى السيطرة ، وهو كثير المطالب ، عنيد ، لانه تعود أثناء تجارب طفولته أن يكون العضو الاكثر قوة والاهم ٠ كما يتصف الاطفال الصغار بأنهم يستعملون أساليب للتأثير على والديهم أكثر دهاء،كما يتميز الطفل التابع عنالطفل المسيطر (أى الطفل الاول) ، كما تتميز البنات بوداعـة الاخـلاق واستعمالهن

---

(1) Bell. R. Q. : A Reinterpretation of The Direction and Effects in studies of Socialization. In Danziger (ed). Reading in child socialization. op cit. p. 326.

أساليب السيطرة اللفظية بدلا من أساليب السيطرة العضلية ، والابن الاول أكثر اعتمادا على الغير وأكثر تقبلا للايحاء وأشد رغبة للتطوع لاداء تجارب أو أنشطة بلا مقابل ، وسلوكه دا ما يوجهه السعي نحو الحب ، وهو أكثر طواعية من اخوته للانتماء الى الآخرين • والابن الاول عادة أكثر خضوعا للسلطة ، كثير الكلام ، وأكثر توافقا وأكثر قلقا ، وربما يتميز بالذكاء الحاد ، وأكثر انجازا فـي التحصيل الدراسى ، وأقل عدوانا ، كما تختلف تجارب الابن الاول الذى يعقبه أخ أصغر منه بعام عن تجارب الابن الاول الذى يليه أخ أصغر منه بأربعة أعوام ، كما تختلف تجارب الاخ الاكبر الذى تعقبه أخت عن تجارب الاخ الاكبر الذى يعقبه أخ ، كما تختلف تجارب الابناء فى الاسر الكبيرة الحجم عن تجـارب الابنـاء فـى الاسر الصغيرة الحجم (١) وكذلك تختلف تجارب الاطفال فى أسر كلها بنين عن تجارب الاطفال فى أسر كلها بنات ، وعن تجارب الاطفال فى أسر أنجبت البنين والبنات ، اذ أن التفاعل المتبادل بين الاخوة له دور لا ينكر فى عملية النضج الاجتماعـى واكتساب العناصر البنائية المكونة للشخصية ، الا أن التفاعل الاجتماعى بـين الاخوة والاخوات والوالدين قد نال حظا ضئيلا من اهتمام العلوم السلوكية •

وعملية اكتساب دور النوع عملية مستمرة ، مثلها مثـل عملية اكتساب العناصر الاجتماعية المكونة للشخصية ، اذ تواجه هذه العملية مؤثرات خارجية تدعم المعايير التى يفرضها الوالدان ، أو تضعها موضع الاختبار • ولذا يمكن لنا ان نقول ان تأثير الوالدين على الطفل ليس كاملا أو أبديا ، فتأثير الاسرة الكامل على أبنائها محدود بفترة زمانية وينفك القيد الاسرى اذا ما واجه الطفل مطالب جديدة تفرض عليه من خارج الاسرة • ويواجه الطفل هذه المطالب عندما يبدأ الاختلاط بجماعة رفاق السن أولا وأبناء الجيران ، وزملاء المدرسة ، كما يتعرض لتأثير وسائل الاتصال والمنهج المدرسى فى المجتمع الحديث •

---

(1) McCandless Boyd. Childhood socialization. In David Goslin (ed) Handbook of socialization theory and Research. Chicago rand McNally College Publishing company. pp. 806 - 807.

فعندما يبلغ الابن الثانية من عمره ، يبدأ فى التفاعل مع اخوته ، كما يلعب ويتفاعل مع أبناء زوار الاسرة من الاقارب والاصدقاء • والطفل ابن العامين لا يؤثر ولا يتأثر برفاق السن، ولكنه يدرك معنى التعاون والتنافس، وتكوين العلاقات ويهم الطفل فى هذا السن أن يكون محبوبا، ومقبولا ومرغوبا، كما يشعر بالراحة لكمال تكوينه الجسدى ، ومدح الناس لطباعه الاجتماعية ، وعندما يخطو الخطوات الاولى الى المدرسة ويختلط بزملائه ، ويكون صداقات معهم ، يعرف أن ثمة فروقا بين الناس •

وجماعة الاخوة والاخوات ثم جماعة رفاق السن • هما الجماعتان المؤثرتان التاليتان على الطفل وتوحداته الاجتماعية بعد الابوين • بل قد يكون تأثير هذه الجماعة فى البلدان المتخلفة التى يحرم أولادها من التعليم أكثر قوة من تأثير الاسرة • وقد يتدخل الابوان فى تحديد واختيار هذه الجماعة ، وربما ينجحان فى اقصاء من لا يرغبان فيه ، ولكن الامر يخرج من سيطرتهما اذا التحق الطفل بالمدرسة (١)• والواقع أن للمدرسة دورا كبيرا لا ينكر فى الدول المتقدمة والنامية فى التأثير على الطفل ، فلهذا النسق التعليمى أهميته فى تطوير وابراز وصقل التطلعات والدوافع عند الصغار بالاضافة الى تزويدهم بالمعارف والمهارات ، وصقل قدراتهم •

والطفل فى المدرسة يواجه قيودا جديدة على سلوكه وتصرفاته لم يكن يعرفها فى البيت ، اذ تبدأ المدرسة فى فرض النظام عليه ، كما تطلب منه مطالب جديدة ، تختلف عن تلك التى عرفها فى البيت • ويبدأ المعلم فى معاملته كما يعامل الاخرين الغرباء وتلك المعاملة لم يكن يتوقعها من أبيه وأمه ، ولكن سرعان ما يبدأ الطفل التوافق مع البيئة الاجتماعية الجديدة ، ويتكيف مع زملائه ، ويحصل على معارف ومقررات لغوية جديدة• وهو يرى فى المعلم أو المعلمة صورة الاب أو الام، والمعلمة أفضل من المعلم فى السنوات الدراسية الاولى من المدرسة ، فهى أكثر حنانا ، وأكثر عطفا وتعد استمرارا لدور الام •

---

(1) Clausen, J. : Perspective on childhood socialization. in clausen J. (ed) : Socialization and society op. cit, 167.

وابتداء من العام الدراسى الثانى ، بعد التحاق الطفل بالمدرسة يبدأ البناء الاجتماعى للفصل المدرسى فى الوضوح والتبلور ، وتبدأ مرحلة التقبل الاجتماعى وتكوين الصداقات ، ويعرف الطفل معنى التفوق ، ومعنى التعاون والمشاركة ومعنى التنافس ، ومعنى النجاح ، ومعنى الجهد والعائد من النجاح ، ومعنى التكاسل وارتباطه بالفشل والرسوب ، ويبدأ الطفل فى الخضوع تماما للنظام المدرسى ، كما تنظم علاقاته بالمعلمة بحيث يكون معها ومع زملائه نسقا اجتماعيا ، كما يكون معها شخصيا نسقا فرعيا ، يؤثر على سلوكه ، وعلى تحصيله الدراسى • ويتعلم الطفل أثناء ممارسة النشاط المدرسى كيف يحقق الاهداف ويواجه أساليب جديدة للثواب والعقاب ، تختلف عن الاساليب التى تعودها فى الاسرة تدفعه دائما الى التكيف مع مطالب الموقف ، وتحقيق توقعات المعلمة •

وقد وجدت الحكومات الثورية ، ذات النظم الجديدة ، والتى تبغى بث قيم عصرية مغايرة للقيم السادة ، أن السبيل الوحيد الناجح لتحقيق أهدافها واستمرارها فى مواجهة أساليب التنشئة الاجتماعية الاسرية المحافظة ، أن تضع لاطفال المدارس الابتدائية برامج ومناهج تربوية جديدة ، لدمج القيم الجديدة عند الاطفال الصغار ، وهذا ما حدث فى فرنسا بعد الثورة الفرنسية وفى الاتحاد السوفيتى بعد ثورة اكتوبر ، وفى كل من ايطاليا والمانيا بعد استيلاء النظام الفاشستى والنظام النازى على السلطة ، وهو ما يحدث الان فى كثير من البلدان ، المستقلة حديثا ، والتى تسعى لعبور التخلف ، وقد غيرت كل هذه الحكومات المناهج الدراسية لتتلائم مع الاوضاع الجديدة ، فالمدرسة هى خير أداة لاكتساب الطفل أنماط السلوك التى تتوافق مع الحديث ، بل حتى اسرائيل بعد احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ ، وضعت برامج دراسية تؤكد للاطفال الاسرائيليين حقهم فى الوطن الجديد المغتصب من العرب ، ويقول كلوزين ـ وهو رجل امريكى ـ أن المهاجرين الجدد من أوروبا الشرقية الى اسرائيل ، قد قدموا ومعهم قيم جديدة ومهارات جديدة لا تتلائم مع قيم مجتمع الصحراء • فكان لابد لتحقيق النجاح والتكيف مع حياة المستعمرات الجديدة أن يتخلوا عن أساليب الحياة والعادات التقليدية الوافدة معهم ، من أجل الاقامة فى المستوطنات الجديدة ، فبحثوا عن أساليب جديدة لتحقيق

التكامل مع المجتمع ، وأصبح للتعليم مسئوليات جديدة ومهام جديدة (١) ، وكان تعليم الاطفال تعليما موجها هو السبيل الى تكوين صورة المجتمع الجديد التى يريدها حكام اسرائيل ٠

وقد يواجه الطفل فى المجتمعات التى تمر بفترات التغير الفجائى مرحلة يعانى فيها من التعارض بين ما يلقن داخل الاسرة ، ويتعارف عليه بأن له خصائص مقدسة،وبينما يتضمنه المنهج الدراسى الموجه، وما تبثه له وسائل الاعلام ، وهذا ما واجهه أطفال مصر بعد عام ١٩٥٢ ، اذ شعر أطفال المدارس بالتناقض بين ما يلقنه لهم الاباء من أفكار وآراء وقيم ومعايير ، وما يسمعونه وما يقال لهم عن تجاوزات ثورة ١٩٥٢ أثناءالتطبيق الاشتراكى وبينالقيم والمبادىء التىيقرأونها أو تشرح لهم داخل الفصل الدراسى ، وتمتلأ بها الكتب الدراسية ، هذا التناقض بين ما يسمع فى البيت ، وما يقرأ فى المدرسة ، أوجد ما نستطيع أن نطلق عليه مرحلة ازدواج القيم أو التناقض الوجدانى عند الطفل المصرى (٢) ٠

كذلك أصبح لوسائل الاتصال فى المجتمع الحديث أهمية خطيرة فى التأثير على الصغار (٣) ، وتوجيه السلوك المرتبط بالنوع وتأكيده بل قد يبدأ تأثير أجهزة الراديو والتليفزيون قبل التحاق الطفل بالمدرسة ، ولهذين الجهازين سحر على الاطفال وقوة تأثير فى تشكيل سلوك الصغار وتوجيههم والتأثير عليهم ، ومع ذلك فاننا نواجه ندرة البحوث سواء على المستوى العالمى أو المحلى التى تتقصى أثر هذين الجهازين على الصغار ٠

ونحن وان كنا نعلم الكثير عن مقدار الوقت الذى يقضيه الصغير أمام الشاشة الصغيرة ، فاننا نعرف القليل عن تأثير البرامج التليفزيونية والصحف والمجلات والاذاعة السمعية على سلوك الاطفال ٠

---

(1) Clasusen : Ibid p. 154.

(٢) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية ـ الفصل التاسع رسالة دكتوراه ـ جامعة الاسكندرية كلية الآداب ١٩٧١ ٠

(٣) McCandless Boyd : childhood socialization in MeCandles p. Ibid p. 815.

ويبدو أن قلة من الاطفال قد تأثروا بظاهرة العنف التى تشاهد فى الروايات والتمثيليات التليفزيونية،أوما يعرضه التليفزيون من مثيرات جنسية، على أننا لا ننكرفىالوقت نفسهالتأثيرالكبير لامثال هذه المسلسلات على أنواع الملبس والسلوك والتعبير عن العاطفة ، فلا أحد ينكر تأثير أفلام جيمس بوند ومسلسلات فرافيرو على الصغار ، وأيضا حلقات الرجل الخارق والمرأة الخارقة ٠ وقد بين لنا د٠ احسان محمد الحسن (١) فى دراسته عن آثار التليفزيون الاجتماعية والنفسية على الاطفال فى العراق ، ان الآثار التى يتركها الجهاز على عقول الصغار لا تختلف عن الآثار المترتبة عن وسائل الاعلام الاخرى ، التى يتعرض لها الاطفال كالسينما والراديو والمجلات ، وتبدو أهمية التليفزيون فى حياة الاطفال من خلال الخبر والتجارب والتمثيليات والبرامج المختلفة ، اذ يزود هذا الجهاز الطفل بالمعلومات والمعارف والاخبار المحلية والعالمية ويقدم له الكثير عن عادات وتقاليد المجتمعات والجماعات المختلفة ٠

وهكذا يتبين لنا أن تشكيل سلوك الطفل واكتسابه لدور نوعه عملية متراكبة تبدأ من تقليد الوالدين مرورا بتأثير رفاق السن من أبناءالجيرة وزملاء المدرسة الى الخضوع للنظام المدرسى وانتهاء بتأثيرات وسائل الاعلام ٠

كما أن هذه العملية أى عملية تشكيل سلوك الطفل تؤكد أن المرأة هى المرأة والرجل هو الرجل أينما يعيشان ، ويأكلان ، ويلعبان ، ويعملان ويتفاعلان سويا٠ وهذه العملية تؤكد عمومية السلوك المرتبط بالنوع كما أن هذه العملية عملية موجهة تفرضها قيم وثقافة المجتمع ، وقد يتعرض الطفل فيها لثقافات متباينة ، وافدة ، تناقض ثقافة مجتمعه كما هو الحال فى بعض المسلسلات التى يعرضها التليفزيون أو الحكايات المترجمة والتى تنشرها مجلات الاطفال ٠ مما يكون له أثره فى القيم التى تدمج فى شخصيته ٠

---

(١) احسان محمد الحسن: آثار التليفزيون الاجتماعية والنفسية على الاطفال ٠ بغداد٠ الجامعة المستنصرية ٠مجلة الجامعة المستنصرية ٠ العدد الثالث السنة الثالثة ١٩٧٢ ص (١٥٤ ـ ١٦٣) ٠

الفصل الثالث

موقف الدراسات النفسية من الطفل

- المداخل النفسية المعاصرة فى دراسة الطفل ٠
- مساهمة علم النفس الامريكى فى دراسة الطفل ٠
- جهود علماء النفس الفرنسيين والانجليز فى دراسة الطفل ٠
- آراء فرويد والبورت وبياجيه فى الطفل ٠

موقف علم النفس من الاطفال

تمهيد :

لقد اتفقت العلوم السلوكية كلها على خطورة طور الطفولة ، وأدلى كل منها بدلوه فى دراسة هذا الطور ، وكان لعلم النفس فضل الريادة فى اقتحام عالم الطفولة . اذ أعطى علم النفس اهتماما متزايدا للطفل وتركيزا أكبر للدراسات المهتمة بشخصية الطفل . كما ارتبطت بعض هذه الدراسات بقضايا نظرية محددة . كما اتجه البعض الآخر منها اتجاها تجريبيا بحتا . وقد أثرت آراء فرويد عن الطفل ، والطفولة والتعليم والصراعات التى يعانيها الطفل فى أغلب الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية والتربوية والطب النفسى، بل كان لتاثير علم النفس التحليلى الفضل الاول لظهور الانثروبولوجيا النفسية . ومبحث البناء الاجتماعى والشخصية فى علم الاجتماع .

ولقد أكدت الدراسات النفسية على العلاقة بين الطفل والوالدين أو من ينوب عنهما ، كذلك أعطت هذه الدراسات مزيدا من الاهتمام لسلوك الطفل والعمليات التي تؤثر فى تشكيل هذا السلوك مثل عملية التوحد ، وتكوين الضمير ومراحل نمو التفكير العقلى وتكوين الدوافع ، والحقيقة التى لا تنكر أن علماء النفس قد أولوا الطفل اهتماما أكثر من غيرهم. فعنوا بدراسة سلوكه والعمليات الاجتماعية والنفسية والادراكية التى تصاحب طور الطفولة .

واذا كان النفسيون هم المبدعين والرواد الاول لدراسة الطفولة ، كما أن تأثير فرويد وليفين وبياجيه ودولارد فى دراسات الطفل لا تنسى ، فالامر الذى يسترعى الانتباه حقا ، هو تباين المداخل تباينا كبيرا بين علماء النفس الذين درسوا شخصية الطفل وسلوكه وتأثيرات الوالدين أو أحدهما على الابن .

المداخل النفسية فى دراسة الطفل :

ويمكن أن نصنف هذه المداخل النفسية الى ثلاثة (١) :

---

(1) Clausen J. : A Historical and comparative view of socialization theory and research : In John Clausin (ed) socialization and society op cit, pp. 31 - 39.

المدخل الاول ويرتبط بمدرسة التحليل النفسى ويركز أساسا على تأثير العلاقات الوالدية على الطفل وأثر هذه العلاقة فى ظهور اشكال محددة من السلوك، والمدخل الثانى ويستخدم نماذج تصورية تنبثق من انصهار مدرسة التحليل النفسى مع نظريات التعلم ، وتهتم بأثر الثواب والعقاب على سلوك الطفل ، والمدخل الثالث يعتمد على مفهوم المثال أو القدوة الذى يحتذى به الطفل ، كما يتضح ذلك من دراسات والتر باندورا ، والذى درس سلوك الوالدين باعتباره المثال الذى يحتذى به الطفل عند أداء الدور • ويضاف الى هذه المداخل الثلاثة الدراسات النفسية التى أهتمت بكيفية اكتساب الطفل لمفردات اللغة ونمو العمليات العقلية لديه والنمو النفسى لذاته •

ولقد أغفلت هذه الدراسات النفسية أثر البيئة الاجتماعية فى نمو العمليات الادراكية والعقلية ونمو الانا • ولكن الدراسات التى اهتمت حديثا بالفقر ، وما صاحب ذلك من جهود قومية للتغلب على عوامل الحرمان المادى ، والتخلف الاقتصادى ، أدت كلها الى دراسة العلاقات بين الابنية النفسية والإجتماعية ونمو العمليات العقلية والادراكية عند الطفل •

ولقد أدى ظهور بعض النظريات النفسية التى تستند على منهج محدد والتى تهتم بمشكلات القياس وتكرار النتائج واستخدام المماثلة التجريبية فى تجارب التنشئة ، والاهتمام بأساليب المنهج المركب المبنية على تحليل عدة متغيرات الى ظهور عدد كبير من البحوث التى تهتم أساسا بالطفل والتنشئة • بيد أن القضايا النظرية التى اتخذت معيارا للبحث المنهجى أدت الى اغفال جانب كبير من الواقع الحقيقى الشديد التباين ، من ثم اقتصرت البحوث على بحث قضايا صغيرة خاصة بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل (١) •

ومن أشهر الدراسات النفسية التى كان لها تأثير كبير فى العقدين الاخيرين

---

(1) Ibid pp. 50 - 62.

دراسات الشخصية المتسلطة (١) التى قام بها ادورونوا عام ١٩٥٠ ٠ وكان يهدف من هذه الدراسة الى دراسة الاسرة وانماط التنشئة المرتبطة بالاتجاهات التسلطية والتعصب ٠ وثمة دراسة كلاسيكية عن أثر المناخ الديموقراطى أو التسلطى عـلى الطفل وأيضا الآثار المترتبة على التمرد فى مواجهة الاحباطات الاسرية ٠ وقـد اعتمدت معظم هذه الدراسات على الملاحظة المباشرة المستمرة لانشطة الطفل وألعابه التلقائية الحرة فى البيئات الطبيعية لا فى البيئات التجريبية ٠ وتعد دراسة سيرز ١٩٥٧ عن انماط تربية الطفل أكثر الدراسات شمولا عن الطفولة المبكرة فـى الولايات المتحـدة ٠

مساهمة علم النفس الامريكى فى دراسة الطفل :

لقد استفاد علماء النفس فى أمريكا من الدراسات التى أجريت على النمو ، كما استفادوا من علم النفس الاجتماعى واهتموا بعمليات التعلم ، وقدموا لنا مزيدا من الابحاث التى تتعلق بعمليات التنشئة والتربية ٠ وقد ساهمت نظريات الشخصية ، ونظريات التعلم فى الاهتمام باجراء بحوث تجريبية عن كيفية اكتساب الطفل لشخصيته ٠

---

(١) هو نمط للشخصية يتميز بالتوافق المتطرف والجمود وكبت المشاعر العاطفية والخضوع للسلطة والغطرسة على من هم أدنى ٠ وتعد أساسا شخصية غير مستقرة وغير مطمئنة تنشد الطمأنينة فى التدرج الاجتماعى والتوحد مع الجماعة المفضلة ٠ ويصاحب الاعتقاد بأن القيم العليا تتجسم داخل جماعة الشخص٠ وقد استخدم هذا المفهوم فىدراساتالتعصب، وتعتمد فائدة هذا المصطلح على المدى الذى تترابط فيه العناصر المكونة للشخصية المتسلطة فى ظروف مختلفة وفى بيئات ثقافية متباينة ٠

Theodorson. George : Modern Dictionary of sociology : Achilles, Theedoroson & George theodorson, New York. Thoman. Y. Crowell 1969. p. 21.

ومما يثير الدهشة حقا خلو مقدمة كتاب جاردنر (مقدمة تاريخية فى علـم النفس الحديث الصادر فى ١٩٢٩) (١) من أية اشارة الى مصطلح التنشئة أو أية مصطلح مرادف له ، واغفاله لدراسة الطفل كأساس لعملية تكوين الشخص البالغ· ولقد اقترب ماكدوجال فى بعض كتاباته مما نعتبره الان من مظاهر عملية التنشئة الاجتماعية كما نجد مثل هذا الاثر فى مساهمة مجموعة من الاجتماعيين النظريين الذين جعلوا الوعى بالذات وعلاقة الذات بالذوات الاخرى مركز الثقل فى علـم النفس الاجتماعى بدلا من الحياة الفريزية · ويعتبر هذا العمل أول مساهمة جادة لدراسة التنشئة الاجتماعية ، وقد ازدادت هذه النزعة لدى وليم جيمس وجيدنج وبالدون وكولى وجوندیوی ومورفى · الذى نجد فى كتاباته عـن علـم نفس الطفل (١٩٢٩) اشارات قليلة متناثرة عن عملية التنشئة · ·

ولقد بدأت دراسة علم نفس الطفل تتأثر بنظرية التطـور التى وضعهـا داروين · وكان علماء النفس الاوا ل فى هذا المجال وعلى رأسهم بالدوين يرون أن التطور من شخصية الطفل الى شخصية الراشد يمثل مظهرا من مظاهر التطور الذى مر به الانسان العاقل فى تطوره نحو العصر الحديث ، ومن ثم كانوا يرون أن الانثروبولوجيا علم مكمل حتما لعلم النفس · ولقد تأثر هذا الاتجاه بجدلية هيجل وبرجماتيه وليم جيمس · ولقد استندت نظرية بالدوين عن نمو الطفل الى حد كبير على نظرية التطور وملاحظة سلوك الاطفال الرضع · ولقد تأثر بالدوين بظهور القدرة على التمييز والتوافق عند الطفل خـلال تفاعله مـع المربـين ، ولاحظ جدلية نمو الشخصية أثناء عملية الاخذ والعطاء بين الطفل والمربى · ومن خلال الجدلية ينتقل الميراث الاجتماعى للطفل ·

ولقد أشار بالدوين الى اللعب والمحاكاة باعتبارهما وسيلتين لتحقيق عملية التنشئة الاجتماعية وفق الطبيعة · اذ يتعلم الطفل معنى مواقف الحياة أثناء اللعب والمحاكاة ، فهو يجرب الطرق المختلفة لاداء الاشياء ، ومن ثم يدرك قدراته الخاصة

---

(1) Clausen, John : A Historical and comparative view of socialization theory and research. Op. cit. p. 31.

وحدودها ٠ ولقد أثر بالدوين تأثيرا هاما على كل الفكر المتأثر بنظرية داروين فى كل من الولايات المتحدة وأوروبا ٠

ولقد تتبعت دوروثى ماكلين جيلا من البحوث عن نمو الطفل ٠ ولاحظت أن ثمة نشاطا مبكرا بدأ يهتم بالطفل منذ عام ١٩١٩ ٠ جمع بين علماء النفس والانثروبولوجيين عندما انعقد مؤتمر رفاهية الطفل ،الذى عرف فيما بعد باسم نمو الطفل ٠ لتقديم البحوث واعداد الاخصائيين العاملين فى مجال نمو الطفل ٠

ولقد أسست جمعية بحوث نمو الطفل فى أمريكا عام ١٩٣٣ ٠ وخلال تلك الفترة ، أنشأ عدد من المراكز والتنظيمات التى تهتم برفاهية الطفل فى بعض الجامعات الامريكيةالكبرى٠ وكانأهممن دعم هذا الاتجاه فلورانس فرانك٠ ورغم أن فلورانس فرانك كان من أهم الذين كانوا وراء اكتشاف العلاقات بين الثقافة والشخصية ، سواء فى كتاباته أو فى تدعيم الانشطة المشتركة ، فان العاملين فى مجال نمو الطفل مالوا الى الاهتمام بالنمو الفيزيقى ، ونمو الذكاء ، وغاب عنهم أثر الثقافة والتفاعل الاجتماعى باعتبارهما مؤثرين هامين فى عملية النمو ، ومما هو جدير بالذكر أن أغلب الدراسات حتى عام ١٩٣٦ أغفلت وضع الطفل فى البيت ٠

وعلى الرغم من وجود مئات من البحوث التى تصف وتقيس ما يحدث فى المدرسة الابتدائية فان معرفة الباحثين بتفاصيل الحياة البيئية وأثرها على نمو الطفل تعد معرفة قليلة نسبيا ، وثمة عدد قليل من البحوث التى تهتم اهتماما مباشرا أو غير مباشر بالاساليب التربوية التى يفرضها البيت ٠ ولهذا السبب فان عدد البحوث التى ترشدنا الى دراسة الطفل الصغير فى محيط أسرته قليلة ٠

ولقد ظهر علم النفس الاجتماعى باعتباره مجالا للاهتمام المشترك بين علم النفس وعلم الاجتماع ٠ وأول الكتابات التى كتبت بالانجليزية فى هذا المجال نشرت فى عام ١٩٠٨ ٠ وقدم الكتاب الاول عالم الاجتماع روس ٠ وكتب الكتاب الثانى عالم النفس ماكدوجال ٠ وكما نعرف فان روس أشار الى البيئة الاجتماعية عندما تعرض فى مناقشاته الاولى للضبط الاجتماعى ، ولقد كان تأثير

ماكدوجال كبيرا فى هذا المجال،وقد أكد على الغرائز وتأثيرها على نمو العواطف ولقد كان ماكدوجال أكثـر وضوحـا من روس عندما درس عمليـة التنشئـة ، وبتأثير بالدوين قدم لنا دراسة تفصيلية عن نمو الشعور بالذات ، كما اهتم أيضا بدراسة التشكيل الاجتماعى للفـرد ٠

وقد ظهر فى العقد الثالث من هذا القرن اتجاه هام يعطى مزيدا من الاهتمام لدراسة الغرائز والعواطف التى تتكون عند الطفل والاساليب التى يتعلم بها الطفل العمليات التى تجعل منه اجتماعيا ٠ ولقد تضمن كتاب جاردنر ومورفى (علم النفس الاجتماعى التجريبى) فصلا خاصا بعنوان (نمو السلوك الانسانى فـى الطفولة المبكرة) ، ويتضمن هذا الفصل الاشارة الوحيدة الى عملية التنشئة ٠ كما درس هذا الفصل النمو المبكر للابتسامة والصياح ، وكيفية الاستجابة للمثيرات البصرية والسمعية التى تصدر عن الاطفال ٠ أما الطبعة الثانية من هذا الكتاب فقد تضمنت عنوانا فرعيا هو (تفسير البحث فى عملية التنشئة الاجتماعية للفرد)٠ ولقد كانت تأثيرات التطورات الحديثة فى الانثروبولوجيا واضحة وضوحا كاملا فى المناقشات الاساسية عن علاقات الفرد بالثقافة ٠ ولقد رأى مورفى أن الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية أصبح شائعا فى كتابـات كل من دىبوا وبـواز وبندكيت وفرانك ٠ وهذا المفهوم فى رأيه يعد مدخلا خصبا لدراسة الثقافة والشخصية وهو المجال الذى أثار اهتمام كل هؤلاء العلماء ٠

كذلك كان كتاب كيمبال يونج الذى قام بدراسة مركزه عن (نمو الفرد فى المجتمع) أكثر درايـة ومعرفة بالتراث النفسى من زملائه الاجتماعيين ٠ حيث أفرد لنا ستة فصول عن الشخصية والمشاركة فى الجماعة ٠ كما درس كيمبـال جوانب النمو المختلفة ، وكيفية تدريب الطفل فى الاسرة ، والتأثيرات الاجتماعية والبنائية فى جماعة اللعب والمدرسة ، والتنظيمات الاجتماعية الاخرى التى يشارك فيها الطفل ٠

وكان المناخ الفكرى منذ بداية الثلاثينات مشبعا بآراء نظريات التحليل النفسى ونظريات التعلم٠وقد ظهرت مدارس عديدة اهتمت بدراسة الطفولة وعملية

التنشئة الاجتماعية ولقد حاولت بعض هذه المدارس أن تنهل من أفكار مدرسة التحليل النفسى ونظريات التعلم وأن توفق بينهما بينما كانت بعض المدارس الاخرى تقبل أحد الاتجاهين وترفض الآخر ٠

وحتى فى المراحل المبكرة لظهور الاهتمام بدراسة الطفل ٠ لم يكن علم النفس وعلماؤه يعملون فى واحة منعزلة ٠ وانما كانوا يستعينون بآراء الانثربولوجيين ويستفيدون منها ٠ ويؤكد ذلك تلك الحلقة الدراسية التى عقدت فى نهاية عام ١٩٣٦ لدراسة السلوك العدوانى ٠ وقد جمعت هذه الحلقة كل من هل ودولارد وسيرز وبيلزوكارل هوفلاند ولينارد دوب من رجال علم النفس ٠ كما ساهم فيها أيرل زين من رجال التحليل النفسى وكما اشترك فيها من الانثروبولوجيين ميردوك وفورد وجون هوايتنج ٠

وقد كان لجماعة يال Yale تأثيرها القوى فى الاربعينات والخمسينات فقد لجأ أعضاء هذه الجماعة الى التجارب المعملية (١) ، وانصرف اهتمامهم الى شخصية البالغ وما يسبقها من ظروف مقترنة بنمو شخصيته ووصلوا الى فروض ونظريات عن تأثير تجارب الطفولة الاولى على شخصية البالغ ، وقد انصرف أعضاء هذه المدرسة فى أواخر الثلاثينات وأوائل الاربعينات الى اجراء البحث التجريبى على الاطفال فى محاولة لتفسير العمليات التى يكتسب بها الاطفال أنماط ثقافة الكبار ٠ ولقد اختبرت هذه الجماعة الرأى القائل بأن أسلوب العقاب الذى يستخدمه الوالدان ، له آثار هامة على نمو شخصية الطفل ٠ ولهذا افترضت بأنه يمكن دراسة ذلك باجراء المماثلة التجريبية على الحيوانات ويمكن اجراؤها فى المعمل ، الا أن أعضاء هذه الجماعة كانوا يؤمنون بأننا اذا ما عجزنا عن اجراء التجارب على الاطفال استبدلنا بهم الحيوانات ، كما أكدت كل هذه المدارس على الحوافز والدوافع الاجتماعية المكتسبة ، مثل الاعتماد على الغير ٠

أما فى انجلترا فان المتتبع للدراسات المهتمة بالطفل لا يستطيع أن يتجاهل أثر سوزان ايزكس ودورثى برمنجهام وآنا فرويد وقد كانت المدرسة الانجليزية فى علم النفس متأثرة باتجاهين رئيسيين ، أولهما الاتجاه الانثروبولوجى والاخر التحليل النفسى ٠٠ قد كان المثير الاكبر للدراسات المهتمة بالطفل الاهتمام بالتحليل النفسى

(1) Ibid. p. 38.

والمشكلات التى أثارتها الحرب العالمية الثانية • وفوق ذلك كله المشكلات التى ترتبت على تهجير الاهالى أثناء الحرب وقد درس علماء النفس أثار الحرمان من الام، كما اهتموا بالعلاقة بين التنشئة الاجتماعية والبناء الاجتماعى ، كما درسوا العلاقة بين عائلات العمال فى بيئات اجتماعية مختلفة وانماط التنشئة ، وأثر ذلك على سلوك الطفل ، وقد لاحظ كلين أن المدرسة الانجليزية تعتمد اعتمادا كبيرا على الدراسات المنهجية التى تمت فى الولايات المتحدة عن موقف الآباء نحو أبنائهم نظرا لندرة الدراسات الانجليزية عما يفكر فيه الوالدان وعما يفعلونه ازاء الطفل ، على أن هذا الموقف قد تغير بعد الحرب •

ومن أطرف الدراسات المقارنة تلك التى قام بها دوفر وبرونفنبرنر وروجرز عن الصفات التى يسقطها الاطفال على والديهم فى كل من أمريكا وانجلترا (١) • فقد وجد الباحثون تماثلات كثيرة عديدة للاوصاف التى يسقطها الصغار الذين تقع أعمارهم فى الحادية عشر على والديهم فى كل من انجلترا والولايات المتحدة ، على أنهم لاحظوا أن نتائج هذه المقارنة تدل على أن الاطفال الامريكيين يرون أن آباءهم أكثر الحاحا فى الطلب والرغبة فى السيطرة • فالاباء الامريكيون أكثر طلبا وأكثر عاطفة وأكثر دعما لابنائهم من الاباء الانجليز • كما أن الاباء الانجليز يعتمدون اعتمادا قويا على التأنيب بينما يعتمد الاباء الامريكان على الاساليب النفسية للعقاب ، وتظهر الدراسة المقارنة أن تباين الادوار بين الام والاب فى انجلترا أكثر وضوحا ، وأكثر تحديدا ، كما أن الامهات فى انجلترا يلعبن دورا أهم من دور الآباء فى تنشئة الابن ، كما أن التباين بين أدوار الولد والبنت أكثر وضوحا فى انجلترا • حيث يعامل الابناء بقسوة وصرامة أشد • ودلت الدراسات اللاحقة فى هذا المجال على أن التأثير فى اتجاهات الطفولة وتدعيم دور الاطفال الانجليز أشد بروزا منه بين الاطفال الامريكيين •

---

(2) Ibid. p. 58.

كما ظهرت دراسات هنرى موارى عن نمو الشخصية ، الذى استشهد بآراء فرويد وهويتنج وادلر ، وأيضا أراء ماكدوجل ولفين وقد اعتبر موارى الشخصية عملية ديناميكية تفهم فى اطار تنظيم جديد ، وحدد نمو الشخصية بأنه ادماج الانماط الثقافية كما اهتم موارى اهتماما كبير بالصور الثقافية وحاجات الفرد الاساسية وكانت جهوده فى تحديد الاساليب التى تؤثر بها أحداث الطفولة على نمو الشخصية نقطة البداية فى أبحاث أخرى عن تأثير المطالب الاجتماعية والابنية الثقافية فى تشكيل الشخصية وتغييرها . ويبدو واضحا من الكتاب الذى اشترك مع كليد كلوكهون (١) فى كتابة مقدمته والذى ظهرت الطبعة الاولى منه عام ١٩٤٨ والطبعة الثانية عام ١٩٥٦ مدى مساهمته فى أبحاث الطفولة ودراسات الشخصية ومحاولته التوفيق بين الشخصية والمجتمع والثقافة . وتعكس لنا تلك المقدمة وعنوان هذا الكتاب وما تضمن من مقالات كثيرة مدى مساهمة مورای فى دراسة الشخصية ، وخاصة شخصية الطفل .

جهود علماء النفس الفرنسيين والانجليز فى دراسة الطفل :

ولعله من المفيد الان أن نلقى نظرة أيضا على مكانة الطفل عند علماء النفس الفرنسيين بعد تلك الجولة السريعة عن الدراسات النفسية الامريكية المهتمة بالطفل . ولعل أبرز العلماء الفرنسيين فى هذا المجال شوبارت وبياجيه ، فقد كان شوبارت دى لوف أستاذ الانثربولوجيا الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعى بالسربون . ومن أشهر دراساته المرض النفسى الاجتماعى للطفل غير المتوافق ، والطفل وحاجاته فى المدينة المعاصرة . كما كتب كثيرا من المقالات . وأجرى العديد من البحوث عن العلاقة بين مراكز ونماذج الاطفال والامهات وارتباط ذلك بوسائل الاتصال ، كما ظهر له حديثا كتاب (صورة واسطورة الطفل عند الكبار) وكتاب (المثال عند الاطفال واتجاهات هؤلاء الصغار نحو العنف).
وقد لاحظ شومبارت وجود خمس اتجاهات اساسية عند دراسة الطفل وهى(٢):

(1) Kluckhoon, Clyde : Personality in Nature ,society, and culture Edited by Clyde Kluckhoon and Henry Murry, 2ed N.Y. Alfred Knope 1956.

(2) Clausen, John : A Historical and compartive View of socialization theory and Research. op, cit, p. 55.

١ ـ أهمية دراسة التوحد وتكامل الادوار الاجتماعية ٠
٢ ـ التأكيد على ظروف البيئة الاجتماعية كما تفرض على الطفل ٠ مثل الظروف الاقتصاديةوالاجتماعية وانماط الثقافة المحلية وبيئة هذا الطفل والعوامل الايكولوجية التى تؤثر عليه ٠
٣ ـ التأكيد على وظيفة التمثلات والصور الاجتماعية والنماذج ونسق القيم ٠
٤ ـ تحديد مراحل النضج الاجتماعى والتوافق وسعة الافق ٠
٥ ـ النظرة الملحة الى الافعال المتبادلة بين الفرد والمجتمع ٠

وقد لوحظ أن كثيرا من الباحثين الفرنسيين فى علم النفس يستعملون كلمة التنشئة Education كما استعملها دوركيم ، مما يجعل أبحاثهم لا تتلائم مع المعنى الشمولى لهذا المصطلح ، ومع ذلك فقد كانت أبحاث الفرنسيين فى عمليات التنشئة مستفيضة ٠

ولن تكتمل اسهامات علماء النفس فى دراسة الطفل الا بعرض جهود فرويد والبورت وبياجيه فقدساهم هؤلاء العلماء الثلاثة مساهمة كبيرة فى القاء الضوء على سلوك الطفل وشخصيته ٠

١ ـ سيجموند فرويد :

من أهم آراء فرويد تأكيده الاتصال بين حالتى الصحة والمرض وارتباط الطفولة بالرشد ، ويرى فرويد أن وظيفة المحلل النفسى تحقيق ما نسميه ازالة آثار الرواسب اليومية٠وبذا ارجع فرويد جميع حالات المرض فى مراحل الكبر الى تجارب السنوات الخمس الاولى من حياة الشخص، وأكد أن جميع اهتمامات الشخص البالغ وتفضيلاته واتجاهاته وضعت جذورها فى مرحلة الطفولة ، ولذا يجب على المحلل النفسى أن يتتبع الاعراض المرضية وأن يرجع فى دراسته الى التجارب التى مارسها وعايشها الطفل ، ولا يقف عند حد الفترة الزمانية التى تحدث فيها الحالة المرضية ٠

ومن الاكتشافات الفرويدية الاخرى تأكيده على أن مبدأ اللذة هو الذى يسيطر على عمليات الجهاز النفسى منذ الميلاد (١) ٠ كذلك اكتشف فرويد أن سيادة

(*) راجع آراء فرويد عن الشخصية باسهاب : عند محمد سعيد فرح (البناء الاجتماعى والشخصية) الهيئة العامة للكتاب ـ الاسكندرية ١٩٨٠ ٠ الفصل الاول ٠

(1) Freud, S : Civilization its discontent : In the the major works of S.Freud. Chicago, William Benton, Publisher Ency Brinatina. p. 72.

الشعور على السلوك البشرى وافعال الانسان سيادة محدودة وأن الحوافز البدائية والشريرة للجنس البشرى لم تختفى من الانسان ، بل استمرت فى وجـودها ثـم استقرت فى اللاشعور فى صورة مكبوتة • وقد أعلى فرويد من قيمة هذا اللاشعور ومدى سيطرته على تصرفات المـرء وسلوكه ، وأشار الى أن هذه الحوافز اللاشعورية تتحين الفرص لتظهر جلية وتلعب دورها فى تحديد السلوك • ومن ثم فقد تحدث هذه العمليات النفسية دون أن يشعر بها المرء أو يسيطر عليها • ورأى فرويد أن الغرائز هى منبع الطاقة الوحيد لكل سلوك انسانى • وهى الدافع المستتر وراء أوجه النشاط الانسانى المتباين •

وقد قدم فرويد تفسيرا جديدا كل الجـدة فى بنـاء الشخصية ، ورأى أن الشخصية تنظيم نفسى ينقسم الى ثلاثة أجزاء : الهو ، والانا ، والانا الاعلى • ويرى فرويد أن التنظيم النفسى للشخصية تنظيم حقيقى وليس مجرد تجسيم أو تعبير عن أشياء مجردة وكل جزء من أجزاء الشخصية له وظائفه وصفاتـه ومكوناتـه ومبادئه العامة وديناميكيته• وتتفاعل هذه الاجزاء فيما بينها ، والسلوك النأتـج عن الشخصية دائما هو نتيجة العلاقة بين هذه التنظيمات وقلما يعمل أحد مكونات الشخصية وحده مستبعدا العنصرين الاخرين •

وسنحاول أن نعرض لمكونات الشخصية عند فرويد التى تتكون فى طور الطفولة بشىء من الايجاز :

أولا : الهـو :

الهو هو أول التنظيمات الرئيسية فى بناء الشخصية وهو جزء أساسى فى تكوين شخصية الفرد ، متأصل كامن فى وجوده ، وملازم له خلال الحياة ، وهـو مصدر كل الطاقات الغريزية الضرورية لاستمرار بقاء الفرد • وهو يمنح الفرد ارادته على الاستمرار فى الحياة ، ويمنح كل التنظيمات التى تفرض عليه كالأنا الاعلى كل الطاقة اللازمة له • ولا يعرف الهو الا مبدأ اللذة الذى يميل دائمـا الى تحقيقه • ويرى فرويد أن الهو مادةخام غير منظمة تبحث عن المتعة ، فالهو لا يعرف قانونا ، وهو عماء مطلق ولا تحكمة قوانين الفكر ولا يعرف القيم ولا يخضع لمقولتى الزمان والمكان ولا يعرف الهو السلب والايجـاب ولا يميز بـين

الذاتية والواقعية . وبناء الهو ثابت لا يتغير . وبذا فلا فرق بين بناء الهو عند الصغير والكبير .

ثانيا : الانـــا :

واذا كان الهو لا يميز بين الرموز النفسية ودلالاتها الفيزيقية فان هـذا التمييز موجود عند الانا. والانـا عند فرويد هو واجهة الهو الى العالم الخارجي، ولكنه كائن ضعيف أمام الهو، ويستمد كل طاقاته من الهو وما يميز الانا عن الهو هو نزعة الانا الى تنظيم مكوناتـه وضبط العمليات النفسية واخضاعها لحكـم العقل . فالانـا جزء من الهو ، ذلك الجزء المعتدل نتيجة علاقاته بالعالم الخارجي.

والانـا هو المركب الاساسي لشخصية الفـرد ، والانـا عنـد فرويد ليس فطريا بحتا ، بل يكتسب وهو الجزء الحساس من بناء الشخصية ، والانـا وسيط بين الهو والعالم الخارجي ، ويعقل المطالب الغريزية للهـو ، ويسعى لاشباعها ويلجأ الى حفظ الذات حيال المطالب المبالغ فيها من كل الجانبين فيقاومها .

ومن صفات الانـا التي تميزه عن الهو خضوعه لقوانين الفكر الاساسية، وكذلك فالانـا وسيلة لتعليم الفرد كيفية مواجهة العالم الخارجي . ويستخدم الانـا الطاقة لايجاد التكامل بين التنظيمات الثلاثة . فهدف هذه المنطقة هو ايجاد الانسجام الداخلي للشخصية بحيث يتسنى تفاعل الانـا مع البيئة الخارجية في صورة نشطة فعالة .

وقد بين فرويـد أن وظيفة الانـا الاولى هي المحافظة على البناء المستمر للكائن الحي وحمايته من المطالب الغريزية التي يفرضها عليه الهو ، والعالـم الخارجي والانا الاعلى . ويعمل الانـا من أجل بقاء الانسان والمحافظة على الذات وهذه الوظيفة لا يحققها الانـا الاعلى أو الهو . فالهو يسعى الى الاشباع الكامل للدوافع البيولوجية . بيد أن الانا الاعلى يهدف الى السيطرة الكاملة على جميع هذه الدوافع التي قد تصل الى درجة الكبت ويعمل الانـا على ضبط القدرة على الحركة والقضاء على اثارة في العالم الخارجي .

ويتكون الانـا وينشطر عن الهو أثناء عملية التوحد الاولى • ويبدأ الانـا فى ممارسة وظائفه عندما يتحقق الطفل أن شيئا ما فى العالم الخارجى يعمل على توتره • فيبدأ الانـا وظائفه الاولى فى محاولة تخفيف هذا التوتر • فهو يقف موقف الرقيب على كل فعل يصدر عن الشخصية ، ويختار الصور المناسبة فى البيئة التى يستجيب لها ، ويقرر الدوافع التى يجب اشباعها ، وتساعد عمليـة التوحد على احلال العمليات الثانوية محل العمليات الاولية • وتتميز العمليات الثانوية التى يقوم بها الانـا بالواقعية • وليس للانـا قوة ديناميكية وان كان هو أكثر اجزاء الشخصية تكاملا ، ويتأثر الانـا بعملية الادراك ، ويرتبط بها ، فعملية الادراك عند الانـا تقوم مقام الغرائز عند الهو وعلاقة الانـا بنسق الادراك أنه ينظم العمليات النفسية فى تناسق زمنى ويختبر اتصالاتها بالواقع • وتعارضها معـه ، ويسيطر الانـا على كل العمليات الادراكية والنفسية التـى تخضع لخدمة العمليات الثانوية •

واذا كان الانـا جزءا أنشطر عن الهو ، فان الانـا الاعلى ينبلج عن الانـا ، أثناء عملية التوحد الثانوى وهو ينمو مستقلا عن الانـا ، ويشتد ويقوى ويمارس وظائفه ، ويتميز الانـا الاعلى عن الانـا ، وليس هذا التمييز مسألة عارضـة فالانـا الاعلى رمـز للاحداث الهامة لتطورالجنس البشرى ، ويعطى لنا تعبـيرا ثابتا عن تأثير الوالدين والسلطة على شخصية الفرد •

ثالثـا : الانـا الاعلى :

والعنصر الثالث لتنظيم الشخصية عند فرويد يتكون فى مرحلة متأخرة من الطفولة حلا عادلا لعقدة أوديب التى يعانى منها الطفل فى هذا السن • ويؤكد فرويد أن تكوين الانـا الاعلى يرتبط بحل هذه العقدة بل انه ميراث هذه العقدة• وان كان الانـا يمثل العالم الخارجى ، فالانـا الاعلى يمثل التصور الاخلاقـى لهذا العالم •

وقد وصف فرويد عقدة أوديب التى تتكون بين الثالثة والخامسة من عمر الطفل الذكر كظاهرة نفسية بأنها عامة توجد فى كل المجتمعات • لكن عقـدة

أوديب ليست ظاهرة عامة ، فان حب الوالدين يختلف من مجتمع لآخر ، كذلك تتميز اذاتميزترتبةالابن فى الاسرة وطبيعة علاقة الابن بأبيه ، ولذا فان عقدة أوديب الفرويدية كما أثبت الكثير من علماء الانثربولوجيا ليست ظاهرة عامة بل تختلف من مجتمع لآخر ، فهى توجد فى بعض المجتمعات وتختفى من الاخرى ٠

ويرث الانا الاعلى الذى يتكون قبل بلوغ الطفل الخامسة جميع الاتجاهات الوالديةالاخلاقية ويبدأ الابنفىمطابقة سلوكه مع العقوبات والتحديات التى يضعها والداه ٠ والانا الاعلى قوة نفسية داخلية أخلاقية تمارس الوظيفة الوالدية وأهدافها ، فالانا الاعلى لا يتشكل على غرار الوالدين بل يتكون حسب الانا الاعلى للوالدين ، ويحمل نفس المحتوى ٠ وتؤدى عمليتا الثواب والعقاب اللتان يجازى بهما الطفل على أعماله الى تدعيم تكوين الانا الاعلى ، وعندما يقوى الانا الاعلى يحل محل السلطة الوالدية فى السيطرة على سلوك الابن ، ويتأثر الانا الاعلى أثناء نموه بالاشخاص الذين يحلون محل الوالدين فى الاهتمام بالطفل ورعايته ويستمد من هؤلاء العناصر الهامة فى تكوين أخلاقياته ٠

ويتسم الانا الاعلى الفرويدى بالانحياز فى اختياره وأفعاله، فهو لا يأخذ عن والديه أثناء عملية التكوين الا ما اتسم عندهما بالشدة والصرامة ، وما يرمز الى الردع والعقاب ، فى حين يهجر الانا الاعلى كل ما يتسمان به من عطف ورعاية ٠ والانا الاعلى باعتباره جزء من التنظيم الحقيقى فى بناء الشخصية يظل ثابتا لا يتغير رغم تغيير القيم التى يتعرف عليها ولا تؤثر القيم الجديدة الا فى الانا فقط ، فهو الوحيد من مكونات الشخصية القابل للتغير ٠ أما الانا الاعلى فيظل ثابتا ٠ وقد حصر فرويد مكونات الانا الاعلى أو الضمير عنده فى القيم الاخلاقية وحدها ٠

ويؤكد فرويد فى كتاباته أن الطفل عندما يولد لا يملك الا الهو وهو وليد الميراث البيولوجى ٠ ويتكون الانا والانا الاعلى بنمو الطفل ويعتمد تكوينهما على ما يكتسبه الطفل أثناء تجاربه من البيئة التى حوله وعلاقاته بالآخرين ٠

ان أهم ما تضمنته كتابات فرويد رأيه أن السنوات الخمس الاولى سنوات حاسمة وأساسية في التكوين النهائي للشخصية الانسانية ، وأن النمط السلوكى الذى يربى عليه الطفل فى السنوات الاولى من الحياة له أكبر الاثر فى تحديد نمو الشخصية فى الاطوار اللاحقة بل يرجع فرويد جميع الاضطرابات النفسية فى مراحل الرشد الى ضروب التثبيت فى مراحل الطفولة الاولى ، فالطفولة قادرة على تقبل كافة الانطباعات والتأثيرات الخارجية واسترجاعها فى مراحل البلوغ والرشد ٠

وقد رأى فرويد أن عملية نمو الشخصية عملية نمو نفسى بيولوجى، تتم على مرحلتين، تبدأ الاولى من عملية التوحد مع الام التى تبدأ من الايام الاولى للميلاد ٠ أما الثانية وهى عملية التوحد مع الاب ، فتساعد على تكوين الانا الاعلى الذى تتجسم فيه القيم الاخلاقية ويؤدى العجز عن التوحد مع الاب وعدم توزيع الطاقة النفسية فى الطور الاوديبى الى تأخر النمو النفسى للشخصية ٠

ولقد صنف فرويد أطوار النمو فى الطفولة الاولى الى ثلاثة أطوار ، وربط كل طور بجزء معين من الجسم يكون موضع شهواته ولذاته ، وقد أشار فرويد الى أن أهمية هذه الطويرات لا ترجع الى اهتمام الطفل بأجزاء معينة من الجسم فقط ، بل الى الخبرات التى ترتبط بهذا الجزء من الجسم ، وتصبح هذه الخبرات هى الوسيلة الى الاشباع والاحباط فى سنوات حياته التالية ٠ فأوجه النشاط التى يمارسها الطفل فى طويرات الطفولة ونقصد بها كيفية ابتلاع الطعام ، أو كيفية الاخراج أو كيفية تحقيق الرغبة فى اللعب بالاعضاء التناسلية والتعرف عليها ، هى الدعائم التى تبنى عليها كل علاقات الطفل المقبلة مع غيره من الناس وتحديد سلوكه وتوافقه مع نفسه ، لكن الخبرات التى يكتسبها الطفل فى السنوات الاولى من الحياة ، وما يصاحبها من مواقف الآباء والامهات تطبع سلوك الطفل بطابع خاص تثبت عليه ويظل باقيا الى مراحل العمر المتأخرة ٠ ويرى فرويد أنه لا توجد فترة زمنية محددة لتحول الطفل من خبرة الى خبرة كما أنه لا توجد حدود فاصلة بين مرحلة ومرحلة ٠ وليس من المحتم أن ينتقل من الطور الاول الى الثانى ثم الثالث ٠ ومن الممكن أن يثبت السلوك عند المرحلة الاولى (الطور الفمى) أو

المرحلة الثانية (الطور الاستى) ولا تندثر الخبرات المرتبطة بكل طور من حياة الشخص ، بل تطبع سلوكه وتحدده أثناء مرحلة الرشد .

وكان من أهم النتائج التى وصل اليها فرويد رأيه أن سلوك الفرد يمكن أن يثبت حول ظروف معينة من السلوك فى أية مرحلة من مراحل النمو فى طور الطفولة ، ويؤثر هذا التثبيت فى تكوين اتجاهات الراشد وسلوكه ، كما يؤدى الى عجز الفرد عن اثراء السلوك وتطويره ، والانتقال الى مرحلة لاحقة من مراحل النمو • وقد رد فرويد كعالم نفسى كل المؤثرات التى تؤثر فى تكوين الشخصية الى تجارب الطفل مع والديه •

وقد قسم فرويد طور الطفولة الاول الى ٣ مراحل :

المرحلــة الاولى :

المرحلة الفمية ، والمنطقة الفمية الشهوية هى التى تحكم ما يسميه بالنشاط الجنسى للرضيع ، ووسيلة الطفل للاتصال بالعالم الخارجــى ، ويمتد الطويــر الفمى حتى يبلغ الطفل الشهر الثامن عشر من عمره ، وأهم ما يميز المرحلة الفمية بدء تكوين الانــا كما تبدأ مرحلة التحول من التمركز حــول الوحــدة البيولوجية للطفل الى مرحلة التفسير الفعال الايجابى للوحدات الخارجية والارتباط بالعالم الخارجى •

المرحلة الثانية :

أما المرحلة الاستية فتبدأ ببداية تدريب الطفل على عملية الاخراج، وهذه العملية ذات أثر بالغ عند فرويد فى تشكيل طباع الشخص وسلوكــه ، وينتقل الطفل فى هذه المرحلة الى أولى خطواته فى الطريق نحو الاستقلال والاعتماد على النفس والسيادة ، عندما يدرب على التحكم فى الوظائف الفسيولوجية كما يصاحب هذه المرحلة ارتقاء عام لوظائف الجهاز الحركى ، ويتعلم الطفل المشى والحركة • وكل التصرفات والانماط السلوكية الحركية التى تمنح الطفل القدرة على الشعور والاستقلال • كما يتعلم أهمية تنفيذ رغبة الام ليحصل على حبها وعطفها وحنانها•

وهو يدرك أن عصيانه لها ومحاولة التمرد عليها وعلى أوامرها يؤدى الى حرمانه من حنانها وحبها وقد يؤدى ذلك الى عقابها ، وتبدأ فى هذه المرحلة أولى خطوات الطفل تعلم تأجيل اللذة وممارسة التجربة ضد الدوافع الغريزية • كما يتعود الطفل فى هذه الفترة تحمل أقصى ضروب الحرمان حتى لا يفقد حب الام •

المرحلة الثالثة :

أو المرحلة القضيبية فتبدأ هذه المرحلة فيما بين الثالثة والرابعة ، وتنفجر لدى الطفل عندئذ رغبة استطلاعية لامور الجنس وترتبط هذه الرغبة بسلوك استنمائى وقدر معين من الاستثارة الجنسية ، وفى هذه الفترة يكون للقضيب عند الطفل والبظر عند الفتاة أهمية لا يمكن أن نغفل عنها ، كما أن التجارب التى تثبت فى هذه المرحلة تحدد الشكل النهائى للحياة الجنسية عند الراشد • ويبدأ الطفل فى هذه الفترة الشعور بأن هناك منافسا له فى حبه للام ، وهو الاب ، وهذا الاب فى نظر الطفل انسان قادر على كل شىء ، ويحس الطفل أمامه فى الوقت نفسه بالضعف والعجز ويشعر الطفل ابتداء من هذه الفترة بالغيرة من أبيه ، ويتمنى قتله ، وأن يحل محله عند الام • لكن الطفل يشعر أن أمنياته لابيه سترتد اليه وسيعاقبه الاب بحرمانه من العضو المميز له بسبب قوته ويبدأ احساس الطفل بأقصى تجربة للقلق يمر بها المرء • وهى مرحلة (القلق الخصائى) ويرى فرويد أنقدرة الطفل فى هذا الموقف ونجاحه فى توحده مع أبيه يحددان مستقبل شخصيته ، كشخصية سعيدة مستقرة أوشخصية مريضة فريسة للصراعات النفسية • ويرى فرويد أن الطفل يهجر الموقف الاوديبى ويكبته ويقضى عليه ، وينمو كحل للصراع الاوديبى أنا أعلى صارم نتيجة توحده بأبيه ، ويتضمن هذا الانا الاعلى المتكون فى آخر مراحل الطفولة المبكرة كل القيم الاخلاقية الموجودة فى المجتمع •

وقد وصف فرويد طور الطفولة الثانى بأنه فترة كمون ، ويرى فرويد أن الاحداث والصدمات الانفعالية التى يواجهها الطفل فى الطور الاول والتى تأتى مع الوليد لا تستمر فى نموها الطبيعى التدريجى ما دامت وظائف التناسل

قد عطلت مؤقتا ، ومن ثم يبدأ طور الكمون وفيه يبدأ الطفل تدريجيا فى الغاء الميل الجنسى الذى يوجد فى الطور الاول . وتبدأ فى حياة الانسان فترة ما بين القبتناسلية وهى طور الطفولة الاول والمرحلة التناسلية وهى طور المراهقة - تتميز بالاستقرار عن المرحلة التى قبلها والمرحلة التى بعدها . وفترة الطفولة الثانية تتميز بالاستقرار النسبى والهدوء الانفعالى ، ويتوقف فيها كل نشاط للطاقة الجنسية ، ويتعلم الطفل فى هذا الطور الاخذ والعطاء كما يبدأ فى تحصيل المهارات والتوافق مع أراء الاشخاص المحيطين به . كما يبدو الانا الاعلى فى طور الكمون أكثر استقرارا ، وأكثر تماسكا بالقيم الاخلاقية ، وفى فترة الكمون يخرج الصبى من سيطرة الاسرة والتى كان حبيسها فى الطور الاول ، ويخطو خطوات الى الانضمام الى جماعات جديدة أهمها المدرسة ويرتبط بعلاقات جديدة ، ويتعلم النشاط الحركى والتفكير . وفى هذا الطور ترسخ القيم الاخلاقية والجمالية التى يتعصب لها الطفل ، اذ يساعد النمو الطبيعى للطفل على تماسك نسق القيم المثبت فى مرحلة الطفولة الاولى ، وتوجه الغريزة الجنسية فى مرحلة الطفولة الثانية الى أعمال بناءه ، فتوجه نحو أهداف جديدة بتأثير عملية التسامى التى ترتبط بمرحلة الكمون . بيد أن مظاهر التسامى والهدوء والاستقرار الانفعالى ليست المظاهر الوحيدة للسلوك فى طور الكمون - مرحلة الطفولة الثانية - فهذه المرحلة تتميز بالتمرد على السلطة الابوية والاتجاه الى الزمر ، والتقارب بين قيم الاصدقاء ، والارتباط القوى بعالم الرفاق من نفس الجنس والانفصال عن الجنس الآخر . ورغم كل هذه المظاهر فى حياة الصبى فى طور الكمون ، يرى فرويد أن هذا كله لا يتعارض مع أنه طور كمون جنسى له صفات معينة تنمو نموا طبيعيا من المواقف الاوديبية .

هذه الآراء التى وصل اليها فرويد محصلة دراسات قام بها لمرضى الفصام ، قوبلت بالتعديل من البعض والمعارضة من البعض الآخر ، والقبول الكامل من فئة ثالثة . وأيا كان موقف آراء فرويد من الطفل فانها أثرت الدراسات المهتمة بالطفل ودفعت المحدثين الى اعطاء مزيد من الاهتمام للطفل الذى يعكس الاهتمام بالمستقبل .

٢ - جوردون البورت :

ثمة اتجاه فى دراسة نمو شخصية الطفل ٠ يمثله جوردون البورت ، يساير مدرسة التحليل النفسى عند فرويد لاتخاذه الفرد محورا للدراسة والايمان بأهمية التطور البيولوجى فى نمو الشخصية ، ولكنه رفض ربط أطوار النمو بأعضاء فسيولوجية معينة ، أو ارتباط هذا النمو بالغريزة الجنسية ٠ ورفض كذلك المبدأ الفرويدى بأن الطفل أبو الرجل ٠ ولم يعتمد هذا الاتجاه على دراسة الأطفال الشواذ ٠ ولم يؤمن بأن مراحل النمو مراحل مترابطة ٠ بل آمن البورت بأن مراحل النمو منفصلة ولا تؤثر احداهما على الاخرى ٠ فتاريخ الانسان مجموعة من الحلقات المنفصلة ولا ترد تجارب فترة منها الى تجارب فترة أخرى ، لان الشخصية نسق نام متطور (١) ، كما أكد البورت أن الظاهرة المميزة للانسان هى فرديته ٠ فالانسان عنده مخلوق متميز عن قوى الطبيعة ٠ ويرى البورت أن مدارس التحليل النفسى لم تميز بين حالات الشخص السوى والشخص المريض وهو يرى أن الطفل الذى يحيا طفولة سعيدة خالية من التجارب الاليمة يختلف عن زميله الذى يعانى من التجارب المزعجة فى طفولته٠ ولكن آثار هذه التجارب لا تستمر ، فالراشد الذى يعانى من التجارب المزعجة فى طفولته قد يكون مطمئنا ومستقرا ٠ فى حين أن الطفل الذى كان سعيدا فى طفولته قد يعانى فترة قلق وتردد فى شبابه ٠

وقد عارض البورت الاتجاه الثقافى فى تفسير نمو الشخصية ، هذا الاتجاه الذى يرفض اعتبار عملية النمو الاجتماعى للطفل مرادفة لعملية النضج البيولوجى (٢) ، لان العمليات البيولوجية لا تخلق الانسان ٠ ويرى انصار هذا الاتجاه الثقافى أن عملية النمو تحدث بقدر ما يعمل نسق القيم ٠ ويؤدى وظائفه ، وان عملية النمو محصلة التفاعل المستمر بين الطفل والاشخاص الراشدين حوله فى البيئة ، الذين تقع عليهم مسئولية نقل التراث الثقافى ٠ ولقد رفض البورت هذا الاتجاه الثقافى كما رفض اتجاه مدرسة التحليل النفسى

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. N.Y. Holt Rinehart and winston 1961 p. 85.

(2) Kluckhoon clyde : Mirror for man. London George Harep. 1950 p. 12

فى نمو الشخصية • ورأى أن الشخصية لا تحددها الثقافة ، فالبحث العميق يدلنا على وجود آثار العقلية البدائية فى صورة دوافع كثيرة عند الشخص المتحضـر السوى (١) ، وقرر البورت أن الشخصية تبدأ فى التكوين منذ العام الثالث • لكن أسلوب الحياة الذى يستعمله الطفل فى طفولته لا يتمسك به فى أطـوار النمو التالية ، ويعنى هذا عند البورت قدرة الطفل الحرة على الصيرورة ، والنمو بلا قيد أو عائق (٢) •

وقد اتجه البورت فى تفسير نمو شخصية الطفل بتأثير نزعته الفردية الى النصل بين نمو الشخصية وتغير البيئة الاجتماعية ، ولم يعنى بارتباط شخصية الطفل ونسق العلاقات الاجتماعية • ورأى أن نمو شخصيـة الطفل يرتبط ببزوغ الذات الفردية ونموها •

والشخصية لديه نسق ذاتى محدود مغلق ، وليست هذه الشخصية أسـيرة الماضى ، ومن الخطأ عنده رد حياة الانسان البالغ الى تجارب الطفولة المبكرة ، اذ أن تغير الشخصية عملية مستمرة ، لا تتوقف وقد وصف البورت أطوار نمو الشخصية الى خمس مراحل حسب العمر الزمنى :

المرحلة الاولى	الطفولة الاولى
المرحلة الثانية	٤ ـ ٦ سنوات
المرحلة الثالثة	٦ ـ ١٢ سـنة
المرحلة الرابعة	المراهقـــــــة
المرحلة الخامسة	الراشـــــــد

وسنحاول فيما يلى أن نعرض لمراحل النمو الثلاث الاولى ، وأهم مظاهر هذه المراحل الثلاث لنقف على اتجاه رئيسى فى علم النفس من شخصية الطفل •

أولا : الطفولة المبكرة :

يرى البورت أن نسق شخصية الرضيع يتمايز عن نسق شخصية الراشد •

---

(1) Allport. G. : Personality & Social encounter . Beacon press. Boston 1960 p. 105.

(2) Allport, G : Becoming : Basic consideration of psychology of personality. N. Y. Yale Une Press. 1960. p. 33.

فالمولود جهاز بيولوجى متجانس ، كما أن الرضيع ليس مخلوقا اجتماعيا (١) ولا شخصية له • أما الراشد فنسق نفسى متكامل متمايز وليس للرضيع شخصية بمعنى النسق النفسى ، فبناء شخصية المولود انما يتكون من مجموعة من السجايا الفطرية الوراثية ، ويعتمد على الام اعتمادا كليا من أجل اشباع حاجاته ، ويركن اليها لامداده بما يحتاج اليه من حب وعاطفة • ولكن ظهور الابتسامة على وجه الرضيع ، بعد الشهر الثانى من الميلاد ، يعلن عن تاريخ ميلاد الشخصية • ويعرف البورت الفترة من الميلاد حتى بلوغ الطفل منتصف العام الثانى بالمرحلة الحسية، فكل ما يحدد سلوك الطفل هو العمليات البيولوجية والضغوط البيئية • فالرضيع ليس لديه وعى بذاته،والعالم المحيط به•كما يتميز عالم الرضيع بالخلط والصخب والدهشة،ويرى البورت أن الرضيع ينقصه الشعور بالذات،اذ أن هذا الشعور الذى يؤكده الراشد فى سلوكه ، لا يكتسب الا فى فترة متأخرة عندما يصل الى السادسة من عمره ولا يحدث الفصل بين الذات والعالم الخارجى الا فى طور متأخر من أطوار الطفولة • ويرى البورت أن أهم الاحداث التى تحدث ابتداء من العام الثانى فى حياة الطفل ، هى اكتسابه بعض مفردات اللغة ، التى تسهل له الاتصال بالعالم الخارجى •

ويرفض البورت فكرة بياجيه أن الرضيع يعى العالم متمركزا حول ذاته ، ويرى أن الرضيع لا يعى الا ذاته واطلق على هذا الوعى التمركز الانفرادى Solo Centered • ويقرر البورت أن التحول الهام فى تاريخ الفرد هو التحول التدريجى من مرحلة التمركز الانفرادى الى المرحلة التى يدرك فيها الطفل نفسه متميزا عما حوله ، ويفصل عن البيئة • وتصبح لديه القدرة على ادراك الاحداث متميزة عنه ، وهذا النشاط هو المنبع الاصيل للسلوك الدافعى •

ويتميز هذا الطور بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : الاحساس بالجسد أول مراكز النمو • وتعرف تلك الفترة بالمرحلة الحسية •

المرحلة الثانية : تمييز الذات • وتتم فى العام الثانى ، وترتبط باكتساب اللغة ،

---

(1) Ibid. P. 28.

وأكد البورت أهمية اللغة كعامل هام فى نقل التراث الاجتماعى • ويرى البورت ان ادراك الطفل لمفردات اللغة والكلمات • هـو مدخله الى العالم الخارجـى • والارتباط مع الآخرين • ويرتبط بالوعـى بالـذات بخضوع الطفل لقوانـين التعلم •

المرحلة الثالثة : تقدير الذات • وتبدأ هذه الفترة من العام الثانى وهى مرحلة هامة فى حياة المرء • فما يميز الحياة الانسانية ، وتحتاج اليه فى تلك الفترة هو الشعور بالذات والفخر • فكل نشاط يقوم به الفرد يهدف الى الحصول على تقدير الذات وتنشأ عند الطفل خلال العام الثانى والثالث الحاجة الى الاستقلال بالذات ، والانفصال عن الآخرين ، ويؤكد البورت ان الحاجة الى الاستقلال هى العلامة المميزة للذات فى هذا الطور •

ويقرر البورت ان احساس الطفل بالثقة أو عدم الثقة عامل هام يساعد الطفل على ادراك الاتجاهات الاجتماعية وتقبلها أو رفضها وتمارس الام عمليات تربية وتثقيف الطفل وممارسة الاحباطات الاسرية أثناءقيامها باشباع حاجاته•كما تساعد عمليات التكراروالتدعيموالتكيف على انبلاج الذات مبكرا،وتبدأ الذات فى التكوين فى أواخر النصف الاول من العام الثانى • ولا يتم نضج الذات الا عند بلوغ الطفل السادسة • وقد بين البورت أن أهم ما يميز النمو فى هذه الفتـرة هو نمو الطفل الفسيولوجى،الذىيحدث نتيجة عمليات داخلية ، بينما يحدث النمو النفسى والاجتماعى نتيجة عمليات التعلم التى يتلقاها من الخارج (١) ويقول البورت أنه يتفق مع جورج ميد بأن الذات التى يبدأ نموها ابتداء من هذا الطور هى فى كل جوانبها نتيجة عمليات اجتماعية ، وان كانت الذات فرديـة (٢) ، ويتعلم الطفل فى تلك الفترة قيـم المجتمع ولا يستطيع أن يهرب من تأثـير الميراث الاجتماعى • الذى يفرضه عليه أبوية ، كما يتجـه كل سلوك الطفـل وجهاده فى تلك الفترة نحو موضوع مباشر مثل اللعب والاكل والتودد ، كما يتسم سلوك الطفل فى تلك الفترة بأنه سلوك اضطرارى ومؤقت ولا يتعـدى

---

(1) Alport : Pattern and Growth in Personality Op, cit. p. 169.
(2) Ibid p. 121.

الحاضر ولا يرجع الى الذات كما يرتبط النمو فى تلك الفترة بتأثيرات متعددة أهمها النضج الفسيولوجى والاحساسات الجسدية المستمرة ، وتقوى عنده عملية التذكر التى تساعده على ادراك معانى الالفاظ • وفى هذا الطور يعرف الطفل اسمه كعلامة مميزة •

الفترة الثانية ٤ ـ ٦ :

تبدأ هذه الفترة ولم يكتمل نمو الذات ويتسم السلوك عند الطفل بالخلط بين الواقع والخيال• ويرى البورت أن الاطفال يحبون فى هذا السن سماع القصص والحكايات التى تؤثر فى سلوكهم • وأن القصص التى تردد للاطفال تلعب دورا هاما فى شحذ أفكارهم وتصوراتهم • كما تبدأ رغبة الطفل فى تكوين الصحبة والرفاق الخياليين أثناء اللعب كما يشتد لديه الاحساس بمعنى الجسد • ويميز البورت هذه الفترة بالصفات الآتية :

١ ـ انطلاق الذات : ويزداد عند الطفل الشعور بالملكية والتنافس ـ ويبدأ هذا السلوك من الثالثة •

٢ ـ صورة الذات : واذا كان فرويد قرر أن الضمير الانسانى يتكون فى العام الرابع حلا للصراع الاوديبى فان البورت يرى أن الضمير الانسانى لا ينمو نموا واضحا فى هذه المرحلة ، ولا يوجد لدى الطفل صورة واضحة عن ذاته الا فى مرحلة الرشد ، وانما يتواجد لديه بذور لمقاصده وأغراضه ويبدأ فى ادراك معنى المسئولية الاخلاقية ومعنى الذات وتلعب تلك البذور دورا بارزا فى أطوار النمو اللاحقة • ويرى البورت أن الاحكام الاخلاقية لم تتكون بصورة واضحة بعد ولم يتخذ الطفل مثالا يود أن يقتدى به • كما أن فكرة البطولة وأشخاص الابطال لديه مبهمة وان كان أساس ذلك كله قد وضع •

الفترة الثالثة ٦ ـ ١٢ :

لم يهتم البورت بهذه الفترة كمرحلة تتميز بهدوء الانفعالات وكمون الغريزة

الجنسية • بل اهتم بها كمرحلة يشعر فيها الصبى بذاتيته ، وبصورته • وتتميز هذه المرحلة عن المراحل الاخرى بقدرة الصبى على انطلاق الذات واعتبارها عنصرا مناضلا ، ويكشف لنا تأكيد البورت لمبدأ انطلاق الذات أنه لم يهتم بالجانب السلبى أو المرضى فى الشخصية كما فعل رجال التحليل النفسى بل اهتم بالجانب الايجابى والسليم فيها •

ويصاحب هذا الطور التحاق الصبى بالمدرسة وارتباطه بعلاقات جديدة مع الرفاق، وتأثر تفكيره بالمنهج الدراسى• لكن الصبى يعانى من عدم توافق معايير الاسرة مع معايير الاصدقاء والمدرسة • فالعالم الجديد يتطلب منه سلوكا جديدا وأساليب جديدة من السلوك لم يعرفها ولم يمارسها داخل أسرته • كما يبدأ الصبى فى هذا الطور الاندماج فى عالم الرفاق الذين لا تربطهم به صلة الدم وفى الوقت نفسه يخطو الخطوات الاولى الى تعلم الدروس الاولى فى الواقعية (١) لكن الصبى ما زال يربط بين الواقعية والخيال ، ويبدى الكثير من ضروب الاخلاص الى رفاقه وولائه لهم • وهو فى انتمائه الى الرفاق يحقق ذاته المنقودة، التى كان يبحث عنها فى السنوات السابقة من الطفولة •

ويتميز سلوك الصبى فى هذا الطور بمظاهر معينة من السلوك وتبدو فى تمسكه بالاخلاق ، والتمييز بين الحرام والحلال ، واتباع الحلال ، وادراك الفرق بين الصدق والكذب والاخلاص فى قواعد اللعب والصرامة والتمسك القوى بالمعايير الاخلاقية واحترام النواهى الاسرية ، كما يتسم سلوكه بالتعصب للاسرة والدين والجماعة •

أما عن الذات ، فيرى البورت ، أن الشعور بالذات يرتبط بمدى توافقه مع العالم الخارجى ، والعالم الاسرى وعالم الرفاق • والذات فى هذا الطور عنصر مناضل يعتمد على تقدير العقل من أجل التوافق مع العالم الخارجى وهى كعنصر مناضل تشبه الانا الفرويدى ، تبدأ فى التحكم والنضال من أجل التوفيق بين عالم الواقع ودوافع الهو والمحرمات الوالدية ، واذا كانت مدرسة التحليل

---

(1) Allport : Ibid. p. 123.

النفسى عند فرويد تؤكد أن عملية التوحد كعملية تعلم تبدأ منذ أيام الطفولة الاولى ، ويدعمها فى ذلك علم الاجتماع المعاصر عند بارسونز ، فان البورت يؤكد أن عملية التوحد كعملية تعليمية تبدأ فى طور الصبا ، وانها عملية ضرورية لتعلم ضروب السلوك ، كما أنه فى تلك الفترة من النمو ، تبدأ الذات فى النضوج والتكامل .

ويمكن لنا أن نلخص وجهة نظر البورت ، بتميز كل طور من أطوار النمو وفرديته ، ومن ثم فمرحلة الرشد ، ليست استمرارا لمرحلة الطفولة بل أنها عكسها فى كل مظاهر السلوك . فمرحلة الطفولة تتميز بالاعتماد على الغير ، والاشباعات السريعة ، فبينما يخضع الطفل العالم الذى حوله لاشباع حاجاته ، ويبغى دائما البحث عن اللذات ، ويتسم سلوكه بعدم الصبر والتجريب ، أما الراشد فيتميز سلوكه بالاستقلال والمسئولية الجماعية وتأجيل الاشباعات أو كبتها . كما تتميز شخصية الراشد بتغير كامل فى الدوافع والسيطرة عليها. وكذلك التوافق الاجتماعى خاصة التوافق مع العالم المهنى، وفى فترة الرشد يتحقق لاول مرة تكامل الذات ونضجها كموضوع للمعرفة والشعور. والتعليم عملية أساسية لتحقيق نمو الشخصية وتتأثر عملية النمو بتعلم العمليات الاجتماعية وقبولها واحساس المرء بالثقة أو عدم الثقة . وقد أكد البورت أهمية اللغة فى تكوين شخصية الطفل وأوضح أن الطفل بعد طور الحضانة لا يميز بين الواقع والخيال ، وثمة تناقض واضح فى أراء البورت ، فهو وان أكد أن مراحل النمو مستقلة متمايزة ، عاد فناقض نفسه عندما قرر أن بذور الاهداف والمقاصد وكلها من صنع المجتمع ، توضع بذورها بين الرابعة والسادسة وان كل هذه الاهداف تلعب دورا هاما بارزا فى الشخصية .

ثالثا : بياجيه :

ان الحديث عن علم النفس والطفل لا يكتمل الا بذكر بياجيه . ولقد أضاف بياجيه فكرا جديدا لفهم نمو الطفل . وقدم لنا معلومات وفيرة عن تطور عملية المعرفة والتفكير عن الطفل . ولقد بدأ بياجيه حياته العلمية بدراسة علم الاحياء حتى حصل فيه على درجة الدكتوراه ، وقرأ الفلسفة أثناء دراسته فى الجامعة ، واطلع على مؤلفات برجسون وسبنسر وكونت ووليم جيمس وتارد

ولكنه أدرك مدى انعزال الفلسفة التى قرأها عن واقع الانسان المعاصر والتغيرات الاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية وخاصـة بعـد الحـرب العالمية الثانية • مما أوجد عنده شعورا بالاحباط عن جدوى الفلسفة فى المجتمع الصناعى نتيجة ما طرأ على المجتمع الاوروبى من تغيرات نتيجة استخدام الآلة •

وكما درس علم الاحياء ، وقرأ الفلسفة ، تردد على الدروس العمليـة فى معمل بينت • وحضر محاضرات يونج وفرويد وكان لهذه المحاضرات فضـل توجيهه نحو علم النفس وهجر علـم الاحياء • والحقيقة أننـا لكى نفهم نظريـة بياجيه عن تطور المعرفة عن الطفل التى اكتمل فيها بياجيه العالم مع بياجيـه الفيلسوف الذى ينشد البحث عن تفسيرات ثابتة داخلية عن نسق التفكيرعندالطفل، علينا أن نفهم مدخل بياجيه العالم الى العلم وكيفية اختيـاره لادوات بحثه (١) • ولقد تأثر بياجيه تأثرا واضحا بدراساته الاكاديمية فى علم الاحياء ومن ثم أخذ يجمع الحقائق ويصنفها بكيفية يتجلى فيها تكامل نظرية داروين وقراءته لنظريـة المعرفة فى كتب الفلسفة • ولقد قدم لنا نظرية تحقق قدرا من التوازن بين النمو البيولوجي والنمو النفسى ، وتؤكد الارتباط القائم بين الجانب البيولوجى والجانب النفسى •

ولقد كان لتجاربه العائلية ، تأثيرا هاما على نظريته مثل تأثـير تجاربـه المعملية فقد أنجب ثلاثة أولاد حاول أن يدرسهم دراسة علمية • وكان لهذا الحدث أثره فى ارتباطه ارتباطا وثيقا ومستمرا بتطور ونمو الطفل • وهذا النمو وذاك التطور الذى لا تتيحه حتى أكثر الدراسات المعملية دقة ، وأفضلها مثالية ، وقـد جمع من خلال المشاهدة والملاحظة مادة وفيرة (٢) عـن سلوك الطفل ، كما عرف العمليات الادراكية والتصورية بأنها عمليات مترابطة أكثر منها عمليات مستقلة • وقدم لنا اضافات جديدة عن الجانب المؤثر فى السلوك الانسانى عندما درس ولاحظ ألعاب واحلام الاطفال وكيفية المحاكاة بينهم •

ويمكن لنا أن نصف بياجيه باعتباره عالما ينشد البحث عن طبيعـة ومنطق

---

(1) Maier Henry : Three theories of child developement,. Harper and Row, Publisher 1965. pp. 82 - 83.

(2) Ibid. p. 79.

التطور الانسانى • ولقد بين أن التطور العقلى يتبع نمطا يمكن التنبؤ به على النحو الآتى (١) :

١ ـ يتحقق كل تطور فى اتجاه موحد •

٢ ـ يحدث التقدم نتيجة التطور بنظام ويمكن عند وصفه تطبيق معيار يميز خمسة أطوار مميزة للنمو •

٣ ـ هناك فروق تنظيمية مميزة عن سلوك الطفولة وسلوك البالغين فى جميع مجالات النشاط الانسانى •

٤ ـ تجد كل مظاهر سلوك الراشد بذورها فى سلوك الطفل ، وتتطور هذه المظاهر من خلال الانماط المتلاحقة للنمو •

٥ ـ تترابط وتتداخل كل اتجاهات التطور ، ويعنى النضج التكامل الاخير والكلى لكل نزعات التطور •

وبتأثير دراسته الجامعية عامة والتخصص فى علم الاحياء • حدد لنا بياجيه عددا من النزعات الاساسية التى تتسامى على كل عمليات التطور (٢) •

أولهـا : يطرد كل تطور فى تتابع مماثل ويعبر عن تحول العمليات العضوية الى عمليات ارادية •

ثانيـا : تعكس كل ظواهر التطور نزعة طبيعية للتغير من البسيط الى المركب ، وهذا ما يحدث بالنسبة لتفكير الطفل ، الذى يتزايد تراكما وتعقيدا ، اذ ينتقل تفكير الطفل عادة من الغموض الى الوضوح •

ثالثـا : تبدأ كل مرحلة من مراحل التطور بتجارب أو مشكلات محسوسة عادية

---

(1) Ibid. pp. 141 - 142.

(2) Ibid. pp. 142 - 143.

ولا يتحول الطفل الى التجريد الا بعد السيطرة الكاملة على التجارب المحسوسة ٠

رابعا : يبدأ تطور الشخصية من التجربة مع العالم المادى ثم مع العالم الاجتماعى وأخيرا مع العالم العقلى عالم الافكار ٠

خامسا : يبدأ نمو الشخصية بالتمركز نحو الذات ، ثم يمر بفترة من التقدير الموضوعى المجرد وينبثق الشعور بالنسبية أثناء التحول الى الرشد ٠

سادسا : ويتطور السلوك العقلانى من العناية بالنشاط العملى دون مراعاة للفكر الى العناية بالفكر مع اهتمام أقل بالنشاط العملى ، وبعبارة أخرى يتطور السلوك العقلانى عند الطفل من السلوك العملى الى العمل بوعى الى ادراك لما يعمل ، وفهم عواقب هذا العمل ٠

سابعا : يعرف الطفل الموضوع فى البداية لاستعماله ٠ ثم يدرك استمراره والرمز الذى يمثله وموضعه فى المكان وخواصه من وزن وحجم وأخيرا يدرك نسبيته فى المكان والزمان والفائدة التى تعود منه ٠

ثامنا : تنسب كل أفعال الموضوعات فى البداية الى روح حية ثم تقتصر الروح الحية بعد ذلك على الموضوعات المتحركة وأخيرا يقتصر على الموضوعات القائمة والمتحركة بذاتها ٠واكتساب الفكر المعرفة وحده يتيح تفسير الحقائق الطبيعية والميكانيكية ٠

تاسعا : فى البداية يرسى فى نفس الطفل معنى الاخلاق والعدالة فى الخضوع الكامل لسلطة الكبار ٠ ليحل محله عند النضج والرشد الالتزام بمبدأ المعاملة بالمثل والتعاون وأخيرا يرتبط الالتزام بالتكامل الاجتماعى ٠

عاشرا : تحفظ المعارف المكتسبة السابقة أثناء فترات التطور كمقومات فعالة طوال الحياة ٠ فثمة أشكال من نماذج السلوك فى مرحلة الطفولة الاولى تظهر فى اللحظات التى يواجه فيها الفرد مشكلات جديدة أو يشعر بأنه مضطر الى الرجوع الى النماذج السابقة ٠

ولقد لعب مفهوم التطور دورا هاما فى أراء بياجيه ، حتــى أننـــا يمكن أن نصف نظريته بأنها عرض لسياق تتابع نمو المعرفة عند الطفل • وما دام مفهــوم التطور هام للغاية عند بياجيه ، يمكن أن نلخص مفهوم التطور عنده على النحــو التــالى (١) :

١ — هناك استمرار مطلق لكل عمليات التطور •

٢ —يتحقق التطور من خلال عملية مستمرة من التعميم والتباين •

٣ — يتحقق الاستمرار من خلال نمو متصل •• ولكل مرحلة من مراحل التطــور تجد جذورها فى المرحلة التى تسبقها • كما أنها تمهد للمرحلة اللاحقة لها •

٤ — تتضمن كل مرحلة تكرارا للعمليات على المستوى السابق لشكل تنظيمى مختلف • والانسان يشعر بأن نماذج السلوك السابق أقل مرتبة عما يجب أن يــكون عليه السلوك لكنها تصير جزءا فى المرحلة الجديدة •

٥ — يوجد التباين فى نمط التنظيم تدرجا فى تجربة الافعال •

٦ — يحقق الافراد مستويات مختلفة من خلال التدرج ، فدائما يوجد فى عقل كل فرد امكانية كل هذه التطورات ولكنها لا تتحقق كلها •

وكان تأثير دراسته لعلم الاحياء كبيرا فى كيفية دراسته للطفل • وقد رفض بياجيه طريقة الاختبارات المقننة والمنهج الاحصائى ، ولجأ الى الطريقة الاكلينيكية التى دافع عنها بحماس وأظهر أهميتها وحسناتها بالنسبة لنمو المعرفة عند الطفل • وتعتمد هذه الطريقة كما هو معلوم على الملاحظة الموجهة والمقابلة بحيث تراعى فيها التلقائية فى سلوك الطفل وتصرفاته ، وحث الطفل على الكلام بحرية وعفوية دون توجيه عن طريق الاسئلة الهادفة لتحديد المواقف واكتشاف الحقيقة • ويضاف الى ذلك طريقة الحوار التى تدور بين الطفل والباحث ويرمى هذا الحوار الى تسجيل الكلمات أو الاحاديث التى يتلفظها الطفل • وتسجيل تصرفاته واستجاباته تجــاه الآخرين •

---

(1) Ibid. p. 92.

وكان الطفل لا المشكلات التى تحيط به (١) • هى مصدر المعلومات عند بياجيه • فكان يسعى دائما للحصول على تفسيرات الطفل لاحكامه ، وكانت تساؤلاته هى التى تقدم دائما المفتاح للبحث عن نمو القدرات العقلية عند الطفل • واذا كان بياجيه لجأ الى الملاحظة والمقابلة لاختبار بعض فروضه ، فان بعض أفكاره كانت أفكارا مجردة لم ترتبط ببحث تجريبى عن عمليات التفكير الحقيقى عند الاطفال فهى جزء من محاولة بياجيه تقديم نسق نظرى متماسك تماسكا منطقيا لكن الكثير منها يصعب تحويله الى موضوعات تخضع للتجريب (٢) •

ولقد خالف بياجيه فرويد الذى أعلى من شأن العمليات الدافعية عندما أكد على نمو المعرفة العقلية عند الطفل • ولقد رفض بياجيه أيضا القضية الفرويدية بأن الطفل أبو الرجل قبولا كاملا • اذ آمن بياجيه بأن للطفل تفكيره الخاص به ، وعالمه الخاص، وحاجاته الخاصة به• وأكد الفروق بين الطفل والراشد ، وأعطى اهتماما أكبر لدراسة تمركز الذات عند الطفل وأن تطور البالغ ليس الا تطورا كميا تحول فى النهاية الى تطور كيفى •

فتطور التفكير واللغة عند الطفل ، وتصوره للعالم والواقع وتصور الطفل للسببية والحكم الاخلاقى ، وادراكه للكم والوزن والعدد والحركة والسرعة والزمان والمكان كلها موضوعات لم يهتم بها فرويد ولكنها شغلت اهتمام بياجيه اهتماما كليا• ونلاحظ أن بياجيه قد اهتم بما أغفله فرويد عندما اهتم بالعمليات العقلية عند الطفل• كما اقترب من دوركيم عندما أكدا سويا أهمية الاحكام الاخلاقية فى طور الطفولة المتأخر •

ونجد أن بياجيه يؤكد على العمليات الذهنية المتكاملة أو المتبادلة ، والتى ترمى الى ربط الاشياء بعضها البعض عن طريق التصنيف والجمع والاعداد والمقارنة (٣) والتى تتضح أكثر فى مرحلة الطفولة المتأخرة • ويتحقق تقدم

(1) Ibid. p. 78.

(2) Baldwin AlFred : Theories of child developement N.Y. John wiley & sons 1968. p. 262.

(٣) غسان يعقوب : تطور الطفل عند بياجيه • بيروت، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣ ص ٣٢ •

التفكير والشعور بالاخلاق باندماج الطفل اجتماعيا واحتكاكه مع الصغار والكبار . وهو يرى أن الحياة الاجتماعية القائمة على تبادل الافكار والآراء لا تبدأ قبل السابعة أو الثامنة بشكل واضح . وهو يرى أن تفكير الطفل يبقى مغلفا بالغموض والانانية حتى السابعة ، ويعد دخول الطفل المدرسة نقطة تحول فى حياة الطفل الذهنية والاجتماعية . وهو ما أكده دوركيم . فالطفل فى طور الطفولة المتأخرة قادر على الفهم والمناقشة والحوار . وقد يعمد الى اعطاء الادلة والبراهين ليؤكد وجهة نظره ، ويبدأ فى اللعب المنظم القائم على بعض القواعد والمبادىء التى يخضع لها جميع الاولاد .

كما يبرز الحكم الاخلاقى عند الطفل ، هذا الحكم الاخلاقى القائم على التعاون والمعاملة بالمثل وعلى تقييم الاشياء والافعال والاشخاص . بجانب فهم المقصود بالطاعة والاحترام والسرقة ، والشعور بالخطأ والذنب والشر والخير والفضيلة والجريمة . وهكذا نجد التقارب واضحا بين دوركيم وبياجيه ، فهما قد أكدا سويا أن الشعور الخلقى مرتبط أشد ارتباط بالتطورات العقلية عند الطفل فى طور الطفولة المتأخرة .

ومن أهم آراء بياجيه رأيه فى الذكاء فهو يعتبر الذكاء عملية تكيف . كما أن التفكير والمنطق عند الطفل لا يمكن اعتبارهما أبنية فطرية ، بل هما ابنية تكوينية مكتسبة متطورة . والذكاء عند الطفل يتطور ، ولا يوجد وجوداكاملا فى البناء العضوى . ولكن توجد بذوره مسبقا فى البناء العضوى ، وهو محصلة بناء متطور ومستمر . كذلك فالذكاء ليس محصلة معطيات خارجية أو اجتماعية لان هذه المعطيات لا تؤدى وحدها الى المعرفة دون مشاركة من جانب الشخص بالذات وتفاعله معها .

وكان بياجيه مميزا عن سابقيه ، فهو لم يهتم بقياس الذكاء ، واهتم أكثر بالكشف عن عقلية الطفل وميكانيزم العمليات الذهنية ، وقد تعالى بياجيه عن غيره من علماء النفس عندما أدرك أنه من المهم ليس قياس الذكاء بل معرفة كيف يفكر الطفل ، اذ كان مقصده الوحيد البحث عن اجابة للاسئلة الآتية (١) :

---

(1) Maier Henry : Three Theories of child developement op, cit; p. 143 .

١ ـ كيف يفكـر الطفـل ؟

٢ ـ كيف يدرك الطفل الاشياء ؟

٣ ـ كيف يتصور الطفل نفسه والعالم الخارجى ؟

٤ ـ كيف تحدث العمليات الذهنية عند الطفل ؟

ولقد أثبتت دراسات بياجيه أن الذكاء يمر بمراحـل مختلفة وأن الاطفال الصغار يمتلكون فى البداية بعض الصفات الذهنية المشتركة ، وان هذا الذكاء يتطور بتقدم السن حتى يصل الى درجة التكامل فى طور المراهقة • وما يحدد هذا التطور هو التفاعل الاجتماعى الدينامى القائم من جهـة بـين قدرات الفـرد البيولوجية وبين العوامل البيئية • ويمر الذكاء بمراحل متدرجة • وهذا يعنى أن تفكير الطفل فى الثالثة يختلف عن تفكير الطفل فى السادسة أو فى العاشرة • فالتطور الذهنى مرتبط اذن بدورة النمو العامة ، ويصل التطور الذهنى الى درجة التكامل فى طور المراهقة • وقد صنف بياجيه مراحل الذكاء الى أربعة مراحل هى :

المرحلة	الفترة
١ ـ مرحلة الذكاء الحسى الحركى	من الميلاد حتى نهاية العام الثانى
٢ ـ مرحلة الذكاء الحدسى	من العام الثالث حتى العام السادس
٣ ـ مرحلة الذكاء العملى	من العام السابع حتى نهاية العام الحادى عشر
٤ ـ مرحلة الذكاء المجرد	ابتداء من العام الثانى عشر •

وبتأثير نظرية داروين قدم لنا بياجيه أول دراسة علمية أصيلة عن النمـو العقلى وتطور المعرفة عند الطفل من الميلاد حتى الرشد ، ولقد قسم بياجيه عملية نمو المعرفة عند الطفل الى أطوار أربعة ثم قسم كل طور الى طويرات (*) •

الطور الاول : الطور الحسى الحـركى :

ويبدأ من الميلاد الى أن يبلغ الطفل عامه الثانى • والصورة المميزة له كما

(*) نقصد بالطويرات التقسيمات الجزئية داخل كل طور •

يراها بياجيــه هى اكتساب الطفل لمهارات سلوكية (١) • وتكييف الاسرة لسلوكه تبعا لمــا تراه • ولا تظهر فى هذا الطور أيــة تصورات عقلية عــن السلوك أو البيئة الخارجية • بيد أن السلوك فى هذا الطور يتميز بأنــه سلوك تكيفى • ويظهر فيه مقدار ذكاء الطفل •

والطفل فى الطور الحسى يصبح قادرا على أن ينسق المعلومات من المصادر الحسية المختلفة وأن يحقق التكامــل بينها كما لو كانت النماذج المختلفة مصــادر للمعلومات عن الموضوعات نفسها ، بدلا من كونها متنافرة غير مترابطة • وهكذا يصبح الطفل قادرا على أن ينظر الى ما ينصت اليه • كما أن ادراكه أو حركته يمكن أن توجه من خلال الرموز والتلميحات السمعية أو المرئية أو اللمسية ، وهذه الانواع الثلاثة من التلميحات تعمل بطريقة تبادلية ، أى بالامكان أن يحل أحدهــا محل الآخر • وهكذا فالطفل يمكن أن يحفظ يديه ساكنة ويستطيع أن يمعن النظر فى الموضوع الذى يمسك به ، ويستطيع أن يستعين باليدين حتى يعملان عمــلا تعاونيا •

ثانيــــا :

وثمة مظهر ثان فى الطور الحسى هو قدرة الطفل على أن يعمل كما لو كان العالم الخارجى مكانا ثابتا ، بــدلا من اعتماد وجوده عــلى ادراكه لهذا العالم • فمثلا يصبح الطفل قادرا على البحث عن موضوعات فقدت منه ، والبحث عنها بما يتوافر لديه من معلومات عن المكان الذى اختفيت فيه • ويستطيع أن يشق طريقه الى موضوع مغاير عن الطريق الذى سلكه الى الموضوع الاول ، اذ أن لديه فكــرة عن الحيز المحيط به بما يسمح له أن يسلك مسالك مختلفة للوصول الى نقطــة بعينها ، كما أنه قادر على العودة الى النقطة الاولى ، ربما من خلال طريق آخــر مغاير عن الطريق الاول الذى سلكه •

ثالثــا :

ويبدو أنه قادر الآن على أن يسلك سلوكا موجها نحو هدف ، أى الى سلوك يحكمه تصميم الطفل على تحقيق أمر ما • وهو يستطيع أن يربط سويا بين فعلين

---

(1) Baldwin AlFred : Theories of child developement. op cit, p. 190.

أو ثلاثة أفعال كلها تخضع لدوافع تصل به الى الهدف المنشود • وهو يستطيع فى نهاية هذا الطور أن يؤدى أفعالا ما كان يستطيع أن يؤديها قبل ذلك ، والى حد ما يستطيع أن يجربمو ضوعات جديدة ، ويستطيع أن يجرب وسائل متعددة الواحدة بعد الاخرى كأن يبحث عن احتمالات سلوكه نحو الموضوع، كما يستطيع أن يغير تغيرا تلقائيا ومترويا من سلوكه •

تلك هى أهم ما يلاحظ عن سلوك الطفل فى العامين الاولين • ولكن الطفل لا يزال لديه بعض المشكلات الخطيرة الناجمة عن قصور وسائله الادراكية التى ترتبط بالوسائل السلوكية • فسلوكه سلوك حسى للغاية بالرغم من تكيفه • كذلك فهذا السلوك الحسى يعوق من قدرة الطفل على أن يخطط لتتابع الاحداث • وهو يستطيع أن يعمل أكثر مما يعرف عن كيفية الاداء • وفى نهاية الطور الاول يظهر كل الاطفال بعض التبصر ازاء البيئة المحيطة بهم • فهم يستطيعون أن يستخدموا أدواتا بسيطة للحصول على الموضوعات • وهم يستطيعون توقع النتائج المباشرة النسبية للافعال ، ويستطيعون معرفة أسباب الاحداث التى تحدث ، ويستطيعون أن يستغلوا القوى الخارجية مثل سقوط الاشياء ، كما يستطيعون أن يستغلوا الاخرين لتحقيق النتائج التى يريدونها وفى جميع الاحوال فقدرات الطفل محدودة •

وينقسم هذا الطور الى طويرات ستة تظهر مدى تأثر بياجيه بالعلم فى توضيح أبحاثه ونمو قدرات الطفل خلال هذه الطويرات •

الطوير الاول : استغلال الافعال المنعكسة (من الميلاد حتى الشهر الاول)

وفى البداية لا يخرج سلوك الطفل عن كونه أفعال منعكسة استجابة لمثيرات خارجية وبالتجربة تتعدل وتتفتح قدراته وأفعاله •

الطوير الثانى : التوافقات الاولية المكتسبة (من الشهر الاول حتى الشهر الرابع)

ويبدأ الطفل فى هذا الطوير اكتساب أساليب جديدة تعد امتدادا للانماط المنعكسة ولكنها ذات نتائج جديدة •

الطوير الثالث : مرحلة ردود الافعال الثانويةوبداية التكيف عن قصد
(من الشهر الرابع حتى الشهر الثامن) •

ويتضمن سلوكه فى المرحلة الثالثة سلسلة من ردود الفعل التى تبدأ فيها رغبته فى التكيف مع ما يحيط به •

الطوير الرابع : اكتساب السلوك الادائى والبحث البسيط عن الموضوعات المختفية
(٨ - ١٢ شهرا) •

ويصبح الطفل فى الطوير الرابع قادرا على الانشطة الغرضية الحقيقية •• يستطيع أن يجمع مجموعة من الاساليب بالنسبة لعلاقات الوسيلة والغاية مستخدما أسلوبه بحرية ومرونه أكثر •

الطوير الخامس : اكتساب المعانى الجديدة وردود الافعال الاكثر تعقيدا
(١٢ شهرا - ١٨ شهرا) •

ويتميز بظهور التباين الغرضى فى السلوك الذى يظهر أساليب سلوك جديدة يتجلى فيها تفهم الطفل لمعانى جديدة •

الطوير السادس : التمثلات الداخلية للسلوك فى العالم الخارجى
(١٨ شهرا الى العام الثانى) •

ويتميز بامكانية التمثلات الذهنية •

ولا يتوصل الطفل الى اكتساب المفردات اللغوية قبل السنة الاولى : ويعتقد بياجيه أن التفكير عند الطفل ليس فطريا صرفا وان كان يعتمد من جهة على الاجهزة العصبية أو الجهاز الفسيولوجى الذى يتيح للطفل امكانيات كامنة لا تلبث أن تتجسد وتقترن بمعطيات البيئة والتجربة بما فى ذلك التجارب المعملية والاجتماعية القائمة على الاحتكاك والتفاعل مع الآخرين ، وهذا التفاعل هو الذى يحدد عملية النضج ويجعلها ممكنة •

ويؤكد لنا بياجيه أن أغلب بذور الفهم العقلى فى المستقبل تكتسب أثناء المرحلة الحسية الحركية • والتى يمكن أن تلخص على النحو الآتى :

١ - يتفاعل الطفل مع الموضوعات المتباعدة • رغم أنه ما زال يفرق بين الوسيلة والغاية • وتظهر بداية التمييز بين السبب والنتيجة •

٢ - تظهر أصول التقييم الكمى والكيفى فى بعض التجارب البسيطة ٠

٣ - تتوحد أنماط ردود الافعال والاستجابات المختلفة فـى سياق واحـد من الافعال المتوحدة والمتتابعة ٠

٤ - يؤدى تناسق التجارب فى طريقة واحدة الى اثارة الوعى عند الطفل بأنه أيضا جزء من عالم الافعال ٠

٥ - تجد فكرة الزمن تمهيدا فى فكر الطفل ، عندما يعى معنى كل من « قبل » و « بعـد » فى سياق أفعال متباعدة ٠

٦ - ادراك المنبة الخاص باعتباره جزءا من سياق أفعال كامل ، يعطى للطفل القدرة على استعمال الرموز كمدخل للفعل يؤدى الى الاتصال بالغير (١) ٠

الطور الثانى : مرحلة التفكير الصورى :

يستغرق هذا الطور خمسة أعوام ، من العام الثانى الى أن يبلغ الطفل عامه السابع ٠ وفى نهاية الطور الاول يبدأ الطفل فى تكوين صورة عقلية (٢) عن هذا العالم الخارجى وقوانينه وعلاقاته ٠ وهذه الصور هى العلامات الاولى عن الادراك والمادة٠كما يبدأ ظهورالعمليات المنطقية٠ وتتميز هذهالمرحلة بأنهامرحلة انتقالية ولاتتصفبالتوازن اذ تتداخلفيهاالصور والادراكات الحسيةمعبعضالتجريد الابتدائى المستقر ، بيد أن أشكال السلوك اليومى متكاملة ومستقرة ، وبقـدر ما ترتبط اللغـة ارتباطا وثيقا بأساليب السلوك التى يؤديها الطفل ، فانهـا تكشف عن علامات كثيرة من التفكير المنطقى عند الطفل ٠

وهذا الطور أكثر الاطوار مدعاة للحيرة الى الفهم ، اذ أنه لامر سهل أن نخسف من قدرة الطفل استنادا على فشله ازاء المشكلات المنطقية البسيطة ولكن من

---

(1) Maier Henry : three theories of child developement. op, cit. p. 99.

(2) Baldwin AlFred : Theories of child developement, op, cit, p. 221.

السهل أن نغالى فى تقدير قدراته استنادا على سلوكه المعقول والمنطقى فى مواقف اللعب التلقائى ٠

وفى الطور الثانى تضع اللغة أمام الطفل امكانيات ذهنية هائلة تمكنة من التعبير عن حاجاته ومشاعره وأفكاره عن طريق الرموز وتساعده بالتالى على التصور العقلى وادراك المجردات (الارقام) ، اذ تساعد اللغة الطفل على الاحتكاك مع الآخرين ، وهذا يعنى زيادة تفاعل الطفل مع المجتمع فى مواقف التفاعل المختلفة ٠ ويساعد نمو اللغة عند الطفل على الاندماج الاجتماعى فى المواقف المختلفة ، وعلى وضوح أفكاره ومشاعره ، كما تبدأ مرحلة تكوين العلاقات مع الكبار وخاصة الاخوة والوالدين والاقارب ، ويبدأ احساس الطفل بالزمان والمكان والاعداد والمنطق بمايمكنه من فهم الاشياء وترتيب الحوادث والموضوعات٠ ولكن رغم ذلك فلا زال الطفل حتى السابعة عاجزا عن المناقشة الموضوعية ٠ ولا يزال ادراكه خال من بعض الادراكات ٠ فالحجم لا يعيه الطفل وكل التصورات المجردة المرتبطة تجمع شيئين معا لا يعيها الطفل بسهولة ٠

وتسبق هذه المرحلة من مراحل تطور تفكير الطفل ، مرحلة التفكير الاجرائى وتميز مرحلة متوسطة بين البداية المبكرة للتمثلات العقلية فى صورة التخيل المحسوس واللعب الرمزى الاولى فى وقت ينظم فيه الطفل تصوره عن بيئته وفاعليتها تنظيما منطقيا ٠

ويسمح التفكير التصورى بتوافق الطفل مع العالم الخارجى توافقا لا يدور حول نفسه أكثر مما تسمح به الاساليب الحسية أو الادراك الحسى ٠ ولا يرجع ذلك الى أن أنماط تفكيره قد تتمركز بشكل موضوعى ، بل الى وسائله فى التفكير التى تستطيع أن تحقق تكامل المعلومات المميزة تكاملا زمنيا ومكانيا بقدر ما يؤثر فيه التفكير التصورى ٠

وتعد الصورة العقلية هى الخطوة الاولى فى التمثلات الادراكية ٠ ومن هذه البداية تنمو لنا تدريجيا مجموعة من الوسائل التصورية يتخذ بعضها فى البداية صورة ألفاظ ٠ وقد تتحول بعض هذه الصور الى صور موضوعية تتلائم مع

المعايير الثقافية ، ومعايير الاتصال ويظل بعضها صورا رمزية ذاتية خاصة بـه وحـده ٠

وتبدأ تصورات الطفل على صورة مكتسبات لاجزاء متفرقة غير منظمة فى كـل متكامل ٠ وهكذا فهو لا يسلك سلوكا ثابتا ٠ وخاصة عندما ينوى أن يدمج بين الاحداث المنفصلة المتباعدة زمانيا ، وقبل أن يتحقق النمو الاخـير للابنيـة المنطقية المتماسكة ، فثمة مرحلة حدسية عيانية يصبح فيها خيـال الطفل مقبولا ونافعا لتصور ولتنبأ تأثير التغيرات المختلفة ، ولكن هذه المرحلة لن تؤدى الا الى قدرة محدودة على التنبؤ بسير الاحداث ٠

الطور الثالث : طور العمليات المحسوسة والعيانية :

يبدأ هذا الطور من السابعة حتى الحادية عشر ، ولقد أكد بياجيه بوضوح على أهمية السنة السابعة فى حياة الطفل (١) ، واعتبر هذا السن بداية التفاعل الاجتماعى ٠ وبدأ ظهور التفكير المنطقى عند الطفل ٠ فالمنطق عند الطفل ما زال ضعيفا فى بداية هذه المرحلـة ومملوءا بالمتناقضات ، لانـه يفتقـر الى الربط والتحليل والتركيب ، ومنطق العلاقات ، ولا يكتمل فهم الطفل لمبدأ العلية قبل العاشرة ٠ بحيث يصبح قادرا على ادراك العلاقات ٠

ويتميز تفكير الطفل فى هذا الطور بجلاء عملية التفكير ٠ ولكنه قاصر على أن يتبصر عواقب أفعاله بالكامل ٠ وخلال هذه الفترة يبرز عـدم الثبات وقلة التنظيم فى تفكير الطفل (٢) ، وقبل المدرسة يبدو على سلوك الطفل أنه منطقى أحيانا ، وأحيانا يبدو سلوكه غامضا ، عندما يخفق فى اتباع نمط منطقى بسيط واضح ٠

ووفقا لآراء بياجيه ٠ يكتسب الطفل نمط التفكير الثابت المتزن من خلال تنظيم التفكير فى عواقب الافعال ٠ وهـذا التنظيم يمكن الطفل مـن أن يسلك

---

(1) Ibid. p. 192.

(2) Ibid. p. 249.

سلوكا ثابتا ومنطقيا وأن يتابع ما تتضمنه أفكاره • وعلاوة على ذلك يقول بياجيه اننا يمكن أن نصف تنظيم الافعال العقلية من خلال تفكير اجرائى فى اطار المجموعات الرياضية كما يبدأ الطفل فى معرفة مفهوم الجماعة • وقد وصف لنا بياجيه تسع مجموعات تحدد تفكير الطفل فى هذا الطور •

ويرى بياجيه أنه اذا ما بلغ الطفل سن السابعة تقريبا تصبح عمليات التفكير الصورية عنده أكثر ثباتا وأكثر معقولية • فهو يستطيع أن يرتب الموضوعات ترتيبا تصاعديا أو تنازليا حسب مقدارها • وأن يضع الموضوعات الجديدة فى تسلسلها • وهو يستطيع أن يدرك ان تساو مجموعتين من الموضوعات مختلفة فى المقدار يعنى أن كل منها تحتوى على عدد مساو لما يوجد فى الاخرى من الاشياء ، وان كانت هذه الاشياء مختلفة • وهو يستطيع أن يدرك أن عدد الموضوعات فى جماعة ما لا يتغير باعادة الترتيب فى المكان ،• وهو يستطيع أن يفهم عددا من العلاقات البسيطة بين فئات الموضوعات • فمثلا فهو يستطيع أن يتحقق ان أى طائفة من الاشياء لابد ان تحتوى على عدد من الاعضاء أكبر مما تحتويه الطائفة الاصغر • ويستطيع أن يعى ما سيحدث اذا ما تتابعت الموضوعات واذا ما تناوبت فى المكان ، وهو يستطيع أن يميز المسافة بين شيئين ، وطول المسافة بينهما ، وبايجاز فهو قد اكتسب مفهوم أولى عن الزمن والمكان والعدد والمنطق تلك المفهومات الاساسية التى فى اطارها ينظم فهمنا للاحداث والموضوعات•

ولكن هناك بعض الاشياء لا يستطيع أن يدركها الطفل حتى هذه السن مثل مفهوم الحجم ، والذى يتضمن محصلة الكمية والكثافة ، وقد يكون الطفل قادرا على ادراك العلاقات بين العوامل عندما تعرض عليه ولكنه يجد الامر أكثر صعوبة لترتيب المواقف فى سياق الزمن حتى يمكن أن تظهر له العلاقة بين العوامل ، ولا يستطيع الطفل فى هذا الطور أن يفهم المنهج العلمى الذى يقوم على السيطرة على المتغيرات الثابتة • ويصف بياجيه مشكلة الطفل فى هذا السن باعتبارها مشكلة فهم العلاقات بين الفئات التجريبية العيانية التى اكتسبها •

ويرى بياجيه أن أحد التطورات الهامة فى تفكير الطفل فى هذا الطور هو البروز المنتظم لتأثير المعرفة السابقة على تفكيره (١) • وتنحسر فى هذا الطور

---

(1) Ibid; p. 224.

الانوية وتزداد قدرة الطفل على ادراك العلاقات السببية القائمة بين الاشياء ، عندما يبدأ في الاحتكاك بالآخرين ويتفاعل معهم اجتماعيا ويتبادل معهم الافكار والآراء .

المرحلة الرابعة : مرحلة التفكير المجرد (١) :

وتبدأ من سن الحادية عشرة ، ويبدأ هذا الطور ببداية فترة المراهقة . وفى هذا الطور يبدأ الطفل فى فهم المبادىء الاساسية للتفكير العلمى والتجريب العلمى ، ويستطيع أن يقوم بأداء التجارب واستدلال النتائج الصحيحة وان كان أمامه الكثير مما يلزم أن يتعلمه الطفل كما تتكون لدى الطفل القدرة على الادراك الاساسى الذى يحدد التفكير المنطقى .

وتنتهى فى هذا الطور فترة الطفولة بالبلوغ ، وتبدأ بعده طور الشباب . وعلاوة على ذلك يطرأ على طبيعة التفكير بعض التغيرات المرتبطة بنضج بناء المخ، والشاب فى نهاية هذا الطور يختلف عن الطفل ، فهو قد أصبح فردا يفكر فيما وراء الحاضر ، ويضع لنفسه أراء حول كل شيء . ويجد لذة فى رفض الواقع ، وهو يكتسب القدرة على التفكير والتبرير لما وراء العالم الواقعى ، وهو يخضع معتقداته للتفكير والتساؤل . وبايجاز فهو يرتبط بعالم الافكار والمثل ، هاجرا العالم الواقعى الحقيقى ، وبدأ التفكير فى الخضوع للرمزية المجردة واستخدام القضايا بدلا من الخضوع للحقيقة الوحيدة . وتصبح القضايا هامة بالنسبة له باعتبارها مشكلا للتفكير يفترض فيه العلاقات باعتبارها علاقات عليه . كما تحلل هذه العلاقات بسبب النتيجة التى تؤدى اليها .

ويستبدل بالسلوك العشوائى طريقة منظمة لحل المشكلات . ويراعى فى تنسيق الظواهر لا مجرد اضافة ظاهرة الى أخرى بل يحاول أن ينسق الظواهر تبعا لتسلسلها منطقيا ، فهو يستطيع الان أن يدرس العلاقات الهندسية والتناسب بين الظواهر والمسائل المتعلقة بالنسب والتناسب . ودراسة هذه العلاقات الهندسية لا يقتصر على كونها حلا للمسائل الهندسية والالمام بالمشاكل الرياضية إلماما تاما بل

---

(1) Ibid; p. 193.

يبدأ استخدام التفكير الرياضى فى حل المشاكل الاجتماعية • وهو يهتم بمسائل النسبية ، والتوازن والمساواة بين بعض المفهومات والافعال وردود الافعال • وتفتح المعرفة الموضوعية للقضايا الطريق لفهم النسبية فى المواقف العادية وبقدر ما تزداد النظرة الموضوعية والتنشئة الاجتماعية يتحول الاهتمام من التمركز نحو الذات الى التعاون الاجتماعى المتبادل • وهذا ما تحققه النظرة الموضوعية العقلية والوعى بالعلاقات النسبية اذ أنها تجلب مستوى جديدا من التنظيم ، ومدخلا جديدا الى البيئة الاجتماعية والمادية •

ولا تقتصر ملاحظات المراهق على الاحداث التى تمر أمامه ملاحظة سطحية بل يعتبر أن ملاحظاته لاحداث الحياة هى نقطة البداية ، أو كبرهان لمجال تأمل أوسع وبفضل ملكاته العقلية الجديدة وقدرته على صياغة الفروض يبدأ فى بناء أنواع شتى من التوافقات الممكنة للاحداث كما يتوقع أن تحدث ، وفى الوقت نفسه يحاول اثبات هذه الامكانيات التى يمكن أن تتحق من فروض تجريبية • وبجرد وضعه لهذه الفروض فانه يتخذها نقطا للبداية لحلول جديدة ممكنة لمشاكل الحياة •

وتزداد حصيلة المراهق من المفردات اللغوية حتى يتمكن من امتلاك ناصية اللغة تماما • كما تشجع اللغة الطفل على التفكير العقلى ، والسلوك المنطقى استنادا على حقيقة أن اللغة تنقل الى كل منا نسقا مجهزا من الافكار والتصنيفات والعلاقات ومخزون لا ينفذ من التصورات التى يعيد بنائها كل شخص تبعا لانماط عريقة من التفكير صاغتها الاجيال السابقة • كما يدرك الشاب أن قيمة الموضوعات فى كونها مرتبطة ارتباطا كاملا مع نسق قيم الانسان ، بل حتى أسماء الاشياء تفسر تفسيرا أخيرا باعتبارها تفرض على الموضوعات دون نظر الى وجودها النهائى • وعلاوة على ذلك فالموضوعات البعيدة مثل القمر والشمس تجد تفسيرا لها فى نسق الفكر • كما أن معرفة المراهق أن الحياة تقتصر على الانسان والحيوانات والنباتات يبعث فيه شعورا جديدا بعدم التوافق والخشوع أمام الطبيعة القادرة • ويحتل المراهق مكانه مع الكائنات الحسية الاخرى فى عالم متغير تماما •

ولما كان وضع المراهق قد استقر نسبيا ، فهو يرى أسرته وأعضاؤها مرتبطين بالاسر الاخرى فى مجتمعه • ويتركز اهتمامه الاكبر فى وزن المشاكل

ووجهات النظر المختلفة وتصنيفها ، واعادة تقييمها • ويجد المراهق لذة فى تلك القوى الجديدة الناتجة عن تكاثر الافكار ، دون أن يلزم نفسه التزاما جادا بأى منهـا •

ويرى بياجيــه أن الطفل بين الحادية عشر والثانية عشر يبدأ فى ادراك حقيقة النسبية فى الكون• فمعنى المساواة والعدالة والحق والاخلاق تتخذ صورا نسبية وترتبط بوضعه الاجتماعى • وعند هذا المستوى الجديــد مــن المعرفــة يتخذ الكذب عند الصبى معنى جديدا غير معناه فى فترة الطفولة ، فالكذب هو كل ما يقصد به المتكلم باطلا عن قصد ، وما يتضمنه من معنى • فقصد التضليل هو معيار الكذب ــ وهذا يدل بجلاء عن مدى النضج الاجتماعى لوعى المراهق، كمايدرك أن توقيع العقاب الجماعى ردعا لمذنبين مجهولين هو ظلم فادح وقع عــلى أعضــاء أبرياء • وبذلك نرى بداية تكوين الضمــير الاجتماعى بمعناه الحقيقــى لــدى المراهق ، فالمراهقة فى الواقع اكتساب قيم جديدة تصل به حتما الى مرحلة التوازن قرب نهاية فترة المراهقة• ويرى بياجيه أنه بالامكان تفسير هذا التوازن بأربعــة انجازات تطورية هى :

١ ــ يصبح العالم الاجتماعى وحده عضوية له قوانينه ولوائحه وتوزيع أدواره ووظائفه الاجتماعية •

٢ ــ يذوب الشعور بالتمركز حول الذات وحل محله شعور التضامن الخلقى وهو محصلة تربية الضمير •

٣ ــ يعتمد تطور الشخصية على تبادل الافكار نتيجة الاتصال الاجتماعى بدلا من التقليد الساذج •

٤ ــ يحل الشعور بالمساواه محل الخضوع لسلطة الراشد •

وهكذا يرى بياجيه أن الفرد يجد توازنــه ابتــداء من الرابعــة عشر أو الخامسة عشر لان الصبى يستطيع رؤية بعض الاجراءات الممكنة التــى يقوض بعضها بعضا ، وهــو يستطيع أن يربط سويا بــين بعض القضايا الاجرائية فــى انماط وانساق من العلاقات البنائية والتى تبنى فى وحدة مميزة •

وهكذا انتهى بياجيه الى أن الكل البنائى يعتبر صورة لتوازن سلوك الفاعل، ومن ثم تصبح لهذا الكل البنائى أهمية نفسية أساسية • وعند هذه النقطة ينتهى تحليل بياجيه لنمو الطفل ويتضمن تحليل بياجيه ضمنا لا صراحة أن النمط الاساسى للتفكير والتعقل عند الفرد قد استقر ورسخ ، ما دام الفرد قد بلغ مرحلة النضج العقلى •

ولما كان بياجيه لم يضع نظرية متكاملة واضحة عن تطور تفكير الطفل ، ولم تدرس أفكاره دراسة تجريبية ، فليس بمستغرب أن يساء فهم آراء بياجيه • ولقد أحدثت دراسة بياجيه لبسا بين الكثير من العلماء ، ذلك لان كل أبحاث بياجيه قد انصرفت الى فهم تفكير الطفل فى فترات محددة من حياته ودرست العديد من الاطفال فى الاعمار المختلفة • وربما بسبب اهتمام بياجيه بأطوار الطفولة فان علماء كثيرين قد افترضوا أنه يعتقد أن هذه الاطوار يتبع بعضها بعضا آليا ، وان نظريته فى النمو هى نظرية فى النضج •والحقيقة غيرذلك فهو لم يقدم نظرية فى النضج بل عرض نظرية فى مراحل تطور النمو لان أطوار النمو لا تظهر فى نمط غير محدد •

الفصل الرابع

موقف المدرسة الاجتماعية من طور الطفولة

- آراء دوركيم فى التربية الاخلاقية للطفل ٠
- الطفل بين دوركيم وبياجيه ٠
- مدى اسهام علماء الاجتماع فى دراسة الطفل ٠
- آراء الكس انكلز فى طور الطفولة ٠

موقف علـم الاجتماع من طـور الطفولة

لقد أعطى علم الاجتماع قدرا من الاهتمام لطور الطفولة ، ولكن اهتمامه لم يصل الى مستوى اهتمام علم النفس والانثربولوجيا • ونحن نخطىء لو أرجعنا اهتمام علم الاجتماع بالطفولـة والاطفـال الى بعض علمـاء الاجتماع المعاصرين وحدهم ، أذ يعد اميل دوركيم عالم الاجتماع الفرنسى ، أول عالم اجتماع أبـدى اهتماما بالاطفال والتربية الاخلاقية للطفل وخص طور الطفولة بكتابين هما التربية الاخلاقية (١) ، والتربية وعلم الاجتماع •

آراء دوركيم فى التربية الاخلاقية للطفل :

يعد كتاب التربية الاخلاقية الصادر بالفرنسية فى عام ١٩١٢ ، أول كتاب فى علم الاجتماع يهتم بطور الطفولة ، وأول عمل اجتماعى منهجى يخصص لدراسة طور الطفولة ، ولقد أعطى دوركيم اهتماما متزايدا لكيفية انتقال القيم والمعتقدات الاجتماعية الى الطفل ، متأثرا فى ذلك بفكرته عن التمثلات الجمعية فى المجتمع • وقد بين دوركيم فى هذا الكتاب مدى تقبل الطفل للايحاء والسلطة وأثر المعلم فى تشكيل السلوك • ولمـا كان المجتمع كما فهمه دوركيم صانع كل شـىء فى حيـاة المجتمع فهو الذى يشكل سلوك الطفـل حسب الظروف الاجتماعية السائدة فـى المجتمع بما له من قوة القهر والالزام على تحوير السلوك ، وقهر الرغبات • وهـو صانع مقولات تفكير الطفل • فتفكير الطفل ليس سمة فردية بل يعبر عن العقـل الجمعى ، ويعكس الحياة الاجتماعية التى يرتبط بها الطفل • فالطفل دائما خاضع لمجتمعه والمشاعر الاجتماعية هى التى تربطه بالجماعة ولا يستطيع الطفل مثله مثل البالغ أن يهرب منها ، اذ أن المجتمع هو غرضها ، ويقيد المجتمع الطفل كما يقيـد البالغ ، ولا يستطيع الصغير والبالغ أن يهربا من القوى الاجتماعية التى تحاول أن تمتلك الشخص منذ طفولته وتسيطر عليه • والطفل ليس حرا فى تكوين شخصيته المتميزة لان المجتمع هو الذى يفرض عليه نمط الشخصية • فكـل مجتمع يخلـق شخصية أعضائه •

---

١ ــ اميل دوركيم : التربية الاخلاقية • تأليف أميل دوركيم ترجمة السيد محمد بدوى القاهرة مكتبة مصر •

وقد أكد دوركيم أن عملية نمو شخصية الطفل ترتبط بعملية التربية الاجتماعية والاخلاقية للطفل من أجل توجيه السلوك حسب القواعد الاخلاقية ، واتباع السلوك الواجب حسب القواعد الاخلاقية الثابتة المفروضة عليه ٠ وقد أشار دوركيم الى أن الاخلاق مرغوبة ومطلوبة لاستمرار الحياة الاجتماعية والمجتمع ، وليست أبدا سلطة قهرية ٠ وقد عرف دوركيم عملية التربية الاجتماعية بأنها عملية توجيه للسلوك حسب القواعد الاخلاقية ، وتعتمد على الايحاء لتعويد الطفل الحياة الاجتماعية والتدريب على النظام والخضوع له ٠ وقد بين دوركيم فى كتابة قواعد المنهج فى علم الاجتماع (١) ٠

ان عملية التربية الاخلاقية كلها تستهدف أن تفرض على الطفل أساليب الفكر والعاطفة والفعل ٠٠٠فمنذ السنوات الاولى من الميلاد تفرض على الطفل أن يأكل ويشرب وينام على نحو معين ، وفي مواعيد محددة وتقهر نزعاته ورغباته ، ويجبر على تعلم النظافة والهدوء والطاعة ، وأخيرا يضغط عليه ليتعلم بعض قواعد السلوك الاخلاقى فى التعامل مع الاخرين ويحترم العادات ويؤمن بالحاجة الى العمل٠ كما أن عدم الشعور بهذا القهر بعد ذلك يرجع الى أنه صار عادة مألوفة وميولا داخلية تجعل القهر لا ضرورة له ولكنه ما يزال هو المنهج الذى نستقى منه العادات الاخلاقية ، وهذه العملية التربوية تعبر عن اهتمام الجماعة بتشكيل سلوك الطفل الشخصى وتهدف الى توجيه سلوكه وفق القيم السائدة وتغييره حسب العقل العقلى فى الجماعة ٠

ولقد أوضح دوركيم أن سلوك الطفل فى طور ما قبل المدرسة يختلف عن سلوكه أثناء طور المدرسة ٠ ولقد قسم دوركيم مرحلة الطفولة الى طورين ، الطور الاول يبدأ من الميلاد حتى دخول الطفل المدرسة ، ويخضع فيه الطفل خضوعا كليا لتربية الاسرة ٠ الا أن دوركيم اتساقا مع منهجه العقلانى ، قلل من قيمة الاسرة فىتنشئةالصغار تنشئة اجتماعيةقويمة وجعلهاعنصرا ثانويافىالمجتمع٠ ورفضرأى فرويد فى اعلاء شأن الاسرة كقوة نفسية فى المجتمع تمنح الحب والحنان والعطف وتشكل السلوك ٠ فالطفل فى طور ما قبل المدرسة يكون فى سن صغيرة تتسم بضيق

(١) دوركيم أميل : قواعد المنهج فى علم الاجتماع ٠ تأليف اميل دوركيم ترجمة محمود قاسم ٠ القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٠ ٠

الافق العقلى ، وتحد هذه القدرات العقلية القاصرة من مبادىء الطفل الاخلاقية • كما تتصف حياته العاطفية بالسذاجة ، وفى الوقت نفسه تصطبغ أفكاره بالبساطة والسطحية والضعف ، ولا تسمح حياته النفسية أن يقوم سلوكه على أساس عقلانى ، ومن ثم رفض مسؤولية الاسرة فى التربية الاخلاقية • لان الاسرة بحكم تكوينها البسيط لا تستطيع أن تكون أداة صالحة لاعداد الطفل لاداء واجباته فى الحياة الاجتماعية كما أنها تنقل اليه عيوب الوالدين وحركاتهما اللاارادية وتنمى التربية الاسرية مشاعر الفردية والانانية عند الطفل ولا تستطيع أن تؤهله للقيام بدوه فى المجتمع •

وبذا اختلف مع فرويد فى تحديد الفترة الاهم فى تكوين شخصية الفرد ، ورفض أهمية تأثير السنوات الخمس الاولى التى يقضيها الطفل مع والديه وأخواته فى تكوين الشخصية وبين أن الفترة الاكثر خطورة فى حياة الشخص هى التى تبدأ منذ التحاق الطفل بالمدرسة وخروجه عن نفوذ الاسرة وخضوعه لتأثير المنهج المدرسى الموجه • واهتمام دوركيم بالمدرسة ، وتأكيده أهمية المدرس فى بث القيم الاخلاقية والاجتماعية ، يرجع الى أنه أخضع التربية لحكم العقل • وقد جعل دوركيم من المدرسة النظام الهام المسئول عن تلقين الطفل مبادىء الحياة الاجتماعية لان العمر العقلى للطفل يسمح بذلك ، وفى الوقت نفسه تتحمل المدرسة مسئولية المحافظة على الطابع القومى للشخصية • فالطفل عند دوركيم يذوب فى المجتمع تماما ، ويشكل المجتمع شخصيته حسب القوالب الاجتماعية السائدة • والمدرس لا الوالدان هو وسيلة المجتمع الى توجيه سلوك الطفل الى المبادىء الاجتماعية والاخلاقية • والمبادىء الاجتماعية التى تكون الطابع الاجتماعى للشخصية ، والتى يهتم بها المدرس هى قدرة المرء على التحكم فى ذاته ، أى تكوين الارادة عند الطفل حتى يقدر على كبح جماح العواطف والرغبات والعادات ، واخضاعها لقانون منظم ، وتعويد الطفل الخضوع للنظام ، والارتباط بالمجتمع • ويتعين على المدرسة أن تغرس هذه العادات العقلية فى الطفل لانها عادات سليمة ولان لها أنفع النتائج التى تعود بالسعادة على الجماعة وتحمى المجتمع من شر القوى غير العاقلة • والمدرس هو الذى يعرف الطفل بهذه المبادىء الاخلاقية بل لا يعرفها الطفل الا عن طريق المدرس ، وسلطة المدرس وقدرته على استمالة التلاميذ والتعلق به هى التى تحقق النظام

الخارجى وتتوقف عليها الحياة الاخلاقية · والحقيقة أن آراء دوركيم فى التربية الاجتماعية للطفل تعد بداية نشأة علم الاجتماع الطفل الذى اعترف به كفرع من فروع علم الاجتماع مؤخرا ·

الطفل بـين دوركيم وبياجيـه :

ويقودنا الكلام عن آراء دوركيم عن الطفل الى عقد مقارنة بينه وبين جان بياجيه عالم النفس الفرنسى فكلاهما أهتم بأخلاق الطفل ولكن من منظور مخالف · ولقد اقترب العالمان فى بعض الاحيان وتنافرا أحيانا أخرى ·

ولقد اقترب بياجيه كثيرا من عالم الاجتماع الفرنسى أميل دوركيم فى تأكيدهما سويا أهمية طور الطفولة المتأخرة · والذى يبدأ من بلوغ الطفـل السابعـة فـى اكتساب العناصر الاخلاقية · ويرى دوركيم أن هذا الطور هام للغاية ، فى تكوين الطابع الخلقى للشخصية فعالم طفل ما قبل السابعة كما يصفه دوركيم ، يحد من أفقه الخلقى ، أما طور الطفولة المتأخر ، الذى يبدأ بالتحاق الطفل بالمدرسـة ، فيمكن خلاله البدء فى التهذيب الاخلاقى مع البدء فى اخضاع الطفل لمبادىء التفكير العقلى · وهذا التأكيد على أهمية ادماج العناصر الاخلاقيـة عند طفل مـا بعـد السابعة ، يجد قبولا عند بياجيه لان الشعور الخلقـى حسبما يرى ، لا يولـد مع الطفل ، بل انه يتشكل نتيجة امتصاص وتمثل الطفل للعناصر الاجتماعية والاخلاقية سويا ، عند بدء ظهور مرحلة التفكير العقلى · والاحكام الاخلاقية التى يصدرها الطفل فى طور الطفولة المتأخر عن أفعال الكذب والسرقة تدل على نمو تفكيره وبدأ انحسار تمركزه حول ذاته عندما يشرع الطفل النظر الى الفعل من خلال القصد · فبعد السابعة تتضح أكثر أفعال السرقة ويصبح ارتباطها بالمعايير الاخلاقية أكثر وضوحا ، كذلك لا يعتبر الكذب أمرا شائنا قبل السابعة اذ يعد ظاهرة سوية تعبر عن استمرار التمركـز حـول الـذات وعـدم قـدرة الطفـل عـلى الفصل بـين الواقع والخيال ولكن عندما يصل الطفل العام الحادى عشر من عمره يتخذ الكذب معنى جديدا يتفق والتقاليد الاجتماعية ويعتبر فعلا خطيرا مقصودا ويستدعـى العقاب حتى لو لم يعاقبنا أحد · ان تغير موقف الطفل من الكذب يعكس التطور

الفكرى عنده وتحوله من مرحلة التمركز حول الذات الى مرحلة التفاعل مع الاخرين • ويرى بياجيه أن ثمة تطابقا بين النمو العقلى والنمو الاخلاقى فالمنطق هو اخلاق التفكير كما أن الاخلاق هى منطق العمل (١) •

ولقد اقترب بياجيه أكثر من دوركيم عندما أبان أن الميول الغريزية ليست كافية لتكوين الاخلاق ، اذ أن الاخلاق تستلزم وجود قواعد ، وان القواعد الاخلاقية اجتماعية بطبعها •• ويرفض بياجيه معارضا سبنسر ، أن التربية تأتى من الطبيعة ، ويتفق مع دوركيم فى أن التربية عملية اجتماعية وأن الاخلاق اجتماعية• ولكن هذا الاتفاق فى طبيعة الاخلاق وعلى أهمية طور الطفولة المتأخرة فى تكوين العناصر الاخلاقية لا يعنى اطلاقا التطابق بين آرائهما فى التربية الاخلاقية للطفل، اد سرعان ما يتلاشى هذا الاتفاق أمام عدد كبير من القضايا كما يختفى هذا الاتفاق بالنسبة لطريقة كل منهما فى دراسة أخلاق الصغير ، فاذا كان دوركيم قد درس أخلاق الطفل مستندا على الاستدلال العقلى ، فان بياجيه قد اعتمد فى دراسته على أراء الاطفال أنفسهم وملاحظة سلوكهم ، هذا الاختلاف فى طريقة دراسة الاطفال أدى الى تباعد أراء كل منهما• كذلك اختلف مدخل كل منهما فى دراسة الطفل فبينما كان مدخل دوركيم اجتماعيا كان مدخل الدراسة الاساسى عند بياجيه هو المدخل النفسى • وهو يؤكد أن مدخله فى الدراسة مدخل (نفسى لا تربوى ولا اجتماعى)• وهذا المدخل النفسى فى دراسة الطفل أدى ببياجيه الى اتهام الاسس النظرية للتربية عند دوركيم بأنها تناقض المعلومات المسلم بها فى وقته فى علم نفس الاطفال، كما أنها كانت تناقض كل ما وصفه معاصروه من المربين ، ويقول بياجيه أنه من المستحيل أن نقبل النتائج التى قام بها دوركيم كما هى وعلى الرغم من قوة وخصوبة طرقه وقواعده فان علم الاجتماع عند دوركيم يحمل معه صعوبات أساسية (٢) نجمت عن فصل دوركيم بين علم النفس وعلم الاجتماع فصلا تعسفيا •

وهذا الخلاف فى طريقة الدراسة وما نجم عنه من أراء متباينة تحتم علينا

---

(١) بياجيه جان : الحكم الخلقى عند الاطفال تاليف بياجيه جان ، ترجمة محمد خيرى حربى القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٦ ص ١٦٣ •

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٠ •

أن نطل اطلالة سريعة على أوجه الاختلاف بين دوركيم وبياجيــه فيما يتعلق بالتربية الاخلاقية للطفل ٠

وفى البداية نوضح أننا لا يمكن أن نفهم أراء دوركيم فى التربية الاخلاقية بمعزل عن نظريته الاجتماعية كما وضحت فى مؤلفاته ابتــداء من تقسيم العمل مرورا بعلم الاجتماع والفلسفة ثم قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، وانتهاء بكتابة التربية الاخلاقية ٠

وقد تضمن كتاب التربية الاخلاقية العناصر النظرية للتربية الاخلاقيــة ٠ وهذه العناصر هى :

١ ــ روح الخضوع للنظام : وهو يرى أن روح النظام يقصــد به وضع قواعــد للسلوك وتتكون هذه الروح ابتداء من التحاق الطفل بالمدرسة ٠

٢ ــ الارتباط بالهيئات الاجتماعية ٠

٣ ــ استقــلال الارادة ٠

والمجتمع عند دوركيم هو المصــدر الوحيد للاخــلاق ٠ ولكل مجتمع نظامه التربوى ، كما أن الوحدة الاخلاقية للمجتمع حقيقة لا مفر منها ٠

لم يقبل بياجيه هذه العناصر الثلاثة الاساسية للتربية الاخلاقية كما عرضها دوركيم ٠ اذ يرى أن هذه العناصر تجريد نظرى بحت لا يجــدى الا فى التربيــة النظرية كما أنها تناقض المعلومات المسلم بها فى عصرها، كذلك فاننا اذا آمنا بأفكار دوركيم عن تقسيم العمل ، والتماسك العضوى والتباين الاجتماعى فان هذا التباين الاجتماعــى كمــا يراه بياجيــه يهدم عاداتنا الاجتماعية وقواعدنا الاخلاقية ٠ ولم يقف بياجيه عند حد رفض العناصر النظرية الاخلاقية بل تجاوز ذلك الى حد اتهام دوركيم بأنه كان سىء الحظ عندما سلم ببعض الافكار القبلية التــى أثرت فــى أفكاره ، وجعلته يرى الاطفال يجهلون أى مجتمع آخــر غــير مجتمع الراشدين أو المجتمعات التى بناها هؤلاء الراشدون ، وقد أدت به هذه الفكرة المسبقة الى القول بأن المجتمع يضغط على أفراد مهما تكن أعمارهم ، وقــد أدى تطرف دوركيم فــى

ايمانه ببعض الافكار المسبقة الى اغفال وجود جماعات الاطفال اتى تنشأ تلقائيا كما أهمل الحقائق المتصلة بالاحترام المتبادل بين الكبار والصغار ، وهذا التاكيد لمجتمع البالغين يؤدى بكل بساطة الى الدفاع عن الطرق القائمة على السلطة ، ونحن نعرف أن الحال غير ذلك ، فهناك جماعات متباينة فى السن والمهن وهناك المجتمعات الحضرية والريفية والصناعية والبدوية وهناك مجتمعات الكبار ومجتمعات المراهقين ومجتمعات الصغار • والناس دائما تحسن وتغير وتعدل فى تجاربها وتتعرض لاخطاء وانحرافات كثيرة تحاول دائما أن تعدلها وتقومها •

ولقد وقف بياجيه موقف المعارض والرافض المتصلب من فكـرة الالزام أو القسر عند دوركيم • ولكى نفهم هذا الرأى يتعين أن نعرض لفكرة الالزام فـى التربية كما أوضحها دوركيم • يـرى دوركيم أن السلطة الاخلاقيـة كما يفهمها الشخص البالغ فكرة يحددها الرأى العام وهى تستمد كل قوتها من ذلك الـرأى العام (١) • ويتصور التلاميذ القاعدة الاخلاقية على أنها شـىء مقدس لا تنتهك حرمته • ويتعين أن يشعر التلاميذ بأن هناك قاعدة تحدد سلوكهم • وتسندهم فى أوقات الحيرة ، ويتعـين علينا أن نكون عنـد الطفل شعورا ذاتيـا بما للقاعـدة الاخلاقية من صفات تجعله يخضع لهاطواعية ، وذلك معناه أنه يجب أن يشعر بالسلطة الاخلاقية الكامنة فى هذه القاعدة ، والتى تضفى عليها الاحترام ، ولن تكون طاعة الطفل أخلاقية حقا الا اذا ظهر الصدى الخارجى لذلك الشعور الداخـلى بوجوب احترام القاعدة الاخلاقية ، والخضوع للنظام • كما يوضح دوركيم أن النظام من شأنه أن ينظم السلوك بل ومن الخير للشخص أن يخضع للنظام • فالسلطة ضرورية لتحد من القوى المتمردة • وما الاخلاق عند دوركيم الا نظام من النواهى • وهـى تعكس القوى الضاغطة الدائمة للمجتمع على أفراده ، ذلك الضغط الـذى لا يمكننا أن نحس به ، ويعبر عن الواجب الذى ينبغى أن نتبعه فـى معاملاتنا • ويتلقـى المجتمع الاخلاق من سلطة أعلى آمرة ناهية ، وموقف أعضائه سـلبى أكثر منـه ايجابى كما أن سلوك الناس سلوك مسير أكثر منه سلوك مخير •

---

(١) دوركيم أميل : التربية الاخلاقية • المرجع السابق • ص ١٦٠ •

والمعلم هو الذى يعهد اليه بالتربية ، وهو وسيط المجتمع فى تلقين الطفل قواعد الاخلاق السائدة فى المجتمع • وهو يقوم مقام رجل الدين • كما أن المدرسة هى المسؤولة عن توجيه الطفل للتعلق بالمجتمع • والبيئةالمدرسية هى البيئة الوحيدة التى يمكن أن يتعلم فيها الطفل كيف يعرف الوطن وكيف يحبه • وهذا المجتمع المدرسى أقرب الى المجتمع العام من الاسرة التى تنمى عند الطفل أخلاق العاطفة لا أخلاق العقل • وهذه القواعد التى تفرضها المدرسة لا يمكن أن تتغير أو تتبدل ، ولا توائم الامزجة المختلفة ، وعندما يحترم الطفل الاخلاق المدرسية • يتدرب على احترام القواعد العامة ، ويكتسب عادة التحكم فى غرائزه وكبح جماح نفسه •

ويجد مبدأ الالزام الدوركيمى ، والذى يفرض على الطفل القواعد الاخلاقية السائدة فى المجتمع معارضة شديدة من بياجيه ، الذى يؤمن بالذاتية والحرية والديمقراطية والتعاون والاحترام المتبادل ، لا الاحترام من جانبواحد القا ءعلى الرهبة • ويرى بياجيه أن ثمة فرقا بين القسر ، وما يمارسه الراشد من توجيه للطفل • فهذا القسر لا يولد عن الطفل احساسا بالواجب أو أن يقوم بالواجب مستقلا عن القسر الذى يخضع له الراشد منناحية المجتمع كله • فالطفل عادة أسرع استجابة للايحاء المشوب بصيغة الامر من البالغين وهذه السلطة تأتى من المجتمع وينفذها المجتمع • واذا كان بياجيه قد رفض مفهوم السلطة والزام فانه يستبدل بهما فكرة التعاون •

ويرفض بياجيه فكرة أن الراشد فى توجيهه لسلوك الطفل ينبغى أن يكون مستبدا فى علاقته معه ، ويرى أن هذا الراشد قوة معاونة ومرشدة للطفل لا قوة ضاغطة عليه (١) • ويقول بياجيه أنه من السخف بل ومما يناقض الاخلاق أن نحاول أن نفرض على الطفل نظاما محكما دقيقا ، على حين أنالحياة الاجتماعيةبين الاطفال تكفى لقيام نظام قريب جدا من الخضوع الداخلى الذى يميز أخلاق الراشد• ويؤكد بياجيه أنه لا يمكن قيام أخلاق عصرية كاملة الا عن طريق التعاون • وعلى هذا الاساس يمكن أن نقول أن الاخلاق لا زالت شيئا اجتماعيا ولكن رغم أن بياجيه وصف الاخلاق بالصفة الاجتماعية ، الا أنه رفض فكرة الوحدة الاخلاقية للمجتمع

---

(١) بياجيه : الحكم الخلقى عند الاطفال • المرجع السابق • ص ٣٦٩ •

كما عرضها دوركيم ويقول أننا لا يمكن أن نعتبر المجتمع كلا كاملا ، ولا مجموعة من القيم الواضحة تمام الوضوح ، فأخلاق الخير تنمو بالتدريج وتكون فى علاقاتها بالمجتمع حالة من حالات التوازن المثالية تظهر فوق حالات التوازن الكاذبة وغير المستقرة التى تقوم على القسر (١) .

أن أهم ما يعاب على دوركيم فى نظر بياجيه أنه لم يفرق بين التعاون والقسر ولقد رأى بياجيه فى التعاون والاحترام أساس التربية الاخلاقية بل لن تقوم أخلاق دون قيام الاحترام الذى يحسه الطفل نحو الراشد . ويقوم التعاون على الاحترام المتبادل بينما أخلاق الاحترام من جانب واحد تقوم على القسر ، ويرى بياجيه أن الطفل يطيع أوامر الراشدين ، ويخضع لها لانه يحترمهم ، لا لانه يرهبهم . فالمجتمع ليس سوى سلسلة من الاجيال كل منها يخضع لما يليه . وقد أضاف بياجيه على ذلك أنه كلما زادت كثافة المجتمع سهل على البالغ والمراهق التهرب من القسر المباشر ، ولذا فان اخلاق الاحترام المتبادل تتفوق على أخلاق السلطة وتساعد على تكوين المسؤلية الشخصية . ويتجلى هذا التعاون بين الطفل والراشد. وهذا التعاون بين الصغار أنفسهم أكثر ما يتجلى فى ألعابهم . ويؤدى الى تأثيرات اخلاقية معينة وهنا يصل بياجيه الى نتيجة هامة مؤداها أنه اذا كان الراشد عند دوركيم هو مصدر الاخلاق فان أخلاق الطفل كما يتصورها بياجيه تنبع من منبعين المنبع الاول ما يفرضه الراشد من قواعد والمنبع الآخر ، ما يكتسبه الطفل من قواعد نتيجة التفاعل بين الاطفال أنفسهم ، وفى الحالتين فان هذه الاخلاق اجتماعية وليست من صنع الراشد وحده .

كذلك رفض بياجيه فكرة دوركيم (أن الجماعة لها ضمير جمعى واحد مادامت كلا واحدا ولها صفة الدوام بما يضمن قيام واستقرار القيم الاخلاقية) . ولقد عارض بياجيه هذه الوحدة الاخلاقية للمجتمع لان الاخلاق التى يفرضها المجتمع على الفرد ليست متجانسة لان المجتمع نفسه ليس شيئا واحدا . فالمجتمع هو مجموعة من العلاقات التى يمكن أن نميز فيها بين نوعين متناقضين من العلاقات هما علاقات

---

(١) المرجع السابق . ص ٣٢٣ .

القسر التى تتمثل فى الاوامر والنواهى التى تفرض على الفـرد من الخـارج ، وعلاقات التعاون التى تنبع من عقول الافراد وتقوم على الاحترام المتبادل ٠

قضية أخيرة وقف كل منهما منها موقفا مغايرا هى قضية الغيرية ٠ ويرى دوركيم أن الميل يكون أنانيا ، اذا لم يخرج عن الذات التى يصدر عنها واتجه نحو مركزه ، أما الميل الغيرى فينتشر خارج الذات كذلك بين لنا أن الطفل فى بدء حياته أنانى محض ، وعلى التربية أن تركب فيه من جديد تلك السمات الغيرية التى يفتقر اليها أصلا ، وعلى ذلك فثمة أنانية تكمن بين طيات الغيرية ، وبالعكس نجد فى الانانية بذور الغيرية ٠ فشخصياتنا ليست صورا خاوية وانما تتكون من عناصر تأتينا من الخارج ٠ واستنادا على ذلك يقول دوركيم من الصعب أن يحيا المرء حياة أنانية خالصة بل أن هذا مستحيل ٠ ومن العسير أن يحيا حياة غيرية خالصة بل أن هـذا متعذر ٠ وهذا ما يفسر لنا وجود النوعين سويا عند كل فرد ٠ والخلاف بين الانانى والغيرى ليس خلافا فى النوع بل خلاف فى الدرجة ٠ فالانانية والغيرية وجهان لعملة واحدة ٠ يوجدان معا عند كل فرد منا جنبا الى جنب مرتبطان عنده ارتباطا وثيقا ، وتتفاوت درجة وجود كل منهما عند كل فرد ٠ ومن العسـير أن يوجدا عند فـرد واحد بدرجة متساوية ٠ ومن ثم فالطفل عند دوركيم ليس ذلك المخلوق الانانى ولكن من مجرد كونه كائنا يعى ويتعقل ، مهما كانت سذاجة ذلك الوعى — يمكننا أن نقول أنه قادر على نوع من السلوك الغيرى ابتداء من الطفولة المبكرة ، لانـه قادر على أن يدرك حاجته الى الارتباط بالاخرين ٠ فغيرية الطفل ليست واسـعة المدى وليست مطلقة ولا عظيمة التعقيد مثلها فى ذلك مثل أنانيته والتى ترتبط بغيريته ٠ اذ لما كانت شخصية الطفل بسيطة غير معقدة فانها لا تسمح الا بصلات محددة بينها وبين المشاعر الانانية ٠ والنقطة الهامة التى تميز بها دوركيم فيما يتعلق بالغيرية عند الطفل هى تأكيده أن الثقافة تنمى الجانب الغيرى من طبيعتنا ، أكثر مما تنمى الجانب الانانى ٠

هذا الازدواج الفطرى بين الانانية والغيرية عند الطفل كما حدده دوركيـم يقابله عند بياجيـه ظاهرة مركزية الذات عند الاطفال فما دام المجتمع والفرد فى مرحلة الطفولة لم ينفصلا بعد فالطفل وأن كان يقع تحت السيطرة الكلية لتأثير

ايحاءات الراشدين المحيطين به سواء عند التقليد أو الالزام فانه يحاول بطريقة لا شعورية أن يجعل مجتمعه الصغير يخضع لوجهة نظره الخاصة به · ولكن بنمو قدراته العقلية واتساع مجتمعه الخاص يتلاشى التمركز حول الذات ، ويبدأ فى الوعى بوجوده وبذاته المستقلة فى المجتمع ، وأنه يرتبط بالاخرين فى نظام تعاونى · ومن هنا تتكون الغيرية عند الصغير ·

ولكن ماذا يقصد بمركزية الذات عند بياجيه ؟ وكيف تتطور ؟ تعد حالة تمركز الذات عند الطفل حالة عقلية ، تبين قصور مدركات الطفل العقلية وتعكس عدم قدرة الطفل على التمييز أو التفرقة بين الواقع والخيال وبين الآنا والغير ، وبين الانا والاشياء الموجودة فى العالم الخارجى ، فهو يجهل نفسه وجسمه ولا يعرف الزمان والمكان والعلاقات العلية القائمة بين الاشياء وتظهر حالة تمركز الذات فى جميع مجالات أنشطة الطفل وتصرفاته فى كلامه وأفعاله وتفكيره وادراكه لنفسه والعالم الخارجى نتيجة قصور تجاربه ·

ويبقى تصور الطفل للعالم الخارجى حتى العام السابع من عمره غامضا · ويبين هذا التصور الخرافى للعالم قوة الانا عند الطفل · ولان الطفل يدرك ظواهر العالم عن طريق تأثيرها الظاهر ، أو نتاجها المحسوسة ولا يربط هذه الظواهر بأسبابها الحقيقية فهو يكتفى بالفعل المحسوس ، ويتقبله كما هو ، دون تحليل أو تفسير معقول ذلك لان التمركز حول الذات يحدد ويشكل مسار تفكير الطفل ·

ويربط الطفل فعل التفكير منذ بداية حياته حتى السابعة ، بحركة الفم ، وفى هذه المرحلة يربط الطفل مصدر الاشياء بقوة بشرية أو الهية ، والله عنده أشبه بانسان جبار قوى قادر على كل شىء · ثم يربط بياجيه فعل تفكير الطفل فى المرحلة الثانية — التى تبدأ من السابعة حتى التاسعة — بالرأس وهو يرجع أسباب الاشياء بأسباب طبيعية · فالنار تولدت من البراكين ، والجبال نشأت من تراكم الحجارة والاتربة ، وفى نهاية طور الطفولة الثانى يتحرر تفكير الطفل من الاطار المادى ويصبح شيئا ذهنيا لا يمكن لمسه ، ويبدأ فى هذا الطور انحسار التمركز حول الذات ، وتبدأ قدرة الطفل على التمييز بين الاشياء فى العالم الخارجى ، ويفهم الطفل أن الشمس أصلها هواء ملتهب وأن القمر مصدره الهواء كما يربط الليل

بأسباب طبيعية غامضة · فالليل هو غيوم سوداء أو هواء أسود · ولكن فى نهاية هذا الطور الثانى يربط الطفل الليل بأسباب طبيعية معقولة كاختفاء الشمس ·

أما كيف ينحسر التمركز عند الذات وتبدأ مرحلة الواقعية ، فيرى بياجيه أن الطفل يدرك الاشياء عن طريق تأثيرها الظاهر أو نتائجها المحسوسة · ولا يربطها بأسبابها الحقيقية · فهو يكتفى بالفعل المحسوس كما هو ويتقبله عفويا دون تحليل أو تفسير معقول · ذلك لان الانا يشكل كل تفكير الطفل · ان الخروج من الانا ، يعنى حدوث التوازن بين عمليات التمثيل وعمليات التكيف ، أى يصبح الطفل متكيفا مع معطيات الواقع ويتمثل هذا الواقع فى سلوكه عن طريق منطق العلاقات والادراك الموضوع للاشياء · وهذا يعنى أن تطور ذكاء الطفل هو محصلة التفاعل المستمر بين القوى العقلية والقوى البيولوجية من جهة ، وبين البيئة الخارجية من جهة أخرى ·

وقد عرض لنا بياجيه مظاهر تمركز الانا عند الطفل عندما درس لغة الطفل ، فبين أن الكلمات التى تدل على تمركز الذات تتناول تكرار الكلمات والمقاطع الصوتية والمونولوج الفردى والمونولوج الجماعى ، بحيث يتكلم الطفل مع نفسه ولنفسه دون أن يتفاعل لغويا وفكريا مع الآخرين ، والطفل فى طور الطفولة الاولى مهما كانت علاقاته بالآخرين ، فهو دائما محب لذاته ، أما الحياة الاجتماعية القائمة على تبادل الافكار والاراء ، فلا تبدأ قبل السابعة أو الثامنة بشكل واضح · أى أن تفكير الطفل يبقى مغلفا بسياج الغموض والتمركز حول الذات حتى السادسة · كما أن حوار الطفل مع الآخرين بدائى ساذج بعيد عن قوانين المنطق ، فهو ينتقل من موقع الى آخر دون سند عقلى أو حتى ترابط بين أفكاره والعالم الخارجى ، أما بعد السادسة ابتداء من طور الطفولة الثانى فيصبح الطفل أكثر قدرة على المحادثة والتركيز على موضوع معين · ويرى بياجيه أن نصف أحاديث الطفل بين الخامسة والسابعة تتمركز حول ذاته ، وتزيد هذه النسبة عند الذين تقل أعمارهم عن الخامسة · والتمركز حول الذات يرتبط بانعزال الانا وبالاعتقاد الساذج لدى الطفل بأن الآخرين يفهمونه ·

ولا تتم عملية تحرر الطفل من التمركز حول ذاته قبل السابعة والتحاقه بالمدرسة · ويبدأ فى هذا الطور طور التفاعل الاجتماعى والتفكير المنطقى عند

الطفل ، وهذا يعنى أن انحسار التمركز حول الذات يبدأ مع بداية التفاعل الاجتماعى ، والاحتكاك بالآخرين • ولكن لا يخرج الطفل من دائرة التمركز حول الذات ولا يدرك العالم الخارجى والاشخاص ادراكا موضوعيا الا فى نهاية طور الطفولة الثانى •

وقد بين لنا بياجيه أن التمركز حول الذات يبدو حتى فى الاحكام الاخلاقية التى يصدرها الطفل • وقد ربط بياجيه تطور العمليات العقلية عند الطفل بتطور أحكامه الاخلاقية التى يصدرها على أفعال الكذب والسرقة والعدل • فالشعور الخلقى لا يولد مع الطفل ولكنه يكتسب ويتمثل فى شخصية الطفل نتيجة تفاعله مع الآخرين ونموه العقلى • والشعور الخلقى عند الطفل فى طور الطفولة الاول شعور غامض يتحكم فيه التمركز حول الذات • وهو لا يعتبر الكذب فى طور الطفولة الاول شيئا خطيرا ونتيجة عدم قدرته الفصل بين الواقع والخيال وتمركز تفكيره حول نفسه أما فى نهاية الطور الثانى فيعرف أن الكذب شىء مرفوض ، وهذا يعنى نمو الشعور الخلقى عند الطفل المرتبط بالاحترام المتبادل والشعور بالمسؤلية • (ان التمركز حول الذات يغطى معظم تصرفات الطفل وأفعاله فى المرحلة الاولى من مراحل نمو الطفل ـ فألعاب الطفل حينئذ تتمركز حول ذاته ورسومه وتفكيره كما أن تصوره للعالم الخارجى والاشياء تدور حول ذاته وتصوره لنفسه • كذلك تدور أحكامه الاخلاقية وعلاقاته الاجتماعية حول نفسه • ويبقى تفكير الطفل ذاتيا حتى يندمج مع الآخرين وبلوغ الطفل مرحلة الاندماج والتفاعل مع الاخرين ينتقل الطفل من التمركز حول الذات الى الغيرية كما ينتقل تفكيره من الغموض الى الوضوح) (١) •

ولقد اتفق بياجيه مع دوركيم فى تأكيدهما أن المدرسة هى المكان الملائم للتربية الاخلاقية • وهى الاداة المنظمة للتربية الاخلاقية ، وقد أعلى دوركيم من شأن المدرسة وأكد أن ما تقوم به المدرسة فى تكوين الطابع الاخلاقى والاجتماعى لشخصية الطفل على جانب كبير من الخطورة والاهمية كما رفض أن تلقن المبادىء الاخلاقية فى مكان آخر غير المدرسة ، ما دامت الاسرة عاجزة على أن تكون وسيلة صالحة لاعداد الطفل للقيام بأدواره فى الحياة الاجتماعية وتكوين المواطنة عند

---

(١) غسان يعقوب : تطور الطفل عند بياجيه ـ بيروت دار الكتاب العربى ١٩٧٣ ص ٧١ •

الطفل • ولكنهما اختلفا في تحديد نوع هذه المدرسة فاذا كان دوركيم يدافع عن المدرسة التي تجمع العناصر الاخلاقية في المجتمع من خلال النظام المدرسي الصارم العقاب ، ويؤمن في الوقت نفسه بالنظام التربوي التقليدي معتمدا في ذلك على السلطة ، فاننا نجد بياجيه في الطرف الآخر يؤكد المدرسة الديمقراطية التي وهذا التعاون أبعد ما يكون عن القسر الاجتماعي وهوتدرب الاطفالعلى التعاون• يتضمن المثل الاعلى للجماعات •

وهكذا نرى أن آراء دوركيم أكثر اتساقا مع النظرية أما أراء بياجيه فقد غلبت عليها دراسته الاولى في علم الاحياء وكانت أكثر ارتباطا بعالم الاطفال •

مدى اسهام علم الاجتماع في دراسة الطفل :

ولقد ألف بوزارد في الاربعينات أول كتاب يحمل عنوانه كلمة الطفولة ، وأطلق عليه اسم (علم اجتماع نمو الطفل) (١) بين فيه أن الطفل يكون عنصرا أساسيا في تكوين المجتمعات التي نعيش فيها ، ولا ينبغي تجاهله عند دراسة سلوك المجتمعات ، ويرجع الاهتمام بالطفل الى عاملين الاول : تغير سلوكه ثم تغير المراكز والادوار التي يشغلها أو يقوم بها الشخص أثناء حياته •

ويرى بوزارد وهو على حق في ذلك أن الطفل قد حرم الى حد كبير من أية دراسة اجتماعية تهتم به كظاهرة اجتماعية في حد ذاتها • فمعظم الدراسات السابقة تدور حول تنشئة الطفل كمقدمة لدراسة أفراد المجتمع البالغين ومن ثم فهذه الدراسات تقتصر على تأثير المظاهر النفسية والاجتماعية لتنشئة الطفل الصغير باعتباره حقيقة انسانية جديرة بالدراسة في حد ذاتها (٢) • ونحن يمكن لنا أن ندرس الطفل من خلال مواقف التفاعل أثناء أداء عمليات اجتماعية متباينة أو أثناء أداء السلوك في الموقف أو ندرس كيفية تكوين شخصيته ونموها أو ندرس أساليب التنشئة الاجتماعية التي تفرض عليه •

---

(1) Bossard, James : The Sociology of child developement. Revised edition N.Y. Harper. 1954.

(2) Ibid : p. 4.

والفكرة الاساسية للدراسات الاجتماعية المهتمة بالطفل لا تنكر المداخل النفسية والتربوية ومدخل الطب النفسى فى دراسة الاطفال وان كانت تختلف معها· اذ تهتم الفكرة الاساسية لاى دراسة علمية للطفولة بتأكيد أهمية هذا الطور فى حد ذاته باعتباره ظاهرة موضوعية تستحق الدراسة · وقد كانت الرغبة فى ترقية المجتمع الانسانى وتغييره الى الافضل هى الهدف الاساسى لعلم الاجتماع · ولكننا نرى مسايرين بوازرد أن علم الاجتماع يجب أن يبدأ بدراسة الطفولة مستهدفا رفاهية الطفل وتغيير الوضع القائم الى وضع أفضل ملائمة ، لقيام مجتمع أنسانى أفضل ·

وقد شغل علم الاجتماع بدراسة طور الطفولة الاول ولكنه أعطى اهتماما أكبر لفترة الطفولة المتأخرة باعتبارها فترة يتحول فيها الطفل الى حياة الجماعات الخارجية مما يتبع ذلك من تأثير على شخصيته وسلوكه وعلاقاته ·

وما دمنا بصدد ذكر أبحاث الرواد من الاجتماعيين عن الطفل فلابد أن نذكر بحث ميدلتون الذى نشر عام ١٩٢٧ · وعلى الرغم أن دراسة ميدلتون لم توجه أساسا لدراسة عملية التنشئة الا أن الباحث أفرد فصلا عن تربية الاولاد ، وأربعة فصول أخرى عن المدرسة ومناهجها والمدرسين والاشياء التى يتعلمها الطفل · ومنذ نشر هذا البحث اهتم الاجتماعيون بالاساليب التى يؤثر بها المركز الاجتماعى الذى يشغله الوالدان على توجيهاتهما وسلوكهما نحو أبنائهما ، وتأثيرات الطبيعة على شخصية الطفل ومشكلة استمرار أو عدم استمرار تجارب التنشئة من مكان لمكان ومن فترة لفترة · كذلك أعطى اهتمام أكبر لكيفية فرض النظام على الطفل وبتأثير نظرية التحليل النفسى وبحث الثقافة والشخصية بدأ علم الاجتماع يوسع من مجالات اهتمامه بالطفل ·

ويرى انكلز أنه بعد الحرب العالمية الثانية تم تحول كبير فى الموضوعات الاجتماعية التى تهتم بالاطفال (١) اذ بدأ الاهتمام باجراء البحوث التجريبية التى تهتم بالطفل وتنشئته وقد أعطى اهتمام نسبى للعلاقات الاسرية ، وعلاقات الطفل

---

(1) Inkles Alex : society, social structure, and child socializatim op cit.

بوالديه ، كذلك أعطى اهتمام لاثر الفروق المهنية والطبقية والمتصل الريفى الحضرى على الطفل · ورغم أن الوالدين كانا محور الاهتمام فى هذه البحوث باعتبارهما مسئولين عن عملية التنشئة ، فقد درست موضوعات عديدة ترتبط بسلوك الاطفال مثل العدوان والنمو الخلقى ، كذلك أجريت بعض الدراسات القليلة التى تسعى لمعرفة ما اذا كانت شخصية البالغ استمرارا لشخصية الطفل أم لا ·

وتأكيدا للاهتمام الاجتماعى المعاصر بالطفولة وجدنا أن مجلة (ملخصات علم الاجتماع) قد بدأت تفرد فصلا خاصا عن التنشئة والطفل ابتداء من العدد الثانى من الجزء العاشر الصادر فى ١٩٦١ ، تعرضت فيه للبحوث والدراسات والكتب التى تتناول الاطفال · مما يدل على ظهور وفرة نسبية للاعمال والبحوث والدراسات التى توجه الى الاطفال على المستوى العالمى ، ويثبت انصراف جزء من الدراسات الاجتماعية الى دراسة الطفل والطفولة · ونحن عندما قمنا بمسح الموضوعات والمقالات التى عرضت عن الاطفال فى مجلد (ملخصات علم الاجتماع) انما كنا نبغى أن نؤكد أن علم الاجتماع لا يقتصر على مجتمع البالغين وحدهم بل هو علم انسانى يهتم بالانسان سواء أكان طفلا أو راشدا · ومع هذا فقد كانت مساهمات علم الاجتماع فى دراسة الطفولة أقل من مساهمته فى دراسة طور المراهقة ومجتمع الراشدين ، وهذا يرجع الى حقيقة مؤداها أن قلة قليلة من الاجتماعيين نظرت الى الطفل باعتباره موضوعا ملائما للدراسة كذلك ألهت المشكلات التى ترتبت على التصنيع والتحضر والهجرة من الريف الى المدينة العلماء الاجتماعيين عن الاهتمام بالصغار ، وانصرفوا الى دراسة مجتمع الكبار ·

ويمكن أن نلاحظ أربع أفكار أساسية هامة من الوجهة التاريخية تحدد مسار علم اجتماع الطفل :

١ ـ الاهتمام بدراسة أساليب الضبط الاجتماعى والسلوك الانحرافى للطفل ·
٢ ـ أهمية التفاعل الاجتماعى فى اكتساب الطبيعة الانسانية وتأكيد نمو الذات الاجتماعية ·
٣ ـ تأثير البناء الاجتماعى وتوجيهات القيم على أساليب تربية الطفل ·

٤ ـ أهمية اكتساب الطفل للادوار الاجتماعية ، ومعرفة مطالب الدور والتدريب على أداء الدور ، لتفهم سلوك الاطفال •

ويؤمن علماء الاجتماع أن الطفل يواجه دائما مجموعة من القيم والمعتقدات والناس والغرص ، وهو يتعلم طريقة الحياة وكيف يتفاعل مع الآخرين ، وكيف يأكل وكيف ينظم وقت النوم وكيف يواجه مشكلات الحياة اليومية ، وكيف يتدرب على الاساليب المفضلة لممارسة النشاط • كما يتعلم كيف يرتبط بزملاء الجيرة ويتفاعل معهم ، وكيف يقدر على العمل •

والطفل لا يشعر بالتأثيرات الهامة التى تفرض عليه ولا يشعر ببداية التغيير فى اهتماماته وما يتوحد به وما قد يفرض عليه وما تحاول الاسرة أن تدمجه فى شخصيته • ولكنه يرى تاريخ حياته برؤية غير متسقة ، بمعنى أنه لا يفرق بين الواقع والخيال • فهو يدرك مدى معاناته من سماع الارشادات والاوامر المتكررة من الوالدين والمعلمين ، ولا ينسى اطلاقا لحظات سروره الغامر باكتساب حقائق جديدة عن الوجود • ولكنه يدرك حقيقة نفسه أو ماذا يريد • وهذان الادراكان يلعبان دورا هاما أثناء عملية التنشئة الاجتماعية •

ولقد تباين تأكيد الاجتماعيين لدور كل من الاسرة والمدرسة فى التأثير على الطفل ، فمثلا أكد دوركيم الاهمية الخطيرة لدور المدرسة بيد أن أغلبهم يرى أن الجانب الاهم فى عملية التربية تلعبه الاسرة • والعملية التربوية داخل الاسرة لا تعمل فى فراغ ولا تنطلق من فراغ ، بل تتأثر بالمكانة الاجتماعية للاسرة ، والبيئة الجغرافية التى يعيش فيها الطفل ، والحقبة الزمانية التى يعاصر أحداثها كما تمارس القوة الوالدية سيطرتها كاملة على الابن • كما أن هناك ميلا من الطفل لقبول الاهداف الوالدية • وتؤثر المكانة الاجتماعية للاسرة والطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الوالدان وعقيدتهما ، وحجم المجتمع الذى تتفاعل فيه الاسرة فيما ينتقل الى الطفل من قيم وآراء ومعايير وأفكار كما تحدد طريقة نقل هذه القيم الى الطفل•وقد انحصر مجال اهتمام الاجتماعيين فى الموضوعات التالية تقريبا : حياة الطفل فى المدينة والقرية ، والطفل والمدرسة ، وطبيعة وتطور أنماط السلوك الاجتماعى ، وسلوك الامهات والابناء نحو الابن الاول والابن الاخير ،

وأساليب الرعاية الاسرية وكيفية اكتساب الطفل للقيم • ورغم اهتمام علم الاجتماع بهذه الموضوعات فان علماء الاجتماع أغفلوا دراسة أثر العوامل الايكولوجية على عملية التنشئة وأداروا ظهورهم لفترة طويلة لاثر العلاقة بين التنظيم السياسى وتنشئة الطفل • ولم يلتفتوا الى أهمية هذه العلاقة الا أخيرا •

ورغم أن هذه الموضوعات يكمل كل منهما الآخر فان أول هذه الموضوعات وأقدمها فى الوقت نفسه يؤكد الفروق بين النظم وتوحد المعايير • ولكن من الانصاف أن نقول أن عددا قليلا من الدراسات والبحوث قد اهتمت بأساليب الضبط الاجتماعى التى تفرض على الطفل أو حتى نمو الذات وقد أدت محاولة علم الاجتماع فهم ودراسة سلوك الدور الى اجراء مزيد من البحوث فى هذا المجال • ورغم أن الاهتمام المباشر بدراسة الطفل فى علم الاجتماع كان ضئيلا فان الفضل الاول فى ظهور مفهوم التنشئة الاجتماعية يرجع الى علم الاجتماع • وبذلك يكون علم الاجتماع قد درس الطفل دراسة غير مباشرة •

اذ يرجع الفضل حقيقة الى علم الاجتماع فى استخدام مفهوم التنشئة الاجتماعية للطفل لاول مرة رغم أن الفلاسفة والتربويين وعلماء النفس قد درسوا بعض مظاهر عملية التنشئة قبل استعمال هذا المصطلح وقد بدأ ظهور مصطلح التنشئة فى معاينة المختلفة فى الكتابات الاجتماعية الغربية لاول مرة منذ عام ١٨٩٠ ، ولقد استعمل عالم الاجتماع جيدنج فى عام ١٨٩٧ ، مفهوم التنشئة ، وعرف عملية تنشئة الطفل بأنها تطور الطبيعة أو الطابع الاجتماعى وتعبر عن حالة اجتماعية فى ذهن الافراد الذين يترابطون سويا (١) •

كذلك قدم لنا روس فكرة مماثلة فى بحثه عن الضبط الاجتماعى عام ١٨٩٦ ورأى أن تطبيع مشاعر ورغبات الفرد للتوافق مع حاجات الجماعة هو العمل الاهم والاكثر صعوبة فى المجتمع وهذا العمل ينجزه من جهة التأثير الاجتماعى ومن جهة أخرى الضبط الاجتماعى • وقد قصد روس بالتطبع عملية تنشئة أعضاء الجماعة • ولكنه لم يستعمل المفهوم بالمعنى الشامل الذى وضعه جيد نجز •

---

(1) Clausen, J. : A. Historical and comparative view of socialization Theory and Research op. cit. p. 20.

وجيدنجز Giddings لم يقتصر على استعمال هذا المفهوم باعتباره مفهوما رئيسيا فى تحليله للعمليات الاجتماعية • بل بين أن نظرية التنشئة الاجتماعية هى الجزء الاكثر أهمية فى نظرية المجتمع ومحصلة جانبية لعملية الترابط ولكنها بالغة الاهمية • وفى كتابة نظرية التنشئة الاجتماعية نرى أنه يستعمل هـذا المفهـوم بمعنى شامل يشمل بعض المدركات التى تنطوى فى العصر الحاضر عـلى مصطلح التوحد أو جماعة المرجع ، ويرى أن عملية التنشئة عملية مستمرة • ولكنه لـم يبذل أى محاولات واضحة لتحديد طبيعة السمات الرئيسية أو الاجهزة التى تجعل من التنشئة عملية مستمرة •

وقد حدد لنا أرنست بيرجس فى رسالته التى تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو وموضوعها (وظائف التنشئة فى التطور الاجتماعى) **ـ حـدد لنا ـ** أن عملية تنشئة الطفل تعنى ادماج معتقدات وعادات المجتمع فـى الفرد • وقد ذكر لنا أن لهذه العملية جانبـان فمن جانب الجماعة لنـا أن نعرف التنشئة بأنها الارتباط النفسى للفرد فى أنشطة الجماعة أمـا من جانب الفـرد فتعرف عملية التنشئة بأنها مساهمة الفـرد فى روح الجماعة وأغراض ومعارف ومناهج وقرارات وأفعال الجماعة • لقد أعطى بيرجس فى كتاباته الاخيرة للجماعات والنظم التى تحقق عملية التنشئة وخاصة الاسرة وجماعات اللعب اهتماما أكبر مما نالته فى رسالته الاولى •

ولقد استخدم بيرجس وبارك مصطلح التنشئة ليعرفا حالة من الاتفاق العام حول الاهداف الاجتماعية وفى الوقت نفسه اهتما اهتماما أساسيا بمظاهر عملية التنشئة كما نعرفها نحن الآن رغم التوسع فى استخدام المصطلح ليشمل مظاهر لا تدخـل حاليا فى مفهوم التنشئة الاجتماعية • ولقد كانت الطبيعة الانسانية هى محـور الاهتمام الاساسى عندهما باعتبار أن الطبيعة الانسانية تظهر دائما من خلال التفاعل الاجتماعى وقد أوضحا معا أن اعادة تنظيم الطبيعة الانسانية انما يحقق استجابة للتقاليد والسنن وعادات ومعتقدات الجماعة •

ولقد درس بيرجس فى كتاب مقدمة فى علم الاجتماع الصادر ١٩٢١ تطور الشخصية ونمو الذات الاجتماعية تحت عناوين ثلاثة :

أ - المتعضى باعتباره شخصية ٠

ب - الشخصية باعتبارها مركبا ٠

جـ - الشخصية باعتبارها دور الفرد فى الجماعة ٠

وقد اشتملت مجلة علم الاجتماع الامريكى الصادرة فى يولية ١٩٣٩ على مقالتين فى التنشئة الاجتماعية المقال الاول كتبه روبرت بارك عن، (الرمزية والتنشئة : اطار مرجع لدراسة المجتمع) ٠ والمقال الاخر كتبه جون دولارد ، (الثقافة وحافز المجتمع والتنشئة) ٠ وفى المقالة الاولى رأى بارك أن التنشئة التقدمية للعالم هى ادماج سكان الارض فى اقتصاد عالمى يضع أساس سياسى وأخلاقى جديد شامل ٠ وفى المقالة الثانية رأى دولارد وحدة المداخل العلمية لدراسة التنشئة والتى عرفها باعتبارها عملية تدريب الانسان والحيوان منذ الميلاد على المشاركة الاجتماعية فى الجماعة ٠ كما أكد دولارد على الصراعات التى يعانى منها الطفل نتيجة احباط دوافعه ٠ كما بين أهمية الحاجة الى تركيز الاهتمام على الطفل فى الاسرة واكتساب المهارات الاجتماعية يوميا ٠ ويهمنا هنا أن نشير الى ملاحظة هامة أشار اليها دولارد فى هامش مقاله تنص على أن حركة نمو الطفل ترتبط ارتباطا وثيقا بدراسة التنشئة ٠ والمشكلة التى يثيرها هذا المفهوم أى مفهوم النمو هى أنه تلقائى الى حد ما ، بينما مفهوم التنشئة يتضمن أن التطور الى حد ما يفترض توافر ضغوط معينة ، وأحيانا ما يكون الضغط عنيفا ٠

وفى عام ١٩٤٢ طور دولارد معاييره لدراسة الشخصية ، بينما كان يعتمد فى دراسته على تحليل حياة الطفل نجده يقدم مفهوم التنشئة باعتباره مفهوما أساسيا فى علم النفس الاجتماعى وكانت معاييره لدراسة الشخص فى البيئة الاجتماعية هى ما يلى :

١ - ينبغى النظر الى الشخص باعتباره نموذجا فى مجموعة ثقافية ٠

٢ - يتعين أن تكون البواعث القصوى على الحركة ملائمه من الناحية الاجتماعية ٠

٣ - يجب أن يدرك الدور الخاص لجماعة الاسرة فى نقل الثقافة •

٤ - من الضرورى أن نتبين الطريقة المحددة التى تحول سلوك المواد العضوية الى سوك اجتماعى •

٥ - ينبغى أن تؤكد الطبيعة المستمرة والمتواصلة للتجربة من الطفولة الى الرشد •

٦ - يجب أن نحدد الموقف الاجتماعى تحديدا دقيقا ومستمرا باعتباره عاملا مؤثرا

٧ - من الضرورى أن تنظم وتدرك المعلومات المتعلقة بتاريخ حياة الشخص •

ولقد ظهر فى العقد الرابع فى الفترة ما بين ١٩٣٧ - ١٩٤٠ كتابان هامان فى علم الاجتماع الامريكى • الكتاب الاول ألفه وود وارد بالاشتراك مع سوزولاند• والكتاب الاخر الطبيعة الانسانية لنيمكوف واجبرن ، وقد تبلور فى هذين الكتابين الاهتمام بتنشئة الطفل كفكرة أساسية منظمة • كما أفرد المؤلفان فى كل كتاب فصولا فى هذا الموضوع • وقد اهتم الباحثان أوجبرن ونيمكوف بالطبيعة الانسانية• وكان عنوان الفصل السادس الذى درس التنشئة هو (الطبيعة الانسانية)• الا أنهما أكدا فى الصفحة الاولى من هذا الكتاب أن موضوع اهتمامهما هو العملية التى بها يتحول الفرد الى شخص أى عملية التنشئة •

ولقد اهتم تشارلز كولى بالاساليب التى بها تتشكل الطبيعة الانسانية من خلال المشاركة فى النظام الاجتماعى ، وبتأثير كتابات وليم جيمس وبالدوين عن الذات الاجتماعية ومنابع الذات أستنتج كولى نتيجة ملاحظاته لسلوك ابنه وابنته أفكاره عن الحياة الاجتماعية • فالفرد المنعزل تجريد مجهول فى عالم التجريب ، ويرسم الانسان حياته من خلال الوراثة والاتصال وكل ما يكتسبه الانسان خلال عملية الاتصال مثل اللغة والتربية والحب يأتى مباشرة من المجتمع • وقد اهتم كولى بتطور الجوانب الذاتية للحياة الاجتماعية من خلال عمليات التفاعل الاجتماعى• ولقد سبق كولى كل الاجتماعيين عندما عرف الاهمية الحاسمة للعلاقات والجماعات الاولية فى نمو الشخصية ولادراك الطبيعة الانسانية •

أما وليم توماس فكان مهتما بالعملية الاجتماعية التى تحقق بها الشخصية

توجيهاتها وتنظيمها • ولقد أعطى توماس اهتماما رائدا مركزا فى كتابه الاخير للطفل ، وقد صور لنا تصويرا رائعا استنادا على البيانات التى حصل عليها مشكلات التوافق والتنظيم الاجتماعى • ورغم أن توماس لم يستعمل مفهوم التنشئة اطلاقا فانه نظر الى السلوك والشخصية من منظور تطورى وكان ذلك شيئا نادرا فى الكتابات السوسيولوجية• فالسلوك ومعانيه لا تدرك الا فى الموقف ، كما بين أثر معايير الجماعات الاولية على النسق التربوى (١) •

ورغم أن تأثير جورج هربرت ميد - الذى عاصر جون ديوى وتوماس وبيرجس وبارك - على أفكار التربويين والاجتماعيين ، أقل من تأثير ديوى ، فانه كان أكثر انصرافا نحو الجوانب الاساسية لعملية التنشئة • وقد أهتم جورج ميد بمعنى الذات ودورها فى عملية التفاعل الاجتماعى وحلل بأسهاب كيفية انبلاج الذات ونموها فى التفاعل الاجتماعى ، فبين أن نمو الذات يتضح من خلال قدرة الطفل على اكتساب دور الاخرين أى عندما يضع نفسه موضع المربى •

وكان أكبر اعتراض على ميد يقوم على أن مفهوم الذات ودورها فى التفاعل الاجتماعى لا يمكن أن يخضعا للبحث المباشر • فالوليد أو الطفل لا يستطيع يذكر لنا العملية التى يقوم بها فى تكوين ذاته وتفاعل ذاته فى المجتمع ، والواقع ان كولى وتوماس اهتما بملاحظة سلوك الاطفال ، أما ميد ومن سايره فلم يدرسوا سلوك الطفل تجريبيا •

وقد أدت مساهمات علم الاجتماع المحدودة فى تطوير وفهم سلوك الدور الى ظهور مجموعة من الابحاث والدراسات الهامة فكانت هناك الابحاث المتعلقة بنمو الذات والضبط الاجتماعى التى استندت على الملاحظة التجريبية للطفل أما الدراسات والابحاث المتصلة باكتساب الدور فقد اعتمدت على المقابلة والاستبيان والملاحظة بالمشاركة •

والحقيقة التى لا مفر منها أن اهتمامات علماء الاجتماع فى معظم البلدان بدراسة طور الطفولة وعملية التنشئة دراسة علمية أقل من اهتماماتهم بدراسة

---

(1) Ibid : p. 27.

مجتمعات الكبار ، ومما يثير الدهشة أن الاهتمام بدراسة الطفل كان قاصرا الى حد كبير على علماء الاجتماع فى الولايات المتحدة فالالمان مثلا لم يهتموا البتة بدراسة الطفل الصغير وعملية التنشئة فى طور الطفولة واعتمدت دراساتهم على تقارير الاطفال عن علاقاتهم بوالديهم والاساليب الوالدية ، ومقابل هذا الاهمال الاوروبى لعالم الطفل نجد اهتماما متزيدا لعالم الطفل فى الاتحاد السوفيتى ·

أراء الكس انكلز فى طور الطفولة :

لقد أعطى بعض علماء الاجتماع المعاصرين اهتماما متزايدا لعالم الطفولة ، ولم يقصروا دراساتهم على التفاعل بين النظم ، ولم يحددوا جهودهم فى مجال عالم الراشد ، ومن أشهر علماء الاجتماع الذين أفردوا مكانا فى دراساتهم للطفل تاكلوت بارسونز والكس انكلز · وقد ساهم تالكوت بارسوتر رئيس قسم الاجتماع السابق بجامعة هارفارد فى دراسة طور الطفولة (١) ، وحاول باستخدام منهج هيجل أن يركب ويوفق بين أراء فرويد ودوركيم ، وأدلى بآرائه فى كيفية تكوين شخصية الطفل وحلل العناصر المكونةلها· وقدم لنا نظرية فى بناء شخصية الطفل والراشد تعتمد على العناصر البنائية الفرويدية ولكنه رفض الارتباط بالمضمون الفرويدى لعناصر بناء الشخصية وقدم لنا تفسيرا أكثر شمولا · أكد فيه المضمون الاجتماعى والثقافى لعناصر الشخصية كلها فى اطار نظريته عن الفعل ، كما درس بارسونز أطوار نمو الشخصية وبين أن شخصية الطفل نسق كما ربط أطوار نمو شخصية الطفل بتغير الانساق الاجتماعية · وبالتالى ربط بين أشكال سلوك الطفل والراشد وبناء الانساق الاجتماعية التى يتفاعل معها الشخص فى أطوار النمو ·

ويوضح لنا الكس انكلز Inkles وهو واحد من أهم علماء الاجتماع المعاصرين مدى اهتمام علم الاجتماع المعاصر بتنشئة الاطفال · وهو يعرف كل المصطلحات السائدة عن الطفل وتنشئته بأنها العملية التى يكتسب الطفل من خلالها

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أراء بارسونز فى تكوين وتطور شخصية الطفل راجع · محمد سعيد فرح البناء الاجتماعى والشخصية الاسكندرية · الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠ ·

القيم والاتجاهات وطرق التفكير والحاجات والخصائص الاجتماعية التى تميزه عن غيره فى أطوار العمر المختلفة وهذه العملية تتأثر بما يؤمن به الوالدان وكل المهتمين بتنشئة الطفل من أفكار أثناء التفاعل معه ، لما ينبغى أن يكون عليه الطفل وعن الدور الذى قد يلعبه أسلوب تربية الطفل ليحقق النتيجة المرجوة (١) ، ولذا فعملية تنشئة الطفل عملية تهدف للاعداد لاداء الادوار فى المستقبل ، وتحديد علاقات الطفل مع الاخرين سواء أكانت علاقات ناجحة أم فاشلة وبيان مدى قدرته أو عدم قدرته على الانجاز • ويرى انكلز أن الوالدين فى جهودهما لتنشئة الطفل يسترشدان على قدر ادراكهما ، بوعيهما بالتوقعات الاجتماعية وتصورهما لما ينبغى أن يكون عليه الطفل فى المستقبل كما يتخيله الوالدان لكى يعيش فى يسر فى هذا العالم •

فعالم الاجتماع عندما يهتم بدراسة الطفل يبغى أساسا : أولا : دراسة عملية اكتساب الطفل للعناصر الاجتماعية أى دراسة الجانب الداخلى لعملية التنشئة • ثانيا : دراسة نتائج هذه العملية أى دراسة المظهر الخارجى لهذه العملية كما تظهر فى شخصية البالغ • ويعترف انكلز اعترافا صريحا بتشتت الاجتماعيين بين عدد لا حصر له من المداخل والاختبارات المقننة لدراسة الطفل ، وكل ذلك أدى الى مزيد من الخلط وعدم أحكام النتائج التى يصل اليها علم الاجتماع فى هذا الصدد مما يدعو الى ضرورة وجود مبدأ متفق عليه لارشادنا •

وقد حاول انكلز الاجابة على السؤال الحائر بين الاجتماعيين ألا وهو كيف ينشأ الطفل حسب المطالب (٢) والعناصر الاجتماعية الضرورية ؟ أى كيف تدمج هذه المطالب الاجتماعية فى شخصية الطفل واذا ما عجز الوالدان فلماذا ؟ وهذه المطالب البنائية ـ مثل الطاعة والعمل واحترام الوقت وتجنب الاذى وكثرة الانجاز

---

(1) Inkles, Alex. : Society, social structure, and child socialization. op, cit, pp. 76 - 77.

(٢) يقصد بالمطالب الاجتماعية المثل السلوكية وهذه المطالب تحدد المرغوب من أعضاء الجماعة كما تبين المرفوض وغير المرغوب ويحدد المجتمع عادة هذه المطالب تحديده واضحا •

ونقل الخبر والثقة ـ ضرورية لتحقيق التوافق الاجتماعى • وهذه المطالب تتباين من مجتمع لمجتمع، وتختلف من جماعة لاخرى داخل المجتمع الواحد ، تبعا لما يتلائم مع مطالب النسق الاجتماعى • ويساير النسق الثقافى وينسجم مع أوضاع اجتماعية معينة فى الجماعات المختلفة، ولذا تتعدد أساليب التنشئة فى المجتمع الواحد رغم وجود مصدر وحيد للسلطة فيفرق بين المطالب المطلوبة من الولد والمطالب المطلوبة من البنت ويقوم كل مجتمع بوضع الاهداف العامة لتنشئة كل فرد من أفراده حتى يعرف نفسه باعتباره عضوا فى جماعته الاولية • وتعطى كل ثقافة لاطفالها بل لكل عضو من أعضائها صورة مجملة عن نفسه والادوار المختلفة التى يتعين عليه أن يلعبها كلما كبر كما تكون لديه تصورا محددا عمن هو ويتضمن هذا المطلب وجود التوافق بين حاجات البناء الاجتماعى وحاجات الفرد التى توجد مستقلة عن حاجات المجتمع • ولكن المجتمع كثيرا ما يواجه مشكلة التناقض بين المثل والواقع وبين المطالب المألوفة والمطالب الشائعة • وهذا التفسير من انكلز يعنى اعترافا صريحا بضرورة وجود المطالب النفسية لتحقيق تكامل الشخصية وضرورة التوافق بين الحاجات النفسية والبيولوجية للفرد والحاجات الاجتماعية • وتطبيقا لمبدأ التوافق بين الجانب النفسى والجانب الاجتماعى تعرض انكلز أثناء دراسته للطفل لعملية تكوين الضمير والسلوك الخلقى وبين أن الاهتمام الرئيسى ينبغى أن يوجه لاكتشاف كيف أن بعض الافعال مثل العقاب البدنى أو الايحاء بالذنب والتى يقوم بها المسؤولون عن التنشئة الاجتماعية ولاسيما الابوان، تؤثر فى اكتساب الطفل للقيم الاخلاقية وتعويده على الاقتداء بهذه القيم • اذ يعرف الطفل من خلال عمليات التنشئة والثواب والعقاب نمط الجزاءات لسائد فى جماعته (١) •

وقد أبرز انكلز دور البيت فى عملية التنشئة وتوجيه الطفل، وكان فى ذلك مخالفا لدوركيم مؤسس المدرسة الاجتماعية وهو يرى أن الاسرة هى التى تساعد على تكامل الفرد لانها لا تقاوم بالضرورة المطالب الاجتماعية (٢) ، كما أكد فى الوقت نفسه دور المدرسة فى تنشئة الطفل • وهذا ما غاب عن فرويد ، ولم يغفل دور رفاق السن وما يتعرض له الطفل ورفاقه من ضغوط اجتماعية أثناء ممارسة

---

(1) Ibid : p. 103.

(2) Ibid : pp. 101 - 103.

أنعابهم وفي الشوارع والمتنزهات ، كما أوضح أهمية ما تبثه أدوات الاتصال وآثارها على شخصية الطفل • ويرى انكلز أن تنشئة الطفل ليست صراعا بين الذات الداخلية للطفل والناس الذين يقومون بتنشئته ويعيشون معه والمجتمع بل أن الثلاثة يلعبون أدوارا تكاملية في تكوين الطفل وان حاجة الفرد الاساسية للمأوى والتأييد العاطفي لا تتعارض اطلاقا مع التنظيم الاجتماعي بل أنها قد تعتمد عليه إعتمادا كليا •

ويعيب انكلز على الاجتماعيين والنفسيين اهمال العوامل الايكولوجية والسياسية عند دراسة الطفل ويرى أن عملية التنشئة التي تفرض على الطفل تتأثر بالبناء الاجتماعي كذلك فليست كل الضغوط التي تفرض تعد استجابة لبعض الاغراض الاجتماعية العامة الواضحة المعالم (١) •

ولقد نهج انكلز مسايرا نظرته التكاملية عند دراسته للطفل منهجا يقرب فيه بين علم النفس وعلم الاجتماع • وهو يعتبر أن ثمة خصائص معينة يتعين على عالم الاجتماع أن يدرسها عند دراسة الطفل • فهناك أولا السمات المحددة والمعروفة التي توصل اليها علم النفس وهناك مئات من الاختبارات المقننة لقياس هذه السمات • ومن ثم فنحن في حاجة الى مبدأ لتوجيه اختبارنا لهذه السمات (٢) التي ينبغي أن تدرس من الوجهة الاجتماعية • فهناك من يريد الاقتصار على دراسة التوافق النفسي وهذا المدخل رغم أهميته قاصر • ثانيا هناك من يدرس خصائص الشخص البالغ مثل الكرم أو العدوان أو الاعتماد وارجع هذه الخصائص الى السلوك المرتبط بالمرحلة الفمية أو الاستية ، والتأكيد على عملية التغذية والتدريب على الاخراج وهذا بدوره رغم أهميته مدخل قاصر لاغفاله ارتباط سمات الطفل التي تحولت الى سمات البالغ • ويرى انكلز أن المدخل السليم لدراسة الطفل هو الذى يجمع بين المدخلين أى يجمع بين المدخل الاجتماعي والمدخل النفسي فهناك خصائص البالغ المطلوب دراستها لمعرفة مدى ارتباط قدرة البالغ على أداء أدواره في مجتمعه حسبما تحددها الثقافة السائدة ، أى ماذا يتوقع المجتمع منه

---

(1) Ibid : pp. 101 - 103 .

(2) Ibid : p. 77.

وماذا تتطلب الثقافة منه ، وما هو مطلوب من عضو النسق أن يؤديه كشخص بالغ عندما يكبر وفق متطلبات الجنس والطبقة والمهنة ، وهذا المدخل يقوم على عملية الاستمرار فى السلوك والاستمرار فى التنشئة .

ويؤثر المجتمع تأثيرا مباشرا ولا مباشرا فى الوقت نفسه على الطفل منذ ميلاده ويتحقق هذا التأثير اللامباشر على الطفل من خلال الهيئات العديدة التى تمارس ضغوطها على الطفل .

ويرى انكلز أن مرجع القصور فى كل الدراسات النفسية والاجتماعية التى اهتمت بالطفل والتنشئة يرجع الى أن عالم النفس كان يهتم بمعرفة كيف أن الفرد يصير على ما هو عليه ؟ وما الذى يؤدى الى تماسكه ؟ بينما يهتم عالم الاجتماع بمعرفة كيف صار المجتمع على حالته الحاضرة ؟ وما الذى يؤدى الى تكامل المجتمع كنسق للفعل . فموضوع اهتمام عالم الاجتماع هامشى عند عالم النفس . كما أن موضوع اهتمام عالم النفسى ثانوى عند عالم الاجتماع . ولكن الواجب العلمى يحتم تحقيق التلاؤم والتلاحم بين المدخل النفسى والمدخل الاجتماعى ، بتوضيح أن مطالب البناء الاجتماعى هى نفسها التى تكون العناصر الاجتماعية المكونة لشخصية الطفل ، وهى التى تحدد المدى الذى تدمج فيه العناصر الاجتماعية أثناء عملية التنشئة الاجتماعية . ومن أجل تحقيق التوافق بين حاجات الشخص وحاجات البناء الاجتماعى . وهذا يعنى أنه يتعين على عالم الاجتماع عندما يؤكد المطالب الوظيفية للنسق الاجتماعى ، عليه أيضا أن يحدد فى الوقت نفسه مجموعة من الخصائص التى يتعين أن يكتسبها الشخص منذ ميلاده من خلال عملية التنشئة فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية للطفل يتعرف الطفل على مجموعة من الخصائص المتفق عى ادماجها فى شخصيته اذا ما أردنا للمجتمع التعاون والاستمرار وأردنا للفرد الحياة .

ويحدد لنا انكلز بعض المطالب البنائية الهامة التى تعد مؤشرات أساسية لعملية التنشئة ، يتعين أن تدمج فى الشخص ، ومثال لهذه الخصائص البنائية التى يتعين أن يدركها الفرد (١) ادراك المهارات والمطالب الفسيولوجية لكل من

النوعين ومسايرتها للنظام الاجتماعى العام حتى ينشأ الجيل التالى والا فلن يوجد المجتمع (٢) معرفة مطالب الدور والفرق بين الادوار المختلفة وهذا يعنى وعى الطفل بذاته كعضو فى جماعة • وأنه يكون فكرة عن ذاته باعتباره عضوا فى جماعة أولية ويدرك التماثل أو الفروق بين ذاته والذوات الاخرى • ويرى انكلز أن عجز الطفل عن فهمه لذاته يعنى العجز عن التعاون مع الآخرين مما يؤدى الى الشعور بالاحباطات والتخلف الاجتماعى والاقتصادى وعدم القدرة على التنظيم (٣) معرفة أساليب الاتصال الرمزى (٤) معرفة التوجيهات العقلية المشتركة أى معرفة الكلمات اللغوية السائدة وكيف تستخدم اللغة ونسق الرموز ، والتعبيرات بأشكال الوجه وحركات اليدين • وعلى الاطفال أن يكتسبوا بعض أساليب النظام وتفسير معانيها وفق المعايير الثقافية السائدة (٥) معرفة مجموعة من الاهداف المشتركة وتنشئة الافراد على القيم والحاجات والدوافع (٦) تنظيم اختيار الوسائل لتحقيق الاهداف (٧) تنظيم التعبير عن العواطف (٨) السيطرة على أشكال السلوك الانحرافى •

ويوضح الجدول التالى الذى عرضه انكلز مدى التفاعل بين المطالب البنائية وتكوين عناصر نسق الشخصية أثناء عملية التنشئة الاجتماعية الملائمة •

المطالب البنائيــــة	عناصر الشخصية المتطورة فى تنشئة اجتماعيـــة ملائمــــة
١ ـ المعلومات والمهارات المتعلقة بالجنس	١ ـ المعلومات المتعلقة بالجنس والمهارات اليدوية
٢ ـ معرفة الادوار المختلفة	٢ ـ تقدير الذات وتفرد الشخصية
٣ ـ وسائل الاتصال الرمزى المشتركة	٣ ـ المهارات اللغوية والمحتوى الادراكى
٤ ـ التوجيهات العقلية المشتركة	٤ ـ المواقف والادراك والاتجاهات والآراء ونسق الافكار •
٥ ـ الاهـداف المشتركة •	٥ ـ القيـــم •
٦ ـ تنظيم اختيار الوسائل •	٦ ـ تطوير الذات ، وتقديرها •
٧ ـ التعبير عن العواطف	٧ ـ الاساليب المقبولة للتعبير عن العواطف •
٨ ـ السيطرة على السلوك الانحرافى	٨ ـ أساليب الافعال الخلقية •
٩ ـ التنشئة الاجتماعية الملائمة •	
١٠ـ عملية التنظيم الملائمة •	

وتعد هذه المطالب واللزوميات البنائيــة أساسية لبقــاء واستمرار البنــاء الاجتماعى كما أنها مدمجة فى شخصية الطفل ، ولها معانيها عنده • ولــذا فهذه اللزوميات الضرورية للبناء الاجتماعى والتى يؤكدها الاجتماعيون تتطابق تماما مع العناصر التى يعتبرها عالم النفس ضرورية لنسق الشخصية • وهذا التطابق بين المدخلين يعنى أن دراسة الطفل تؤدى حتما الى دراسة البناء الاجتماعى ، كمــا أن دراسة البناء الاجتماعى تؤدى حتما الى دراسة تنشئة الطفل ، وعالم الاجتماع عندما يهتم بدراسة هذه المطالب البنائية فهو أكثر استجابة للفروق البنائية بــين الجنسين ، هذا الفرق الذى يتضح أكثر بين الثقافات المختلفة •

ولكن كيف تدمج فى شخصية الطفل الصفات الاجتماعية التى تفرضها المطالب الاجتماعية ؟ يطلب المجتمع من القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية اخضــاع الاطفال لمطالب بنائية معينة تسود المجتمع ، تربطهم بالادوار والمراكز المحددة فى البناء وتشكلهم وفقا لحاجات المجتمع • بيد أنه فى المجتمعات غير المتجانسة والكبيرة الحجم تبدو هذه المطالب متضاربة مما يجعل من العسير على القائم بعملية التنشئة أن يختار ما هو ضرورى واجبارى وما هو ثانوى •

ولذلك ينبغى أن تكون لدى الوالدين أو القائمين بالتربية صورة عامة عما يفضله المجتمع من مطالب ، وكيف ترتب هذه المطالب ، وما يشترط فى أولادهــم ليحققوا التوافق مع المجتمع • ليدركوا النجاح المرغوب لهم وفى فترات التغير لا يجنى الاباء ثمار جهودهم اذ تتشابه عليهم هــذه المطالب ، مما يزيــد من فرص الصراع والقلق وازدياد الفروق الاجتماعية بين الناس •

ولذا يرى انكلز أن الهيئات التى تتولى تنشئة الطفل الصغير ، يتعين عليها أن تحقق التوازن بين مجموعة من الضغوط هى :

١ - المطالب الاجتماعية •
٢ - المثــل الابويــة •
٣ - خصائص وقدرات الاطفال سواء أكانت ايجابية أو سلبية • متزنة أم مضطربة، - شاذة أم سوية - •

ولم تقتصر عملية التنشئة عند انكلز على توجيه الصغير ، فعملية تنشئة الطفل

عملية معقدة ومتعددة المراحل كما أن المضمون الاجتماعــى لشخصية الطفل ليس جامدا بل متغيرا يتراكم عليه باستمرار عناصر اجتماعية جديدة نتيجــة لاتســاع علاقات المرء وازدياد عدد الانساق الاجتماعية التى ينضم اليها باستمرار ٠

ويرى انكلز أن عملية تنشئة الطفل تتأثر بالبناء الاجتماعى تأثيرا مباشرا أو غير مباشر ، فمن خلال الاسرة ومن خلال التفاعل مع القدوة سواء أكانت حسنة أو سيئة والنماذج المتاحة له فى الاسرة والتى يقلدها الطفل والتى تؤثر فيه سواء بما يقال له أو فيما يلاحظه ٠ والتعليم المباشر يبدأ مبكرا ويقوم الوالدان بهــذه المهمة ولا يعى بها الاطفال ، ويتم ذلك من خلال الحكايات التى يرويها الوالدان أو من خلال اجاباتهما على ما يثيره الطفل من مشكلات ٠ وخلال التفاعل مع الابويين يتعلم الطفل أفعالا معينة: ماذا يلبس،وماذا يفعل ، وألا يصيح بصوت مرتفع ، وألا يغتصب أشياء تخص الاخرين ، وأن يعمل ويكد ، وألا يتباطأ ٠ ويقوم الوالدان دائما بعملية النصح والتوجيه والارشاد والشرح اذا ما انحرف الابن عن المطلوب منــه ٠

كما تتأثر عملية تنشئة الطفل تأثرا لا مباشرا بالمؤثرات التــى تصدر عــن الابنية الاقتصادية والسياسية والنظام الطبقى والبيئة الايكولوجية ، وكلها منابع مؤثرة فى شخصية الطفل ، وما يتوحد به من قيم ٠ فهى تؤثر فى تفاعلاته مع الآخرين وتصوره لنفسه ومعرفته بسلوك الدور المطلوب منه ، والفرق بين جنسه والجنس الآخر ، ومكانته الاجتماعية أى يعرف من خلال تأثيرها من هو ؟ وما هو ؟ كما يؤثر حجم الاسرة على مفاهيم الديمقراطية أو الخضوع عند الطفل ٠

وتقوم المدرسة ووسائل الاتصال بمهمة التعليم غير المباشر أكثر من غيرها ٠ اذ يبدأ الطفل فى مواجهة مثل اجتماعية قد تتعارض وتتصارع مع ما تعرف عليه فى بيئته الاسرية الخاصة ٠ فهو يتعرف من خلال مناهج التعليم الرسمى على أشياء جديدة كما يتعرف على عادات جديدة أيضا ولكن تتباين أثر هذه الوسائل والنتائج المترتبة عليها من ثقافة لاخرى ، وتتضح خطورة المدرسة ووسائل الاتصال خاصة فى المجتمع المفتوح الكبير المعقد ، حيث تتباين المسؤليات ٠

ولقد أكد لنا انكلز خطورة أجهزة الاتصال والتثقيف عــلى اطفال المجتمع

المفتوح. ويؤثر مضمون وأهداف وشكل البرامج التى تقدمها هذه الاجهزة وما تبثه من أفكار على سلوك الاطفال فيما يتعلق بتقدير وتقييم أدوار العمل والوقت والتحصيل الدراسى والالتزامات نحو الوالدين ونحو الرفاق والوطن بل والعقيدة الدينية .

وكان انكلز واعيا بأهمية أساليب الثواب والعقاب التى تفرض على الطفل لتحقيق مطالب المجتمع اذ لكى نجنى ثمار عملية التوجيه والارشاد يتعين على ممثلى المجتمع أن يلجأوا الى الثواب والعقاب كأمرين هامين وضروريين . وهناك دروس كثيرة وكثيرة جدا ، يعى بها الطفل من جراء تطبيق نسق الجزاءات فهو يعى بالفرق بين العدالة والظلم ، ويفهم معنى احترام القواعد المتفق عليها أو النتائج المترتبة على انتهاك هذه القواعد ، وبذا يخطو الخطوة الاولى نحو موقفه من القانون ، كما يدرك معنى احترام السلطة أو التمرد عليها . وتؤثر أساليب العقاب البدنى أو التوبيخ التى يقوم بها المسؤلون عن التربية فى ادراكات الطفل للقيم الاخلاقية ، وتعوده على أداء هذه الافعال والوالدان هما أول من يبصر الطفل بالقيم الاخلاقية السائدة فى المجتمع . ولذا فدورهما هام وخطير لا يعادله حتى دور المدرسة ، ونحن وان كنا لانعرف مقدار مايبذله الوالدان من جهد لتبصير الطفل بنسق الجزاءات داخل الاسرة وان كنا نجهل مدى تأثير نسق الجزاءات على الصغير ، عندما يتحرك من البيت الى المدرسة أو عندما يلتقى برفاق السن وزملاء اللعب ، فاننا نؤكد أن عملية تنشئة الصغير ليست عملية قاصرة على الاسرة اذ أنها عملية لا تنتهى . فنسق الجزاءات الذى تفرضه المدرسة ورفاق السن والقواعد التى يقابلها الطفل فى لعبه كلها تهدف الى اكمال تنشئة الطفل ومساعدته على التوافق .

ان أهم مساهمة قدمها انكلز فى دراسة للطفل والتنشئة الاجتماعية تأكيده على أثر العوامل الاقتصادية والسياسية وموارد الثروة والبيئة الايكولوجية فى تشكيل سلوك الطفل وتأكيده المنهج التكاملى فى دراسة الطفل والتى توفق بين المدخل الاجتماعى والمدخل النفسى . وتؤكد تساند المطالب البنائية الاجتماعية مع المطالب البنائية الشخصية ، ورغم أنه لم يقم بدراسة تجريبية عن الاطفال فانه استطاع من استقراء المعلومات والبيانات المتاحة أمامه أن يقدم لنا أراء صحيحة منظمة عن شخصية الطفل وتنشئته تميزه عن كثير من الاجتماعيين الامريكيين .

الفصل الخامس

موقف الانثروبولوجيا من طور الطفولة

- الاسهامات المبكرة للانثربولوجيا فى دراسة الطفولة ٠
- الاسهامات المعاصرة للانثربولوجيا فى دراسة الطفولة ٠
- الدراسات المقارنة عند هويتنج وزملائه ٠
- اساءة معاملة الطفل فى الثقافات المختلفة ٠

١٢٧

موقف الانثربولوجيا من الطفولة

الاسهامات المبكرة للانثربولوجيا فى دراسة الطفولة :

لقد ساهمت التطورات التى حدثت فى الانثربولوجيا خلال العقود الثلاثة الاخيرة من هذا القرن فى زيادة الاهتمام بالطفولة وعملية التنشئة الاجتماعية(١)، وتبعا لذلك نال الطفل حظا من الاهتمامات الانثربولوجية ، ومن قبل كان اتجاه الثقافة والشخصية الذى ظهر فى العشرينات أعطى اهتماما متزايدا لطور الطفولة، ورغم ذلك كله نجد قلة من الانثربولوجيين هى التى اهتمت بالطفل وعملية التنشئة أو دراسة الاتفاقات الخاصة والمعتقدات وانماط السلوك التى تنقل من خلالها الثقافة من جيل الى جيل • وقد بينت مرجريت ميد فى كتابها الصادر فى١٩٣١ (مقدمةفى علمنفسالطفل) أنه حتىعام ١٩٣٠ لمتظهر لنا الا ثلاثدراسات فقط ضمن التراث الانثروبولوجى تهتم بالطفولة فى الثقافات البدائية • وهى كتابها (نمو الطفل فى غينيا الجديدة) وكتاب كيد (الطفولة البدائية : دراسة لاطفال كافير) ، وأخيرا كتاب جرنيل عن (الطفل فى قبائل تشاين) • ولقد لاحظ سينجر فى تتبعه تطور مدخل الثقافة والشخصية سواء على مستوى النظرية أم على مستوى الدراسات الحقلية أن علم النفس التحليلى كان العامل الاكثر أهمية وراء ظهور هذه الاتجاهات فى العشرينات •

وبتأثير من نظرية التحليل النفسى دعى سلجمان عام ١٩٢٤ فى انجلترا الى دراسة الاحلام واللاشعور عند الشعوب البدائية وذلك عندما ألقى خطاب الافتتاح فى المعهد الانثربولوجى الملكى • وقد تأثر مالينوفسكى بهذه الدعوة ، وبجمع بياناته منطلقا ومتأثرا بنظرية التحليل النفسى فدرس عقدة أوديب عند شعوب جزر التروبياند ونشر هذه الدراسة فى كتابة الجنس والكبت فى المجتمع البدائى •

وبتأثير سابير ، ومرجريت ميد وكليد كلوكهون وهويتجن من الانثربولوجيين ورحيم ، وكاردنر ، واريك فروم من علماء التحليل النفسى ، قدمت لنا قضايا

---

(1) Clausen John : A Historial and comparative view of socialization theory and research op. cit, p. 39.

التحليل النفسى الخطوط الرئيسية والاساسية ، لابحاث كثيرة عن نمو الشخصية فى الثقافات البدائية ، وربما كان محور الاهتمام الاساسى لكل هذه الابحاث منبثقا من نظرية التحليل النفسى والتى أكدت أهمية فترة الحضانة والرضاعة والتدريب على الاخراج والجنسية الطفلية ، وأصبحت مرحلة الحضانة والطفولة المبكرة المرحلة الحاسمة والاهم فى عملية التنشئة الاجتماعية وفى كل الدراسات الموجهة وفق نظرية التحليل النفسى ٠

وكان كتاب جون ديوى (الطبيعة الانسانية والسلوك) من المصادر المؤثرة أيضا فى الدراسات الانثربولوجية المهتمة بالطفولة وان تركز الاهتمام هذه المرة فيما وراء مرحلة الطفولة المبكرة ، وكان ديوى لافرويد هو الذى اقتبس منه مالينوفسكى افتتاحية كتابه (الجنس والكبت فى المجتمع البدائى) ٠

ورغم أن كتاب الجنس والكبت قد وجه الى تحليل عقدة أوديب فى مجتمع التروبياند ، فانه تجاوز الاختبار البسيط للغرض الذى وضعه فرويد عن دراسة عملية التربية داخل الاسرة ٠ اذ اهتم مالينوفسكى فقط بدراسة التركيبات الثقافية وتتابع التفاعل والمعاملات المتغيرة المطلوبة فى عملية تربية الطفل ٠ وقد حاول مالينوفسكى أن يثبت الاساس الثقافى لعقدة أوديب ، موضحا أن الوحدة الهامة فى حياة الطفل هى جماعة القرابة الاموية ، وأن الخال لا الاب هو رمز السلطة الاسرية ومحور عداوة الطفل الذكر ، بينما يعد الاب صديقا محبوبا عند الابن (١)٠

أما مرجريت ميد فقد أهتمت فى بداية أبحاثها بعملية التربية والتثقيف ، ودرست ميد أكثر من أى باحث آخر فى زمانها أساليب تربية الاطفال ، واعدادهم لاداء الانشطة التى يرتبطون بها لاداءأدوارهم التى يشغلونها فى المجتمع ، وقد خصصت ميد فى كتابها (مرحلة الرشد فى ساموا) فصلاعن تربية الطفل فى هذا المجتمع ووضحت لنا كيفية عناية الام بأولادها ، والاعتماد الكبير على الكبار لرعاية الصغار ، وتعلم المحرمات والتدريب على المهارات ، وتتابع المسئوليات والمزايا التى

---

(1) Hoffman, Louis, Wladis : The measurement of family life variables. by Louis Wladis, Haffman and Ronald Lippitt. In Paul Mussen. op. cit. p. 954.

يحصل عليها الشخص كلما كبر ، كما اهتمت مرجريت ميـد بعملية التربية بالمعنى الواسع لتشمل العملية الكلية التى من خلالها يصبح المولود عضوا فى المجتمع وفردا بحكم حقه الشخصى ٠

كذلك نجد أدوار سابير الذى أثر على كل من روث بندكيت واتجاهات مرجريت ميـد يوجه الاهتمام الى كيفية تكوين الشخصية ، أثنـاء التفاعل بـين المحددات الاجتماعية النفسية للطفولة والعوامل الفطرية البيولوجية ٠ وقد لاحظ سابـير فى مقاله الذى كتبه عن الشخصية المنشور فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية الصادر فى عام ١٩٣٤ ، أنه لا يوجد مظهر للشخصية مهما كان كبيرا أو صغيرا ، لا يعتبر من وجهة النظر الوراثية نتيجة التفاعل الطويل والمستقر بين الفرد والمجتمع ، ولقد دفع الانثربولوجيون الاطباء النفسيين الى التعاون معهم لدراسة العلاقة بين الفرد والمجتمع ٠

وعلى الرغم من أن اهتمام الانثربولوجيا بعملية التنشئة والطفل ظهر مـن خلال دراسات الشخصية والثقافة ، الا أن أغلب الاعمال الانثربولوجية لا تعطى أى اهتمام لعملية التنشئة أو لدراسة طور الطفولة ٠ كذلك بالرغم من أهمية وغرابة الافكار التى عرضها كتاب الانماط الثقافية الذى ألفته روث بندكيت فان محور الاهتمام فى هذا الكتاب يدور حول عرض بعض الثقافات باعتبارها قضايا للبحث ولم تعن بسلوك الافراد والتنشئة الاجتماعية فى هذه الثقافة ، كما أغفلت كيفية ظهور هذه الثقافات ، ولا شك أن التأكيد عـلى الصيغ الثقافية ومـا يقابلها فـى ثقافة عامة ، انما يرتكز على عملية التنشئة الاجتماعية وحدها وعلى ذلك لم يحظ الطفل بأى اهتمام ٠

وثمة تأكيدات قاطعة على تربية الطفل ظهرت من خلال تأثير كتابات ابراهام كاردنـير ، المحلل النفسى ، وأحد أتباع فرويد على كل من دى بوا ، ولينتون ٠ وقد قدم لنا كاردنير تفسيرا للصيغ الثقافية من وجهة نظر التحليل النفسى ، وأوضح ان تلك الصيغ المميزة تنتجها أساليب تربية الطفل ، والانظمة الاولية الاخـرى ، مثل نظام الاسرة السائد فى الثقافة ٠

وقد كان كاردنر مهتما بنظم تربية الطفل والاساليب التى تتداخل بها النظم مع الدوافع ، وقد اعتمد اعتمادا كبيرا على نظرية التحليل النفسى فى صياغة فروضه • وأهم الفروض التى افترضها كاردنر أن صيغ الشخصية التى تنتجها النظم الاولية هى المسئولة عن الاشكال المميزة للادب الشعبى والاساطير والدين فى الثقافة والتى سماها النظم الثانوية •

كما نجد فى كتابات سنجر أنه أعطى تأكيدا الى التأثيرات المتبادلة بين تركيبات الشخصية وصيغ التركيبات الثقافية رغم اهتمامه بأساليب تربية الطفل ، أما هويتنج فقد اتخذ مدخلا مخالفا لدراسة الطفل والتنشئة فى المجتمع البدائى ، خاصة فى كتابه (التربية فى كواما) Becoming a Kwama الصادر فى ١٩٤١ ، ولم يكن هويتنج مهتما اهتماما كبيرا بخصائص توجيهات الشخصية عند شعب كواما بقدر محاولته تفسير عملية النمو فى هذا المجتمع فى اطار نظرية التعلم ، ومن ثم فهو يعد من القلة الذين قدموا لنا نظرية عن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل •

وكانت أفكار وارنر منبعا هاما أثر فى اهتمامات الانثربولوجيين بدراسة عملية النمو الانسانى ، وقد اعترف بتأثير ايحاءات روبرت لوى ، خلال عمله لفترة قصيرة مع مالينوفسكى ، وبقراءاته لبياجيه وجورج ميد ، وقد بدأت اهتماماته بالطفولةعندما ألقى سلسلة من المحاضرات عن التوجيه الاجتماعى على طلبة جامعة شيكاغو • والحقيقة ان أى دراسة عن مدى اسهام الانثروبولوجيا فى دراسة الطفل والتنشئة تبدو ناقصة لو أغفلنا اسم كليد كلوكهون ، ولا يمكن لدارس الطفولة وعمليات التنشئة أن يتجاهل العمل المشترك الذى قدمه موارى وكليد كلوكهون — كما أوضحنا من قبل — • وعلى الرغم من أن أهمية كلوكهون فى الانثروبولوجيا ظهرت متأخرة نسبيا ، فانه اهتم اهتماما مبكرا بالثقافة والشخصية وكرس كل اهتمامه للقضايا المنهجية والنظرية التى ترتبط بهذا البحث ، كما أعطى اهتماما متزايدا لدراسة تغير الثقافة ونمو الفرد •

ومن بين الدراسات الانثربولوجية التى تأثرت بالدراسات النفسية دراسة أريك اريكسون المشهورة • وقد جذبت هذه الدراسة اهتمام القراء والباحثين عندما وصف الطفولة فى مجتمعى السيوكس واليوروك Yorok & Sioux

والامر الجديد بالملاحظة أنه أثناء دراسة هاتين القبيلتين ، استخلص الباحث نتيجة هامة وهي أن المطالب البنائية التي يفرضها البناء الاجتماعي على الطفل تؤدي الى تباين ما يتعلمه الطفل من كل ثقافة (١) .

وقد أوضح لنا فورتس أن الطفل في تولنزي Tollensi يتعلم من خلال ملاحظة سلوك الكبار لا من خلال التلقين . ويظهر لديه التوحد القوى والمبكر نتيجة للتقليد التلقائي لاداء السلوك المرتبط بدور الجنس . ولقد كانت عملية تنشئة الطفل عملية واعية لتشكيل سلوك الطفل وفق المثل الثقافية .

ورغم أن دراسة جونــدا Junod تعد أول دراسة اثنوجرافية باعتباره أول من ركز على حياة الطفل ، فان دراسة ميــد في ساموا تعد أول دراسة علمية عــن حياة الطفل في مرحه ما قبل المراهقة ، وقد قدمت لنا ميــد مثل كل الانثروبولوجيين الذين يهتمون ببحث الثقافة والشخصية بحثا من أفضل الابحاث عن ارتباط تنشئة الطفل بالثقافات المختلفة السائدة في المجتمعات ، ومن بعدها تزايدت الابحاث التي تفسر حياة الطفل .

وثمة عدد من الدراسات الاثنوجرافية عن التنشئة وسلوك الطفل عن شعب Gusii . وقد وصف لنا رحيم نظام العقاب الذي يفرضه الوالدان في Chaga كما قدم سمونز وصفا موجزا وهاما في الوقت نفسه عن الطفولة والمراهقة فــي ايفــك Efik ، كذلك أجرى كــاى : Kaye عددا من المقابلات مع عدد من طلاب الجامعات عن عادات التربية ، وأساليب التنشئة الاجتماعية للطفل في غانا ، وقد أعطت بعض الدراسات الانثروبولوجية مزيدا من الاهتمام لدراسة عملية الفطام وأساليبها والسن الذي يفطم فيه الطفل (٢) .

---

(1) Inkles Alex. : Social structure and socialization. In clansen, socialization and society. Op. cit pp. 84 - 85.

(2) Whiting John. Contribution of Anthropology to the Methods of studying child rearing. By J. Whiting & Beatrice. Whiting. In Paul Henry Mussen. Op. cit. p. 934

وتؤكد كل الدراسات الانثربولوجية التى اهتمت بالطفل أن المسئولية العامة الملقاة على الوالدين هى نقل الثقافة التى تحكم سلوك أفراد المجتمع اذا ما أراد تربية الابن ، ويجعلان منه انسانا راشدا قادرا على أن يعمل عملا ايجابيا ·

الاسهامات المعاصرة للانثربولوجيا فى دراسة الطفولة :

ولقد بدأت الدراسات المقارنة العديدة التى قام بها الانثربولوجيون ابتداء من الخمسينات لدراسة حياة الطفل وأساليب تربيته فى مجتمعات عديدة فى أنحاء العالم، وتعد الدراسات التى قدمتها الانثروبولوجيا فى مجال الطفولة من أكثر الدراسات نفعا اذ تصف أنواعا شتى ومتباينة من المعتقدات والقيم وانماط السلوك فى عدد من المجتمعات (١) كما تؤكد أن عملية تنشئة الطفل ليست عملية آلية ، بل عملية معقدة تختلف من ثقافة لاخرى ، ويضم التراث الانثربولوجى مجموعة من الدراسات الوصفية عن الاطفال فى عدد من المجتمعات الافريقية والاسيوية ، وتكشف لنا هذه الدراسات عن تأثير الثقافة على مكونات الشخصية ، وأثر بناء الشخصية على المطالب الثقافية الجديدة (٢) ·

وقد بينت هذه الدراسات الانثروبولوجية أن التباين فى بيئات الاطفال ، يستتبعه حتما تباين فى أساليب تربيتهم ، فالطفل الذى يعيش فى مجتمع تسود فيه العائلة الكبيرة يعايش تجارب تختلف عن تلك التى يعايشها الطفل الذى يعيش فى محيط الاسرة الزواجية ، كذلك الطفل الذى يعيش بين مجموعة من أقربائه لا يشعر بالوحدة واليتم اذا ما فقد أحد والديه مثلما يشعر الطفل فى الاسر الزواجية

وقد اهتمت البحوث الموجهة لدراسة الطفل بأثر تكوين الاسرة وعدد الاطفال الصغار ، والكبار ونوعهم وأعمارهم على نمو شخصية الابن ، كذلك اهتمت بأثر

---

(1) Ibid : p. 933.

(2) Langnesses : culture and Personality in Oceania. In Hsu. Francais. Psychological Anthropology. New edition combridge. schen K Man - Publishing comp. 1972 p. 186.

وجود الاب والام أو غيابهما الدائم أو الوقتى ، بيد أن هذه الدراسات التى اهتمت بأثر غياب الام أقل من عدد الدراسات التى اهتمت بأثر غياب الاب ٠

ونحن نرى أن الانثروبولوجيين قد قدموا لنا منظورا جديـدا ساعدهم عـلى تقديم مساهمة أكثر تحديدا وأكثر فاعلية لمـا ينقل للاطفال فى أى مجتمع بواسطة المسئولين عن تربية الطفل ، وهم عندما درسوا مفهوم الثقافة درسوا تعبيراتها فى المجتمعات المختلفة ٠ وعلاوة على ذلك فان مفهوم الثقافة الذى يعنى به الانثربولوجيون يركز الاهتمام على السلوك الظاهر للابوين عندما يربون أولادهم وعـلى مجموعة المعتقدات التى تؤثر على مضمون ما ينقل لهم والاساليب التى يستخدمها الوالدان ، وسلوكهم الظاهر باعتباره نموذجا للدور الذى يقتدى به الطفل ٠

وبصورة عامة فقد انحصرت الدراسات المركزة عن التنشئة الاجتماعية والتى قام الانثروبولوجيون بها على مجتمع معين محدد أو ثقافة محـددة باستثناء الدراســات المقارنة ، مثل دراسة الثقافات الستة التى قدمها باتريس هويتنج ، واعتبر فريق البحث الذى قام بهذه الدراسة أن دراسة عملية التنشئة فى بيئة ثقافية هى دراسة لعملية التثقيف من أجل نقل الثقافة بقصد أو دون قصد (١) ٠

وقد وجهت مرجريت ميـد النقد الى الذين يدرسون السلوك لاستعمالهـم مصطلحى (التنشئة) و (التثقيف) بمعنى واحد وبلا تفرقة بينهما ٠ ورأت أنه من الافضل أن يخصص مفهوم (التنشئة) ليدل على مجموعة مـن المطالب التـى تفرضها المجتمعات على الكائنات الانسانية ، وأشارت الى أن ظهور نظرية عن الدراسات الثقافية المقارنة فيما يتعلق بالتنشئة يتطلب دراسة دقيقة لتفاصيل عملية التثقيف، ورغم هذا التحذير فما زال أغلب الانثربولوجيين يستعملون مصطلحـى التنشئـة والتثقيف بلا تمييز بينهما ، وجدير بالذكر أن مفهوم التنشئة فى مجالات أخرى غير الانثروبولوجيا يدل على اعطاء مزيد من الاهتمام لاكتساب معرفة الذات ، ومعرفة الآخرين أثناء التفاعل الاجتماعـى ومطالب المجتمع الخاصـة ، ولتشكيل المطالب البيولوجية للفرد وفق الثقافة السائدة ٠

---

(1) Clausen John : A Historical and comparative view of socialization theory and research. op cit. p. 47.

ولقد شهدت الاربعينات والخمسينات من هذا القرن نشر أعداد كبيرة من الابحاث والدراسات العلمية لتسجيل الدراسات الحقلية عن العلاقة بين التوجيه الثقافى وتوجيه الشخصية ، والدراسات المهتمة بنمط الشخصية الاساسية والشخصية المنوالية والطابع القومى للشخصية • ولكن ابتداء من الستينات ، كانت المساهمة الانثروبولوجية أكثر تحديدا وتركيزا على قضايا محددة ، كما كانت أكثر دقة من الناحية المنهجية ، وكثرت المقالات فى المجلات العلمية التى تحمل معنى الاصالة والابداع فيما يعلق بدراسة الطفل وعملية التنشئة •

الدراسات المقارنة عند هويتنج :

لقد أوضحنا فيما تقدم أن الدراسات الانثروبولوجية قد اقتصرت على دراسة ثقافات محددة باستثناء دراسات هويتنج التى اكتسبت شهرتها من دراساتها المقارنة • ولقد صار آل هويتنج علامة مميزة فى البحث الانثروبولوجى بناء على نظرتهما الى عملية التنشئة باعتبارها موضوع تكامل فى الدراسات الانثروبولوجيه (١) • وكانت نتيجة ذلك مساهمة جون باتريس الجادة فى الدراسات المقارنة المهتمة بالاطفال وعمليات التنشئة ، وقد قام جون وباترتس هوتينج بالاشتراك مع تشيلد متبعين نموذج كاردنير فى جمع المعلومات من عدد من الثقافات لاختبار فرض محدد عن العلاقة بين مظاهر تربية الطفل والنظم الثانوية • أى أن الصور الثقافية تعبر تعبيرا صادقا عن نزعات الشخصية الغالبة ، ولقد كان هويتنج سباقا على غيره من الباحثين عندما قام باجراء دراسات ثقافية مقارنة عن الاطفال وعملية التنشئة • وهذه الدراسات المقارنة التى قام بها تعد من أكثر الدراسات طموحا كما تعتبر علامة مميزة فى الدراسات الانثروبولوجية ، اذ أنها أعطت مزيدا من الاهتمام لدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية وطور الطفولة فى ثقافات متباينة ، وقد ساهمت هذه الدراسات المقارنة فى تحديد مسار البحوث واثرائها بما قدمت من مساهمات نظرية وبما قامت به من دراسات حقلية (٢) •

(1) John whiting : socialization process and personality by charles Harrington and John whiting. in Hsu. Francais, Psychological Anthropology op. cit. p. 470.

(2) Ibid p. 468.

ومن أكبر اسهاماته تقديمه لمجموعة من الابحاث التى أجراها فريق من الباحثين تهدف الى توضيح العلاقة بين الانماط المختلفة لتربية الاطفال والفروق المختلفة بين الشخصيات • وقام هذا الفريق من الباحثين بدراسات ثقافية مقارنة لاختبار فروض عن العدوان والاعتماد وتوحد الاساليب المختلفة لضبط السلوك (١) بقصد معرفة الفروق الفردية والثقافية • وقد اعتمد فريق البحث فى هذه الدراسات على اختبار تفهم الموضوع والمقابلة مع الام والطفل ، وملاحظة تصرفاتهما • وقد جمعت المادة العلمية لاختبار فروض البحث بأسلوب مقنن من ٦ مناطق فى أجزاء متفرقة من هذا العالم ، حيث تعيش الاسر فى مستويات متباينة من طرق المعيشة وأساليب تربية الاولاد ، كما جمعت هذه المعلومات بقصد اختبار أساسى لبعض الفروض المتعلقة بوجود فروق فردية فى سلوك الافراد ، وتوضيح أساليب تربية الاطفال التى تستخدمها الامهات ، وكان الغرض الاساسى من تأكيد الدراسات المقارنة للطفل هوالاستجابة الىعاملين (٢) أولهما نقص البيانات المتاحة عن الطفل وعملية التنشئة والآخر ندرة استخدام المنهج المقارن •

وقد أجريت هذه الدراسات المقارنة لبيان أن ما يلقاه الطفل من عناية (٣) فى سنوات الطفولة الاولى يحدد سلوكه فى طور البلوغ ، ويؤثر فى ادراكه للعالم وطريقة حياته ، وقيمة وأخلاقه • وقد تضمنت هذه الدراسات المقارنة وصفا لعالم الكبار الذى يولد فيه الطفل ويعيش ، ثم تفسير كيفية تربية هؤلاء الاطفال لاثبات العلاقة بين الشخصية والثقافة• ويرى آل هويتنج وزملائهما أن البيئة الايكولوجية تحدد النسق الضرورى للبقاء • أى تحدد الاوضاع الاقتصادية الاساسية الى حد كبير الاساليب المقبولة بين عامة الناس وما يتفق عليه الناس ، واشكال الاسرة وحجمها وهذا بدوره يحدد أساليب تنشئة الطفل •

---

(1) Whiting Beatrice (ed): The introduction. In B. whiting. six cultures studies of child Rearing. N. Y. John wiley. 1963 p. 6.

(2) Whiting John : socialization Process and personality op. cit. p. 473.

(3) Whiting B. The introduction Op. cit. p. 1.

ويرى آل هويتنج أن عملية تنشئة الطفل يقصد بها تحقيق تكامل المجتمع (١)٠ اذ تهدف هذه العملية اغراء الافراد لتقبل السلوك المفروض عليهم ٠ وتحمل مسئوليات الادوار المتوقعة منهم فى المجتمع ، وتحدد عملية التنشئة بأنها العملية التى بها تنقل الثقافة من جيل الى آخر ، اذ تعتمد على ما يتعلمه الطفل والشخص البالغ من معتقدات وقيم ومهارات الى جانب اكتساب المظاهر العقلية للثقافة ، ويتعلم الطفل من خلال هذه العملية كيف يصبح عضوا فى الجماعة ، ويدرك ما يعتبر صوابا ، وضروريا للبقاء فيها ، كما يتقبل المدركات العقلية السائدة ٠

والدراسات المقارنة علامة من العلامات الانثروبولوجية التى أعطت مزيدا من الاهتمام للتنشئة الاجتماعية وطور الطفولة ، وساهمت مساهمة كبيرة فى تحديد مسار البحوث وأثرائها بما قدمت من مساهمات نظرية او من بحوث ميدانية (٢) ٠

ويوضح الباحثان أننا يمكن أن نقسم مساهمة الانثروبولوجيا فى دراسة أساليب تربية الطفل الى مجالات ثلاثة هى :

(أ) المفهومات ، (ب) المنهج ، (جـ) الموضوع (٣) ٠

أما بالنسبة للمفهومات ، فقد قدمت لنا الدراسات الانثروبولوجية مفهوم الثقافة ، وحللت لنا هذا المفهوم ، وقد اهتم الانثروبولوجيون مثلهم مثل كل العلماء الاجتماعيين المهتمين بالسلوك الانسانى، وسجلوا لنا المعايير التى تضبط السلوك ومدى التباين فى سلوك الناس فى الثقافات المختلفة ٠ ولم تختلف الطرق الانثروبولوجية المستخدمة فى ملاحظة وقياس السلوك الانسانى اختلافا كبيرا عن تلك الطرق التى يستخدمها العلماء الآخرون المهتمون بالسلوك الانسانى ، سواء أكانوا من علماء الاجتماع أم من علماء النفس الاجتماعى٠ وعلى أن طرق علماء الانثروبولوجيا فى أخذ العينات والاساليب الاحصائية ووصف وتفسير المعايير واختلاف السلوك لم تكن

(1) Whiting John : socialization process and personality op cit. p. 468.

(2) Whiting John : Contribution of Anthropology to the Method of studing child rearing. by John Whiting and Batrice whiting op cit. p. 937.

(3) Ibid : p. 918.

بالدقة التى اتبعها علماءالنفس والاجتماع،بيد أن المساهمة النظرية الانثروبولوجية المميزةالفريدة فهىصياغة ابعاد رمزية مشتركة للسلوك ، تلك الابعاد التى يراها هويتنج ، هى السمة المميزة الاساسية لمفهوم الثقافة ٠

ويتطلب دراسة عملية تنشئة الطفل باعتبارها موضوع تكامل فى الانثروبولوجيا (١) ، وصفا ملا ما للبناء الاجتماعى ، وطريقة التفاعل بين الافراد والجماعات والتباين داخل الجماعات ، ومدى الاختيار المسموح به بين الفاعلين فى الاوضاع البنائية المختلفة ، وهنا يصير موضوع التنشئة ودراسة الطفل موضوعا أساسيا فى الانثروبولوجيا النفسية ، ويعنى هذا التجاء الانثروبولوجيا الى علم النفس لايجاد متغيرات فى شخصية الطفل تخضع للقياس ٠

ويرى هويتنج أن الانثربولوجى الذى يدرس عملية تنشئةالطفلوالبالغلا يهتم بتنبأ السلوك الذاتى للفرد، أى السلوك المنبعث من رغبات الفرد، أى السلوك الفطرى نفسه والذى لا معنى له عند الاعضاء الآخرين فى ثقافة الشخص ٠ ومن ثم فالثقافة أكثر عمومية من علم النفس ٠ ويبدو هذا أكثر وضوحا عندما يلجأ الانثروبولوجيون الى دراسة الثقافات دراسة مقارنة ، باعتبار أن الدراسة المقارنة مجال للتركيز على الجوانب المشتركة للسلوك الانسانى ، واستخدام تلك الدراسات لاختبار فروض تهتم بالطريقة التى بها تتكامل عناصر الثقافة وفق العمليات النفسية ٠ وقد أوضح لنا جون هويتنج أهمية تربية الطفل وفق الثقافة السائدة ، وارتباطهذه العملية بالانساق التى تكفل لنا البقاء (*) ، ويقصد بأساليب التربية ما يمارس مع الطفل لنشكل عنده السلوك الضرورى للحياة الاجتماعية وفق الثقافة السائدة ٠ وتؤدى هذه الاساليب التربوية الى ظهور الشخصية ، والى حد ما يمكن أن نتصور الشخصية باعتبارها توافق الفرد مع أساليب التنشئة ٠ وقد أظهر لنا هويتنج أثر التوافق مع البيئة الطبيعية ، وارتباط ذلك بأسالب تربية الطفل ، فالمجتمعات التى توجد بها فائض اقتصادى تميل الى تربية أطفالها بطريقة تجعل منهم أكثر اعتمادا على أنفسهم ، وتهدف الى تكوين جماعات مترابطة ٠

---

(1) Whiting John : socialization process & personality. op cit. p 470.

(*) نسق البقاء هو انساق الاقتصاد والسياسة والتنظيمات الاجتماعية للمجتمع التى توجد فيه من أجل حماية الافراد ٠

أما من حيث المنهج ، فقد طور الانثروبولوجيون من طريقة الملاحظة بالمشاركة والمقابلة الاثنوجرافية والمنهج التكوينى بما يتلائم مع الطفل ، على أنهم يرون أهمية كون الباحث من ثقافة أخرى غير ثقافة المجتمع التى يدرسها ، اذ أنهم يرون أن ثمة قصورا عندما يدرس عالم أمريكى الطفل الامريكى وكيفية تربيته ·

أما من ناحية الموضوع ، فكانت المساهمة الكبرى للانثروبولوجيا جمع وتسجيل التباين الكبير بين أساليب التربية وأنماط شخصيات الاطفال فى المجتمعات الغربية والشرقية المتقدمة والمتخلفة بما قدم لنا اطارا لتحديد المتغيرات الثقافية التى لا تقتصر على مجتمع معين ·

ومن المهم أن نعرض لبعض النتائج التى توصل اليها هويتنج بعد اجراء عدد من الدراسات الحقلية المقارنة عن الطفل وأساليب تربيته ، ويبين هويتنج أن الطفل الرضيع فى أغلب هذه المجتمعات ينام مع أمه فى فراش واحد أثناء فترة الرضاعة (١) ، ونادرا ما يخصص له فراش مستقل ، ولا تتجاوز نسبة هؤلاء الذين يفرد لهم فراش خاص بهم ١٠٪ ، وغالبا ما يكون هذا الفراش المستقل عند أطفال الاسر الموسرة ·

وقد أظهر هوينتج أن الطفل الرضيع فى معظم المجتمعات يشارك أمه وأبيه نفس الفراش عند كثير من الاسر ، وقد يستمر الابن فى مشاركة أمه وأبيه نفس الفراش حتى بعد المراهقة· ويرى هويتنج أن الاشخاص الذين يشاركون الطفل الفراش لهم تأثير قوى على شخصيته ونموها ، ويرى أيضا أن طبيعة عقدة أوديب وحلها تحددهما ما يلقاه الطفل من معاملة اجتماعية أثناء الليل لا النهار حيث يتبادل أفراد الاسرة المشاعر الحميمة الشخصية والمركزة التى لا يستطيعون التعبير عنها فى النهار حيث ينشغلون سعيا وراء لقمة العيش ·

ويضيف هويتنج أن عدد الاشخاص الذين يشتركون فى الاقامة فى البيت ، وطبيعة الاتفاقات المكانية ، تؤثر تأثيرا واضحا على توقيت وأساليب تنشئة الطفل وعلى القيم التى يشعر أنها أكثر أهمية ليتوحد بها · ولذا فطبيعة الجماعة التى

---

(1) Whiting John : Contribution of arthropology to the methods of studying child rearing : op cit. p. 937.

يعيش داخلها الطفل ويتفاعل مع أفرادها ، ويلعب معهم تؤثر فى شخصيته ، وقد بين هويتنج أن الطفل الذى يعيش فى بيوت متلاصقة ويختلط كثيرا مع أطفال من نفس عمره تقريبا ، سوف يعيش حياة مختلفة تماما عن حياة رفاق عمره الذين يعيشون فى مساكن مستقلة متباعدة مكانيا واجتماعيا مثلما الحال فى مجتمعات الرجال ، اذ أن الطفل فى هذه الحالة الاخيرة سيكون معزولا عن رفاق سنه ، ويمضى أكثر الوقت منفردا ، كذلك فالطفل الوحيد يقضى وقته منفردا أو مع الكبار . ولا عجب أن يكون مثل هذا الطفل أكثر اعتمادا على الذات فى حين أن نظيره الذى يعيش فى أماكن تكفل له أن يمضى وقتا أطول مع رفاق سنه ، سيلقى بجزء كبير من المسئولية على الجماعة .

وتستعمل بعض الشعوب العقاب البدنى ، وتهديد الطفل ، ويسود العقاب البدنى فى المجتمعات التى تنفرد فيها الام بالسيطرة على الابن . وهذه العوامل كلها تكون أخلاق الرهبة عند الابن ، كما أن التسامح مع الابن يختلف اختلافا كبيرا حسب شكل البيت ، ويسود هذا التسامح حين تسود العائلة الممتدة ونظام تعدد الزوجات ، ويقل هذا التسامح فى الثقافات التى تقتصر على الوالدين وأولادهما .

وتكشف الدراسة المقارنة أن الانشطة التى يزاولها الطفل تتأثر بالبيئة الطبيعية التى يعيش فيها ، ففى البلاد التى يصحو فيها الجو كثيرا ، يقضى الطفل معظم وقته فى الخلاء بينما يمضى الطفل فى البلاد ذات الاجواء شديدة التقلب معظم وقته بين أهله أو منعزلا وحده .

وكان من أهم النتائج التى توصل اليها هويتنج رأيه أن مفهوم الثقافة مركب ، وتحليل هذا المركب الى قيم ومعتقدات وأساليب وتبريرات ، ومبررات عقلية ، خير عون لدراسة تطور الطفل ونمو شخصيته ، والاهم من ذلك أن الدراسة المقارنة لحياة الطفل فى المجتمعات غير الاوروبية تدل على وجود متغيرات هامة أهملت كثيرا ، وقد يثبت أنها مفيدة للتنبؤ بالسلوك الانسانى (١) .

وقد عرض لنا هويتنج نتائج بعض الدراسات الانثروبولوجية عن أطوار نمو الاطفال فى ثقافات عديدة (٢) ، وفيما يلى موجز لعرضه هذا .

---

(1) Ibid : p. 942.

(2) Whiting John : socialization process and personality op cit, 474.

أولا : طـور الحضانة :

لقد أثبتت هذه الدراسات أن طـور الحضانة يوضح أهمية العلاقـة بـين انساق القيم والرموز والدين وأساليب تنشئة الطفل ، ومن ثم كشفت لنـا هـذه الدراسات الحقلية أن صورة الآلهة انعكاس لصورة الاب فى المجتمعات البدائية ، ويمكن معرفة هذه الصورة من خلال علاقات الطفل بوالديه • وقد دعمت الدراسات المقارنة الغرض القائل بأن المعاملة الابوية القاسية أثناء طور الحضانة تؤدى الى اعتقاد ثقافى مؤداه أن روح الآلهة قاسية وعدوانية ، كما أوضحت لنا الدراسات المقارنة أن الاطفال الذين يستطيعون التأثير على أبائهم بالبكاء والصراخ، يختلفون عن الذين يعاملهم الاباء برقة وتساهل، فأطفال الجماعة الاولى، يشعرون عندما يكبرون أنهم يستطيعون التأثير على عالم الآلهة كما استطاعوا التأثير على عالم الكبار فـى طفولتهم ، أما الذين يعاملون أولادهم برفق فيؤمن هؤلاء الصغار بآلهة أكثر خيرا وأقل شرا ، وكل ذلك يؤكد لنا أن صورة الآلهة عند الطفل والبالغ تعكس لنا طريقة معاملة الابوين لطفلهما •

كما أوضحت الدراسات المقارنة التى عرضها هويتنج أن درجة التساهل مع الطفل تتناسب الى حد ما مع عدد الكبار الذين يعيش معهم الصغير فى البيت • وفى النظام الامـوى يبـدو التساهل واضحا وظاهرا فى الاسر التى توجد فيها امرأة واحدة تعنى بالصغار • وقد أوضحت دراسات مقارنة كثيرة بجانب ما أوضحتـه دراسات تربية الاطفال فى الثقافات الست أن الام تنفق وقتا أقل مع أولادها اذا كانت هناك نساء أخريات يساعدنها فى تربية الابن • ووفقا للنتائج التى وصلت اليها الدراسات المقارنة نجد أن الام التى تضطر الى قضاء أوقات كثيرة وطويلة فى العناية بأولادها دون أن تتلقى أى مساعدة قد تعجز عن ضبط عواطفها ، فالاستقرار العاطفى للام يبدو أنه يرتبط ارتباطا واضحا مع عدد الاطفـال الذين ينبغى أن تهتم بهم ، ونتيجة لذلك كلما زاد عدد الابناء ، قل نصيبهم من الحب الاموى ، ومن ثم يبدو الارتباط واضحا بين استقرار العاطفة الاموية ، ودفء الحب وحب الام لاطفالها • ولكن هناك حالات استثنائية التى فيها يساعد الام الاطفال الكبار أو الجدة فى العناية بالصغار •

وفى دراسة أخـرى عن معاملة الاطفـال ، كشف لنـا كلوكهون وهويتنج وأنطونى ، أنه فى معظم المجتمعات فى جميع أنحاء العالم ينـام الاطفال فى نفس الفراش أو على نفس الوسادة التى تنام عليها أمهاتهم ، وحتى الاطفال الذين يخصص

لهم مهد خاص بهم ، فان هذا المهد يوضع بالقرب من فراش الام حتى تسهل النجدة اذا دعت الضرورة ذلك ، على أن البعد بين فراش الام والطفل الرضيع وبين فراش الزوج يتباين تباينا كبيرا من ثقافة لاخرى • ففى أكثر من نصف المجتمعات فى هذا العالم ينام الزوج اما على فراش واحد فى نفس الحجرة ، ولكن على بعد من الزوجة، أو فى غرفة أخرى ، ويمكن أن نسمى تلك الظاهرة تنظيم نوم الرضيع وأمه معا على حدة ، ويتجلى هذا التنظيم على أشده فى حالة تعدد الزوجات حيث تحرم الام ورضيعها من الزوج طوال فترة الرضاعة •

ثانيا : الطفولة المبكرة :

بعد أن عرض الباحثان لطور الحضانة ، تقدما بعد ذلك خطوة أخرى وعرضا فيها لطور الطفولة المبكرة ، وبينا أن هناك دراسات مقارنة عديدة ، أجريت عن السن الملائم الذى تبدأ فيه التنشئة الاجتماعية الجادة ، وقد تبين أن السن الملائم للتنشئة فى المجتمعات المختلفة يرتبط بمفهوم الذنب ، كما يتجلى ذلك فى المعتقدات الدينية ، وتفسيرات المرض أو الحكايا تالشعبية ، ويبدأ الطفل فى طور الطفولة المبكرة الخطوات الاولى للتدريب على التبرز والتبول والتعود على الاستقلال المبكر ، كما يرتبط بتخصيص ألعاب معينة لكل من الجنسين ، بحيثيحرم على الطفل من جنس معين أن يقوم بأدوار فى اللعب مخصصة للجنس الآخر ، وتؤدى التنشئة فى السنوات الاولى الى توحد قوى مع القيم الوالدية ، وشعور قوى بالذنب اذا انتهكت هذه القيم *الوالدية* •

وقد أكد الباحثان أن بناء العائلة عامل هام وقوى فى تحديد السن الملائم للتنشئة ، وتبدأ الاسرة المكونة من الزوجين وأولادهما فطام الطفل فى سن مبكر لا يتجاوز العامين فى المتوسط ، كما تبدأ هذه الاسر فى تعويد الطفل على تنظيم التبول والتبرز وتناول الطعام معتمدا على نفسه قبل أن يبلغ الثالثة عادة ، أما فى العائلات الكبيرة الممتدة التى تتجاور مساكتها ، فيتأثر سن الفطام حتى العام الثالث ، أما التدريب على الاستقلال ، فيتأخر عن العام الرابع من عمر الطفل •

ومن مظاهر الصرامة فى التنشئة فى سنوات الطفولة الاولى ، انتقال عدوى القلق الى الاطفال ، فعدوى القلق تنتقل الى الاطفال بدرجة تتمشى مع مدى القهر الذى يتعرض له الطفل عند انتقاله من طور لطور • وقد ربط هويتنج وزملائه بين عدوى القلق وبناء الاسرة ، وأبانوا أن المجتمعات التى تسود فيها الاسر الزواجية

أكثر قسوة من المجتمعات التى تسود فيها العائلة الممتـدة ، وتلك نتيجـة طبيعية ما دامت الاسر الزواجية تبدأ فى تعويد أولادها على الاستقلال والاعتماد على النفس فى سن مبكر ، وتلجأ الى القهر والضغوط لتحقق مبدأ تعويد الطفل على ذاته • وقد أظهرت الدراسات الحقلية أن ثمة علاقة سلبية بين قوة الانـا والقلق المترتب عـلى مدى القهر فى طور الطفولة الاولى •

ثالثا : الطفولة المتاخـرة :

ورأى هويتنج وزميله أن ما قام به بارى وباكون وتشيلد يكشف عن مجموعة واضحة من الآراء فى عملية التنشئة أثناء طور الطفولة المتأخـرة • وتختص تلك الآراء بكيفية تدريب الطفل ليكون مطيعا ، ومسئولا ، ومعتمدا على نفسه ومؤدبا ، مثلما يدرب على العمل والانجاز •

وهناك انساق قهر عامة تفرض على الطفل ليتعود على أداء كل شكل من أشكال السلوك المرغوب فيه •ويتعرض الطفل لعقوبات صارمة اذا ما تمرد على مطالب الابوين ، كمـا أوضـح الباحثون مستوى الاداء المطلوب من الطفل ومقـدار مـا يعانيه من صراع وتكرار الاستجابة فى المواقف التى تفرض عـدم الشكوى رغـم قسوة العقاب •

وقدكشف بارى وباكون وتشيلد عن وجود فروق هامة فى كيفية تنشئة كل من الاطفال الذكور والاناث ، فالبنات يدربن على الطاعة والمسؤلية ، ويعود الاولاد الذكور على العمل وأهميته والاستقلال والاعتماد على النفس •

وقد أبان لنا تشيلد وباكون وبارى أن المجتمعات التى تعاقب الاطفال الكبار بقسوة وصرامة بسبب عدم الطاعة وعدم تحمل المسؤلية ، وعـدم الاعتماد عـلى النفس ، والانجاز القليل ، هى المجتمعات التـى يزداد فيها معـدل السرقة بـين الاطفال ، مثلما مثل المجتمعات التى يندر فيها التسامح مع الصغار ويكثر فيها فرض النظام بقوة ، فهذه المجتمعات أيضا تتزايد فيها حالات السرقة • وهذا السلوك انما هو رد فعل للحرمان العاطفى أثناء طور الحضانة وطور الطفولة •

وقد ألمح الانثربولوجى جون روبرت وعلماء النفس بريان وستون وسميث أن هناك علاقة بين تربية الطفل وألعابه ، سواء كانت هذه الالعاب تقوم على الحظ

مثل ألعاب الكعب والطرة أم ألعاب تعتمد على خطة استراتيجية مثل الشطرنج والكلمات المتقاطعة أو ألعاب تقوم على المهارة البدنية • وقد وجد أن الالعاب التى تعتمد على الخطة والمغامرة تسود فى المجتمعات التى تحتل فيها المسئولية مكانة عليا اذ تمكن ألعاب الحظ - اللاعب من التعبير عن صراعاته ضد تحمل المسئولية ، اذ يجد فى هذه الالعاب منفثا من المسئولية • أما الالعاب الاستراتيجية فتسود فى المجتمعات التى تؤكد الطاعة أولا عند تنشئة الطفل ، وتعكس هذه الالعاب لهفة الطفل على عدم الطاعة اذ تمكنه هذه الالعاب من التعبير عن العدوان والعصيان • وهما مظهران لعدم الطاعة ، أما الالعاب التى تعبر عن المهارات التى ينتشر فيها الثواب على العمل ، فتعكس اسقاطات القلق الذى يتولد عن أساليب التنشئة الاجتماعية القاسية أثناء طور الطفولة •

وقد بينت الدراسات الانثروبولوجية عن وجود علاقة بين الضغوط التى تفرضها عملية التنشئة فى طور الطفولة المتأخرة والتنظيم الاقتصادى والسياسى ، وقد أثبت تشيلد وباكون وبارى اننا عندما ندرس العلاقة بين الاقتصاد وأدوار الكبار ، وأسلوب التنشئة فاننا نشعر أن وفرة الطعام متغير هام يؤثر فى عملية التنشئة •

ومن العرض السابق لمختلف الدراسات يتضح لنا أن أساليب التنشئة فى طور الطفولة وطور الحضانة تختلف من ثقافة لاخرى ، وتلك ميزة تحسب للدراسات الانثروبولوجية المقارنة التى أوضحت لنا أن أساليب تنشئة الصغيرة متباينة •

اساءة معاملة الطفل فى الثقافات المختلفة :

ومن الموضوعات الحديثة التى أثارت اهتمام الانثروبولوجيين مدى اساءة معاملة الطفل وايذائه فى الثقافات المختلفة • وقد بدأ الاهتمام بهذا الموضوع عندما شرطت أم من نيروبى وجه ابنها بمشرط (١) ، وقدمت الى المحاكمة فى احدى المحاكم فى لندن • وقد اعتبرت المحكمة أن فعلها هذا اساءة معاملة للطفل ، لكنها لم تعاقبها ، واكتفت بحرمانها من الاشراف على تربية أطفالها • ونتيجة لهذا الحدث

(1) Korbin Jill, Anthropological contributions to the study of child abuse. International child welfare review. No 35. Dec. 1977. pp. 23 - 31.

فقد اهتم الانثروبولوجيون بتعريف اساءه معاملة الطفل . وقد أظهر المنظور الانثروبولوجي الذى يؤكد للدراسات الثقافية المقارنة أن اساءة معاملة الطفل تختلف من ثقافة لاخرى ، فعملية التشريط نفسها التى اعتبرتها الثقافة الغربية ايذاء للطفل تعتبر فى نيروبى فعلا واجبا فى تنشئة الطفل ، ولذا فمن الاهمية بذل الجهود لفهم سلوك الناس وتصرفاتهم ، وأهمية معرفة الاسباب التى تؤدى الى ايذاء هذا الطفل فى الثقافة النيروبية .

وهذه المساهمة الانثروبولوجية تتجه اتجاهين :

الاول : يساعدنا الوعى بتباين السلوك الانسانى فى تربية الاطفال على ظهور حدود واضحة لوضع تعريف علمى لايذاء الطفل يسمح بالتغير الثقافى ، ويضع معيارا انسانيا لمعاملة الاطفال .

الاتجاه الآخر : يساعدنا الفهم الواعى الدقيق للشواهد التى نجمعها من ثقافات غربية وشرقية على وضع حلول لمشكلة ايذاء الطفل ، سواء فى المجتمعات التى يبدو أنها تستهجن ايذاء الطفل ، أو فى المجتمعات الاخرى التى تواجه مشكلات مماثلة لحدث الطفل النيروبى أو قد تواجهها فى المستقبل فهناك أصوات كثيرة عالية ترفض عقاب أو ايذاء الاولاد وضربهم سواء فى المجتمعات الغربية أو المجتمعات الاخرى .

ويعنى مفهوم اساءة معاملة الطفل ايذاء الطفل واهماله جسديا وفكريا وجنسيا وعاطفيا ، ويحتاج هذا الموضوع من الانثروبولوجيين جمع معلومات كثيرة ، وحتى الان لم يتفق العلماء على تعريف المقصود بايذاء الطفل واساءة معاملته فى الثقافات المختلفة . فالاساليب التربوية التى تعتبر بشعة فى بعض الثقافات يعتبر اغفالها اهمالا فى ثقافات أخرى ، وتقدم لنا الدراسات الانثروبولوجية صورة عن التباين الثقافى فى كل ما يتعلق بأساليب تنشئة الاطفال وما يرتبط بها من أنواع الايذاء البدنى . وتدل كل البيانات المتوفرة عن الثقافات المختلفة على عدم وجود طبيعة انسانية مميزة تتفق على كيفية معاملة الطفل ، وعلى النقيض من ذلك يكون الافراد والثقافات متصلا من السلوك فيما يتعلق بمعاملة الاطفال ابتداء من العقوبات البدنية القاسية مرورا بالحرمان المبكر وانتهاء بالتدليل المفرط بل أكدت لنا الدراسات الانثروبولوجية وجود متصل من أساليب تربية الاطفال داخل الجماعة الواحدة ، ولاسباب متباينة ينحرف بعض الافراد فى كل الجماعات عن القواعد والمعايير السائدة فى ثقافاتهم ، وهذا الانحراف الذى يظهر داخل الثقافة

الواحدة ، سواء فى الثقافات التى يعامل فيها الاطفال معاملة قاسية أم فى الثقافات التى تفرط فى تدليل أطفالها ، يعتبر اساءة للطفل ٠

وقد أكدت كل الدراسات الانثروبولوجية التى اهتمت بالطفل أننا يجب ألا نفكر بعواطفنا عندما نحاول أن نفهم أسباب ايذاء الاطفال واساءة معاملتهم وحتى تشريط وجوههم ٠ فقد يكون هذا التصرف نابعا من أسباب ثقافية ، فما يعد سوء معاملة أو ايذاء فى نظر ثقافة معينة قد لا يعد بالضرورة اساءة معاملة أو ايذاء فى ثقافة أخرى ، فمثلا قد يستنكر بعض الانثروبولوجيين الغربيين أساليب تنشئة الاطفال فى ثقافات غير ثقافاتهم ، بينما يرى المواطنون المؤمنون بهذه الثقافات أن طريقة معاملة الرجل الابيض لابنه تدل على عدم حبه له ٠ مثال ذلك أن أساليب رعاية الطفل الابيض بتعويده على النظام التى يمارسها الانثروبولوجيون الغربيون مع أولادهم اذا ما أخذوهم معهم أثناء الدراسة الحقلية قد تؤدى بالوطنيين ــ أفراد المجتمع الذى يدرسه هؤلاء الانثروبولوجيون ــ الى اتهام الاباء البيض بأنهم لا يحبون أولادهم وفق مفهوم الحب عندهم ٠

ولقد توصل الانثروبولوجيون الى نتيجة هامة وهى أن المهمة التى تواجهنا الان هى صياغة معايير موضوعية عن تنشئة الاطفال ، مع مراعاة تطوير معيار مقبول عالميا عن معاملة الاطفال ، وينبغى فى محاولتنا للتوفيق بين الثقافات المتباينة لوضع تعريف عالمى عن اساءة معاملة الطفل أن ندرس عوامل محددة موضوعيا هى :

١ ــ يمكن أن يقدم لنا التقبل الثقافى لفعل ما ، وقواعد استمراره وسيلة لقياس المقصود باساءة الطفل ٠

٢ ــ يعد انحراف الفرد عن القواعد الثقافية ، ومقدار الانحراف عن المقبول داخل الثقافة ، عناصر هامة لفهم المقصود باساءة معاملة الطفل ٠

٣ ــ ما يقصده الكبار من معاملة معينة للطفل ، عامل حاسم لفهم طريقة التنسئة ٠

٤ ــ ينبغى أن نضع فى الاعتبار ادراك الطفل للحدث ٠

٥ ــ ينبغى أن نضع فى الاعتبار عمر الطفل والمعايير الثقافية للتطور الجسدى والنفسى للطفل فى أطوار النمو المختلفة ٠

٦ ـ ينبغى أن نضع فى الاعتبار تطور نمو الطفل باعتباره عضوا فى ثقافته ٠

واستنادا على هذه المعايير الستة ، وبعد معرفة الاسباب التى تدفع الوالدان الى الافراط فى تدليل الاولاد والتساهل معهم أو معاملتهم بقسوة وبصرامة ، يستطيع العلم أن يقدم تعريفا شاملا ومحددا ومفيدا ومقبولا دوليا عن مشكلة سوء معاملة الطفل وايذاءه فى الثقافات المختلفة ٠

وأخيرا لنا أن نقول أن الانثروبولوجيين فى دراساتهم للطفولة وعملية التنشئة قد استفادوا من نظريات نمو الطفل ، والطب النفسى والتحليل النفسى عند دراسة الثقافة ٠ بيد أن علماء النفس فى القرن العشرين ، فقد أعطوا اهتماما متزايدا للعلاقة بين نمو الشخصية والظروف الاجتماعية والثقافية ٠ وثمة دراسات عديدة تؤكد تأثير علم النفس على الدراسات المهتمة بالثقافة مثل الدراسات الخاصة بالاستقلال والعدوان وتوحد القيم ٠ وكذلك الدراسات التى تهتم بالربط بين تجارب البالغين والنمو العقلى والدافع الى الانجاز ٠

ولقد اعتمد الانثروبولوجيون اعتمادا كبيرا على المقابلة والملاحظة المباشرة ودراسة الثقافة عن بعد لفهم أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل وسلوكه والاساليب المقبولة الخاصة عن التنشئة فى المجتمعات الصغيرة أو الكبيرة ، وبذا كانوا أكثر قدرة على تحقيق صورة كاملة عن عمليات التشئة من علماء النفس وعلماء الاجتماع٠

ويمكن لنا أن نوجز هذا الفصل بأن نبين أهم أغراض الدراسات الانثروبولوجية المهتمة بالطفولة وهى :

١ ـ دراسة تأثير المظاهر الخاصة بالثقافة والتركيبات التنظيمية على عملية التنشئة ونمو الشخصية ، كما تلاحظ فى دراسات مالينوفسكى ومختلف الدراسات الانثروبولوجية التى اهتمت بالشخصية القومية ٠

٢ ـ اثبات الصلة الوثيقة بين الاساليب المختلفة فى التنشئة وارتباط ذلك بمظاهر الشخصية ، وتنوع هذه الاساليب من وقت لآخر فى المجتمع الواحد ٠

ـ لبيان مدى مرونة الطبيعة الانسانية مثلما فعلت بندكيت فى كتاب أنماط الثقافة ٠

٣ ـ دراسة العلاقات المتبادلة بين التغير الثقافى أو التصدع فى البناء الثقافى والملامح الاساسية للشخصية ، كما أوضح ذلك كلاكهون وشبندلر .

٤ ـ دراسة الارتباطات الاحصائية بين أساليب عملية التنشئة وخصائص وسمات معينة للشخصية أو الثقافة مثل السحر أو الفن أو الدين ، مثلما فعل تشيلد وهويتنج .

الفصل السادس

طرق دراسة الطفل

- المقدمة .
- المقابلة .
- الملاحظة .
- الاختبارات الاسقاطية .
- اختبارات تكملة النواقص .
- تحليل ألعاب الاطفال .
- تحليل رسوم الاطفال .
- خاتمة .

طـرق دراســـة الطفــل

مقدمـــة :

ولكن كيف ندرس الطفل ؟ وهل طرق دراسة مجتمع البالغين ملائمة وصالحة لدراسة مجتمع الاطفال ؟

فى البداية نقرر أن الطريقة الملائمة لدراسة الصغار سواء أكانت المشاهدة بالعـين أم باستخدام الورقة والقلم أم الاختبارات الاسقاطية تعتمد اعتمادا كبيرا على نوع المشكلة التى ندرسها أو نوعية البيانات التى نحتاج اليها عن الصغير ٠

والباحث عندما يدرس الاطفال يتضح له أن السلوك الانسانى سلوك شديد التعقد ، متراكب ، وستظهر له مجالات واسـعة من المشكلات الجديـدة باستمرار وستضح أمامه حلول جديدة لمشاكل قديمة ، وسيدرك أن المشكلات الانسانية تتباين بتباين أطوار النمو وسيجد أن عليه أن يدرس تأثير سلوك الطفل على سلوكه وهو بالغ في طور لاحق (١) ٠

والحقيقة أن الدراسة الملائمة لاساليب تربية الطفل وقيمة واتجاهاته فى أى مجتمع عمل كبير ٠ اذ من خلال هذه الدراسة يتيسر للمرء أن يحصل على قدر كبير من المعلومات المناسبة الخاصة بالمعتقدات ونمـاذج السلوك والمدركـات الشخصيـة للوالدين والهيئات المسئولة عن تنشئة الطفل ٠

ولمـا كان وصف الثقافة هو محور الاهتمام الاكبـر للانثروبولوجيين فقـد استخدموا طرقا مختلفة للحصول على البيانات والمعلومات تختلف عن تلك الطرق التى يستخدمها علماء الاجتماع وعلماء النفس ٠ ففى حين يهتـم عالم الاجتماع وزميله عالم النفس بوصف أنماط السلوك المعتادة والظاهرة فى مجتمع معين وكيف تنتشر هذه الانماط وكيف تنتقل من جيل لاخر فان الانثروبولوجى يهتم بالمعتقدات

---

(1) Henry William : Projective techniques. In Mussen Paul Henry. Handbook of research methods in child development. Op cit. p. 609.

والقيم التى توحد بها الطفل والاساليب المقبولة والسائدة التى تعود عليها ، وهم من أجـل الحصول على المعلومات الوصفية الاثنوجرافية قد استخدموا طريقتين :

١ ـ المقابلة الاثنوجرافية ٠

٢ ـ الملاحظة بالمشاركة ٠

وتختلف المقابلة الاثنوجرافية عن المقابلات الاخرى فى مظاهر عديدة أهمها هى علاقة المركز بين الباحث الاثنوجرافى والشخص الذى يقابله ٠ فالطبيب يقابل مرضاه ويقابل الاخصائى الاجتماعى عملاءه ويقابل المحلل النفسى أفراد المجتمع من المرضى وفى كل حالة من هذه الحالات فان المقابل ند للطرف الآخر أى أن الباحث يجلس وجها لوجه مع الذى تجرى معه المقابلة مما يمكنه من السيطرة أكثر عـلى الموقف والحصول على قدر من المعرفة أكبر أما موقف الانثروبولوجى فيختلف ٠

وهذه الدراسة المركزة التى يقوم بها الانثربولوجى ذات أهمية فى الدراسات المقارنة وقد أكدت أكثر الابحاث المقارنة طموحا أهمية الطريقة الاثنوجرافية عند دراسة أساليب تنشئة الطفل ودراسة سلوكه داخل البناء الثقافى (١) ٠ والدراسات التى تعتمد على ملاحظة التفاعل بين الوالدين وابنائهما لا زالت أقـل مـن تلك الابحاث والدراسات التى تدرس سلوك الوالدين أو سؤال الوالدين سؤالا مباشرا كمصدر للمعلومات أو عن طريق سؤال الابناء (٢) ٠

وفيما يلى نعرض بايجاز لاهم الطرق الشائعة والمتبعة عند دراسة الطفل :

المقابلـــة :

وهى احدى الطرق المتبعة فى جمع البيانات والمعلومات عن الطفل حيث تعتمد هذه الطريقة على العلاقة الشخصية بين الباحث والطرف موضوع البحث وعيب هذه

(1) Clausen, J. : A Historical comparative view of socialization theory and Research. In socialization and society. edited by J. Clausen. op. cit, pp. 62 - 63.

(2) Hoffman, : Louis Wladis : The measurement of family lify variables. in Paul Henry Mussen : Handbook of researsh methods in child developement Op cit. p. 976.

الطريقة اعتمادها على وجود علاقة شخصية بين الطفل والباحث ومع ذلك فهـذه العلاقة مصدر قوتها ودقة ما تصل اليه من معلومات وافية أيضا . وفى هذه العلاقة الشخصية تكمن صعوبة استعمالها بصفتها وسيلة للبحث (١) وهى أسلوب هـام فى الدراسات التجريبية لكشف ما يخفيه الطفل عن العالم الذى يعى به ، وبكل ما حوله من تجربة واشخاص وأحداث وبيئة ولدراسة كيف يتصور الطفل التجـارب فـى المواقف اليومية . كذلك تعد المقابلة وسيلة هامة للكشف عن الاحباطات التى يعانى منها الاطفال وتجارب التعلم . اذ يمكن أن يقابل الباحث الطفل بعد التجربة لاستيضاح بعض الغموض الذى يكتنف الموقف التجريبى مما يساعدنا على فهم تأثير الاجراءات التجريبية المختلفة على الطفل .

والعلاقات المباشرة بين الطفل والباحث أثناء المقابلة تقلل من احتمالات سوء فهم الباحث لتصرفات الطفل أو عجزه عن فهم ما يطلبه الباحث منه . فالمقابلة تتيح الفرصة لايضاح معنى ما قد يكون غامضا من الاسئلة الموجهـه الى الطفل وكذلك فان الاطفال المحرومين من أداء نشاط معين قد يحتاجون الى التأكد من رحابة صدر الباحث وتسامحه وذلك قبل أن يعبروا عن اتجاهاتهم السلبية أو يكشفوا عن دخائل نفوسهم أو مشاعرهم العاطفية الخاصة .

وتستخدم المقابلة صورا شتى فى الدراسات التى تهتم بالنمو وربما تكون هى الاداة الاساسية لجمع البيانات عند دراسة نمو الطفل ودراسة الاتجاهات والقيم واختبارات القيم . وربمـا تكـون طريقـة اسـتطلاعية لصياغة فروض عـن عملية النمو تختبر بعد ذلك باستخدام طرق أخرى . على أن المقابلة قد تعانى من قصور . فمثلا قد يكون الطفل أكثر صراحة فى التعبير عن موقفه النقدى من سياسة المدرسة فى الاجابات عن الاسئلة المطلوبة منه فى المقابلة الشخصية حيث يرى أن الباحث نفسه جزء من جهاز المدرسة .

وتستخدم المقابلة على مجال واسع لمعرفة أسلوب حياة الطفل ومدى قدرته على النضال والتصرف مع رفاق سنه فى موقف اجتماعى محدد ، لنعرف كيف يتصرف

---

(1) Yarrow Leon : Interviewing children. In Menry Mussen. Handbook of Research method in child dvelopement op cit, p. 562.

الطفل فى المواقف التى تتطلب منه السيطرة والتسلط أو الاستقلال فى الرأى أو مسايرة الغير والاعتماد عليه والانقياد والاذعان له ٠

ومما يدعو للاسف حقا أن أغلب التراث الخاص باستخدام المقابلة يتجه اتجاها اكلينيكيا نحو أطفال مرضى يعانون من الامراض النفسية أو الاجتماعية اذ أن المقابلة أداة نادرة عند الاستعمال عند دراسة الاطفال الاسوياء رغم ظهور كتب ومقالات ممتازة را معة عن أهمية استعمال المقابلة وكيفية تطبيقها ٠

واذا كان للمقارنة محاسنها فهناك مشكلات أساسية تحددها خصائص السن٠ فالمشكلة الكبرى تنبع من قصور الطفل عن التعبير اللغوى وفهم اللغة التى يخاطب بها ٠ وثمة مشكلة أساسية ثانية ترتبط بالدور التقليدى لعلاقة الطفل بالكبار فى الثقافة السائدة وبالامكان التغلب على هاتين المشكلتين اذا قامت علاقة مودة بين الطفل والباحث تمكنه من ادراك ما يريد أن يعبر عنه الطفل بألفاظه وتوصيل أفكاره الى الطفل ، ولكن هذه العلاقة تتضمن فى حد ذاتها الصعوبة الثالثة وهى ضرورة أن تكون هذه العلاقة الوثيقة مع الطفل علاقة سوية بعيدا عن الروابط المرضية متجنبين كل اتصال يعبر عن تحيز الباحث ٠ ومع ذلك فثمة عوامل تدخل فى تسهيل وتحديد المقابلة بين الطفل والباحث :

أهمها : قدرة الطفل على فهم معانى الكلمات وتمكنه من التعبير عن أفكاره فى سهولة ويسر ومع ذلك ينبغى ألا نغفل العلاقة الحقيقية بين الطفل والباحث والدوافع المعيارية التى ينبغى أن تدخل فى الاعتبار عند تقييم استخدام المقابلة مع الاطفال٠ولما كانت المقابلة تعتمد أساسا على التعبير اللغوى فمن الضرورى عدم اجراء المقابلة مع أطفال لم يبلغوا بعد مرحلة النمو الذىيمكنهم من أن يعبروا عن أفكارهم فى سهولة ويسر (١) ٠

وقد يجرى الباحث مقابلته مع أطفال مصابين بالبلاهة أو مصابين بمعوقات تعوقهم عن التعبير اللغوى ٠ وهناك اعتراض عام على استخدام المقابلة مع الاطفال الذين لم يتجاوزوا السادسة بسبب قصور فهم اللغة وعدم تمكنهم من التعبير اللغوى تعبيرا سلسا ونفورهم عادة من الغرباء ٠ لان طفل ما قبل المدرسة يعجز عن

---

(1) Ibid : P. 563.

تكوين علاقة حقيقية مع الباحث · بيد أن هذا الاعتراض لا يجب أن يعمم فقد لجأت رادك فى دراستها للاتجاهات الوالدية الى المقابلة المباشرة مع أطفال لـم يبلغوا الرابعة من العمر يمتازون بالذكـاء المرتفع لقياس ادراكهـم للادوار الوالدية ، وأساليب الضبط · وقد وجدت رادك وضوحا كاملا فى تقارير الاطفال ، ودرجة من التطابق بين ما قاله لها الاطفال وما قرره لها الآباء حول بعض القضايا ·

وهناك من الباحثين من أجرى المقابلة مع أطفال تتراوح أعمارهم بين الثانية والخامسة وكانت وسائلهم فى التفاهم هى اللعب والدمى وقد حققت بعض المقابلات بعض النتائج الايجابية مع أطفال يتجاوزون العام الثانى من العمر وتعترف رادك أنها لا تنكر أن نسبة من امتنعوا عن الاجـابة لـم تكن ضئيلة ولكن هـذه النسبة انخفضت تدريجيا كلما كبر عمر الطفل · وبالرغم من هذه التقسيمات الايجابية لتأثير المقابلة على أطفال ما قبل المدرسة فمازال الكثيرون ينفرون من الالتجاء الى المقابلة كأسلوب مباشر لدراسة الطفل قبل التحاقه بالمدرسة · وينبع هذا الرفض الى حد ما عن قصور المفردات اللغوية للطفل ، ومدى الاستخدام الوظيفى للكلمات · فالمفردات اللغوية لطفل فى الثانية من عمره محدودة وقلما يتجاوز محصولة من الكلمـات ٢٠٠ كلمـة وبالرغـم مـن تزايـد محصولـه مـن الكلمـات بعـد العـام الثانـى فان لغـة الطفـل لا زالت محـدودة بادراكـه الذاتى · والطفل بعد أن يتجاوز الثانية ويقترب من العام الثالث قـد يستعمل الالفـاظ والكلمات استعمالا قاصرا ليتبادل المعلومات أو التصورات المتغيرة فقد يكون الحديث فى صورة لعب أو قد يستخدم اللغـة استخداما أدا يا للتعبير عن حاجاته أو السيطرة عـلى سلوك الاخرين بما يتوافق مع تلبيته لحاجاته ·

اتفق أغلب الباحثين على أن مرحلة الاستقرار اللغوى هـى المرحلة الاخيرة من مراحل امتلاك الطفل للغة والتى تبدأ من سن السادسة أو السابعة أو على أكثر تقدير من الثامنة تبعا لاختلاف الافراد · وبدخول الطفل هذه المرحلة تستقر لغته ويتمكن من أخراج أصواتها اخراجا صحيحا وترسخ طائفة كبـيرة من العـادات الكلاميـة ·

ومما تقدم نخلص الى أن ثمة حد أدنى لسن الطفل الذى يجوز أن نجرى معه المقابلة المباشرة وان كان هذا السن يختلف من طفل لاخر ، وعـلى العموم يمكن استخدام المقابلة استخداما نافعا مجديا مع الطفل بعد أن يتجاوز الرابعة من عمره،

أما دون هذا السن فيمكن استخدام المقابلة بعد التكيف مع لغة الطفل وخصائصه الدافعية لكى نحصل على نتائج مجدية ·

وللتغلب على خجل الطفل ولتكوين علاقة وطيدة معه لتثمر المقابلة ولتثير عنده الحافز الى الحديث قد يكون من الانسب أن نطلب من الطفل أو والديه أن يحضر معه بعض كراساته سواء كراسات الرسم أو التعبير أو بعض الاشكال التى صنعها بيديه سواء من الصلصال أو المكعبات أو يحضر معه لعبا مفضلة لديه (١) · ففى هذا الموقف تأتى الفرصة للباحث لان يعبر عن تقديره للطفل ويضع الطفل موضع الخبير ، ومن ثم يعتقد الطفل أنه الشخص القادر الوحيد على الكلام عن هذه الاعمال مما يسهل الحوار التلقائى معه ويعطيه الثقة فى أن ما يقوله يعد أمـرا هاما · وهنا تظهر مهارة الباحث فى توجيه الحوار نحو ما يريد ·

وهناك بعض الاعتبارات التى ينبغى أن تراعى ازاء المكان الذى تجرى فيه المقابلة وعلى العموم فنحن نفكر فى مكان مثـالى ينعدم فيـه قلق الطفل ويدعـم العلاقات الثنائية بينهما وأقرب مثال واقعى لهذا المكان حجرة هادئة تدعم الشعور بالسرية حيث يتحرر الطفل من الحيرة التقليدية مما يسهل اجراء المقابلة معه ·

والسؤال الهام الذى يواجهنا هو كيف نسجل المقابلة مع الاطفال · وتسجيل حديث المجيب تسجيلا سليما بما لا يدع مجالا للشك وتشويش عملية التسجيل · والمشكلة الاساسية هى كيف نسجل أحداث المقابلة مع الطفل · هل أثناء المقابلة أم بعدها ؟ وهل تسجل أحداث المقابلة حرفيا أم ننتقى منها ما يعتقد الباحث أنه ملائم ومناسب ؟ ·

تؤكد لنا المادة المتاحة أن الاعتماد على الذاكرة بعد المقابلة فى سرد ما جرى أثناء المقابلة أمر محفوف بالخطر · فقد يعى الباحث ما يريد أن يذكره فقط بما يتلائم مع وجهة نظره ويغفل عما دون ذلك · ولذلك فمن الاهمية أن نسجل المقابلة فى وقتها وعلى العموم فاذا كانت العلاقة بين الباحث والطفل طيبة فلا خشية على المضمون ·

---

(1) Ibid : pp. 570 - 571.

ولا خلاف فى أن ردود أفعال الاطفال تختلف من عمر لاخر ووفق المعلومات التى تجرى حولها المقابلة • فاطفال ما قبل المدرسة يتوافقون أسرع كما أن ما يكتبه الباحث لا يؤثر فى الاتصال بينهما• أما فى طور الصبا فلا جدال فى أن ما يدونه الباحث أثناء المقابلة يؤثر فى عملية الاتصال بينهما لان الاطفال فى طور الصبا يحتفظون بأفكارهم ومشاعرهم لانفسهم ، وتلك ظاهرة طبيعية عن الطفل وجزء من عملية السيطرة على الانا • اذ أثناء طور الطفولة المتأخرة أى طور الصبا ، تزداد قدرة الطفل تزايدا كبيرا على اكتساب مفردات اللغة كما أن الاطفال فى هذا الطور أقدر على التفكير فى أفكار بعيدة عن التجربة الحسية ويستطيعون التغيير فى تجاربهم الحسية بعد اكتسابهم محصولا لغويا وفيرا وادراكهم مفهوم الزمن وقياس الوقت وربطه بأحداث الحياة • وعلى نقيض أحاديث الطفولة الاولى الموجهة نحو المشاعر فاللغة فى هذا الطور توجه توجيها اجتماعيا نافعا •

ونرى أن استخدام آلة التسجيل هو أدق الوسائل وأكثرها فائدة لتسجيل أحداث المقابلة • وثمة حالات عرضية تبين أن جنس الباحث الذى يقوم باجراء المقابلة قد يؤثر على استجابات الطفل أو الطفلة خاصة فى طور الطفولة المتأخرة • اذ فى هذا الطور يتطلب المثال الاجتماعى للصبى النفور الصريح من عرض ما يدور بخلده وخاطره على النساء • أما بالنسبة للبنات فهن لا يرين حرجا فى ابداء مشاعرهن للكبار من الذكور وان كن يخجلن من عرضها على الصبية من سنهن • ولا خلاف فى أن الصفات الشخصية للباحث الذى يجرى المقابلة تلعب دورا هاما فى تداعى الصور المألوفة فى بيئة الطفل عن الاشخاص التى اعتادها كما قد يختلف تأثير الباحث بالنسبة للطفل تبعا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الباحث والطفل ومكانتهما الاجتماعية •

ويمكن أن نوضح خصائص المقابلة على النحو الآتى :

١ — وعى الطفل الكامل بأن الباحث ليس شخصا مسيطرا عليه بل انه شخص يهتم به وبأفكاره ويتقبل اتجاهاته ومشاعره قبولا حسنا •

٢ — ومن ثم فعلى الباحث أن يفهم الطفل أنه محور اهتمامه الحقيقى وان مشاعره وأفكاره محل احترامه •

٣ — ضرورة استمرار العلاقة بينهما •

٤ ـ اقامة علاقة وطيدة بينهما وحث الطفل على التحدث بلا حرج ودون مقاطعة أو توجيه مباشر ٠

واجمالا يتوقف نجاح المقابلة كأداة للحصول على المعلومات على عدة عوامل أولها معرفة الباحث بعلم نفس النمو وقدرته على تطبيق هذه المعرفة على الطفل الذى يدرسة ، وثانيا ادراك الباحث ماذا تعنى الالفاظ التى يعبر بها الطفل عن نفسه ٠

الملاحظـــة :

والملاحظة المباشرة طريقة عملية لدراسة الطفل بالمشاهدة والتسجيل وتحليل الاحداث ، والاشياء التى تحدث على نهج طبيعى وتتم على سياق واحد ٠ وقد تتم الملاحظة اعتمادا على الورقة والقلم أو بتسجيل الحدث باستخدام آلة تسجيل للصوت أو الصورة لتوثيق أحدهما أو كليهما ولتوضيح التجارب التى تحدث فـى عالـم الواقع (١) ٠

وفى الواقع فهذه الطريقة تعد أبسط وأسهل طريقة لدراسة السلوك الظاهر والمرئى عند الطفل فهى تعتمد على ما يشاهد ويصدر عن الطفل وما يسمع منـه فالباحث يلاحظ ويصف سلوك الطفل فى المواقف المختلفة ثم يسجل ويقيس ويصنف ويلخص ويفسر ما يشاهده ، ويدرس سلوك الطفل عندما يكون بمفرده أو أثنـاء تفاعله مع الجماعة ٠ ولكن القواعد التى تتبع عند ملاحظة الطفل فى الحالة الاولى هى نفسها التى تتبع فى الحالة الثانية ٠

ويرى المهتمون بدراسة الطفل أن الملاحظـة المنظمة من أهـم طرق تسجيل دراسة الطفل فى مواقف التفاعل خاصة التفاعل مع الوالدين وتبدأ ملاحظة سلوك الطفل بعد الاسبوع الثالث من ميلاده ٠ وقد ثبت أن هناك تغيرات تطرأ على سلوك الام مثلما تطرأ تغيرات على سلوك الطفل بعد مولده بثلاثة أسابيع (٢) ٠ كذلك

---

(1) Wright. Herbert. Observational child study. In Mussen Paul (editor) Handbook of research methods in child developement op cit p. 71.

(2) Danziger (editor) : The introduction, in Reading in child socialization. op, cit, p. 28.

استخدمت الملاحظة كطريقة هامة لجميع البيانات عن عالم الاطفال أثناء مشـاهدة سلوك الطفل فى المواقف المختلفة وأثناء تفاعله مع رفاق سنه ، واخوته ووالديه أو تنافسه وتعاونه مع الآخرين ، أو تصرفاته فى المواقف التى تتطلب الاعتماد عـلى الغير أو المواقف التى يبدى فيها الرغبة فى الاستقلال أو الانقياد أو التسلط .

والملاحظة المباشرة لا تحتاج الى وجود تنظيـم أو اتفـاق مسبق بـين الباحث والطفل المشاهد كذلك فانها لا تحتاج الى زمن مسبق لاجراء الملاحظة . فهذا يعنى عدم وجود خطة محددة . والالتجاء الى الملاحظـة يعنـى أساسـا اسـتبعاد الباحث للاختبارات والمقابلات والاسئلة المكتوبة مثلما نستبعد التجارب المعدة من قبل كما لا تحتاج الملاحظة الى استرجاع أحداث تمت فى الماضى من أجل وصفها .

والباحث يستطيع أن يلاحظ تصرفات الطفل فى مواقف الحياة اليومية ابتداء من مواقف الخلاف أو الشجار . وحركاته وتصرفاته عند الاستيقاظ من النوم أو عند الذهاب الى الفراش ، أو عند الترحيب بالغير أو فى مواقف اللعب ، أو فـى المواقف التى تتطلب التعاون أو التنافس أو تستدعى الدفاع عن النفس ، ويمكـن للباحث أن يذهب الى البيوت أو دور الحضانة أو الى الاندية أو الى المدارس الابتدائية أو الحدائق أو زيارة مؤسسات ايواء الاطفال . وقد تكون الملاحظة يومية لدراسة ووصف نماذج لاطفال معينين .

وتؤكد كل البيانات أن الملاحظة المباشرة كطريقة لدراسة سلوك الطفل تعد أفضل الطرق وأكثرها انتشارا خاصة الاطفال الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات باعتبار أن تصرفات الطفل فى هذا السن أكثر تلقائية أمـا فـى حالة المقابلـة والاختبارات الاسقاطية فالطفل يبدو مقيدا . والملاحظة أجدى وأنفع اذا ما وثق الباحث علاقاته بالطفل ، وقام الباحث بدور صديق للطفل يهتم بسلوكه ، لا بدور الحكم غير المشارك والموجه لسلوكه .

بيد أن أخطر عيوب هذه الطريقة أنها طريقة مكلفة للحصول على المعلومات والبيانات . ومن عيوبها أيضا أنها لا تمكن من الدراسة الجدية للتفاعل بين الطفل

والوالدين داخل جدران البيت • فقلما تستخدم وتجدى الملاحظة المباشرة لدراسة هذه العلاقة حتى وان استخدمت فلن تكون مجدية اذ يغلب التكلف الظاهر على هذه العلاقة • وهذا النوع من الدراسة نادر الاستعمال ، فأغلب البحوث تنصب على ملاحظة سلوك الابن وحده أو سلوك الوالدين أحدهما أو كليهما (١) ومع ذلك فالملاحظة المباشرة وسيلة هامة للحصول على معلومات موضوعية لا تظهر في وعي أفراد الاسرة •

وبالرغم من عيوب الملاحظة ففي الوسع الاعتماد على النتائج التي تجمع بدقة بالملاحظة المباشرة بشرط أن يكون الملاحظ قد قام بدور الصديق للطفل مما يجعله يتصرف تصرفا طبيعيا لا تكلف فيه والا ضاعت الفائدة المرجوة من الملاحظة وظهرت عيوبها جليا (٢) • ومن ثم ففائدتها الاولى تقتصر على أطفال ما دون سن المدرسة •

الاختبارات الاسقاطية :

وثمة وسيلة ثالثة لدراسة الاطفال • هي الاختبارات الاسقاطية وقد استخدمت هذه الطريقة أصلا مع الكبار ولكن ثبت أنها مجدية الى حد كبير من الصغار • ومن ثم ابتكرت اختبارات اسقاطية خصيصا من أجل دراسة الطفل ، وتصنف هذه الاختبارات الاسقاطية على النحو الاتى :

١ ـ اختبارات ابداعية •

٢ ـ اختبارات تفسيرية •

٣ ـ اختبارات تركيبية •

٤ ـ اختبارات المشاعر •

---

(1) Hoffman, Louis Wladis : The measurement of family lify variables p. 976.

(2) Wright Herbert. Observational child study Mussen. Research Methods of child developement. p. 119.

ونقصد بالاختبارات الابداعية • تلك الاختبارات التى تتطلب من الشخص أن يضفى شكلا ما أو بناء معينا على مثير غير محدد نسبيا• فمثلا فى اختبار **روشاخ** يتطلب من المفحوص أن يحدد شكلا محددا لمثير غامض فى طبيعته بالضرورة ، كذلك فعند استعمال الطفل لطباشير الالوان يطلب من الطفل أن يبدع رسما أو صورة(١)•

وتعتمد الطريقة التفسيرية على ما يرويه الطفل لنا من أحداث، ومعنى هذه الاحداث عنده• واذا ما استخدمنا اختبار تفهم الموضوع .T. A. T فانه يتعين عليه أن يعطى معنى للصورة وعليه أن يذكر اذا كان يحب بعض الصور أو الاشخاص أم يكرهها والسبب فى ذلك أى عليه أن يفسر انطباعاته وتعبيراته ومشاعره •

أما اختبارات المشاعر ، فتتطلب من الطفل أن يعبر عن شعوره ومشاعره وتأثره أثناء لعبه بالدمى واللعب

أما الاختبارات التركيبية فتتطلب من الطفل أن يرتب وينظم أدواتا معينة مثل المكعبات ، كأن يطلب منه مثلا أن يبنى منزلا أو يشيد مصنعا من المكعبات أو طائرة من أجزاء مفككة لطائرة • وأوضح مثال لهذه الاختبارات لعبة المهندس المعمارى المعروفة فى مجتمعنا ولعبة الميكانو • ويشترك الطفل المفحوص فى هذا الاختبار فى تطوير شكل ما بحبكة غير منظمة تحكى استجابته لمثير مصورا(٢)• وعن الاختبارات الاسقاطية عرض جاردنر تقسيم الاختبارات الى اختبارات أخرى هى اختبارات التداعى واختبارات التكوين والانجاز والترتيب والتعبير • ففى اختبار التداعى تبعا لهذا التقسيم يتطلب من الشخص أن يسرد ما يتداعى الى ذهنه عندما يفرض عليه مثير ما مثل كلمة أو صورة أو صوت ولا يختلف هذا التقسيم عن التقسيم السابق ، فالتكوين يجمع الى حد ما بين الطريقة الابداعية وطريقة التركيب • والانجاز والترتيب مدخلان فى نطاق التقسيم التركيبى أما التعبير فهو اختبار للمشاعر والتأثيرات •

وقد استعملت الاساليب الاسقاطية لدراسة شخصية الطفل فى بحوث علم النفس خاصة والعلوم السلوكية عامة • وقد بقيت هذه الاختبارات باعتبارها جزءا

---

(1) Henry William : Projective techiques : op cit. p. 603.

(2) Henry William : Ibid p. 621.

مكملا مع المفهومات والاساليب التى تميز الان هذا المجال ، ولا ريب أن ثمة اختلافا كبيرا فى المؤثرات التى أثرت فى الانتشار السريع لاستخدام هذه الاختبارات فـى السنوات الاخيرة أهمها :

أولا : بروز الدور الخطير لنظرية التحليل النفسى فى شخصية الطفل •

ثانيا : التأكيد الكلى على البيئة السلوكية ورؤية سلوك الافراد فى اطار وحدتهم وارتباطاتهم •

وتستخدم هذه الاختبارات الاسقاطية لدراسة علاقة الطفل ببيئته ومدى ما استوعبه منهـا مثلما تستخدم طريقة الملاحظة المباشرة • وتعطى هـذه الاختبارات الفرصة للتعبير الحر وتداعى الافكار • فعندما تستخدم اختبار نقط الحبر لروشاخ أو اختبار تفهم الموضوع يطلب من الطفل المفحوص أن يسرد الفكرة الاولى التـى تخطر على ذهنه بمجرد أن يرى الصورة • فاذا ما طبق اختبار روشاخ مثلا يطلب من الطفل المفحوص أن يسرد ما يتداعى الى ذهنه من صور ، ويعبر عنه بكلمات وأن يذكر الفكرة الاولى التى تخطر على ذهنه وتسجيل ما يشاهد فى الصورة • وعادةما يسأل عما تذكره الصورة ولا يتدخل الباحث فى هذا الاختبار الا فى حدود ضيقة • وتقتصر مهمته على تسجيل الاستجابات اللفظية للصور بعد أن تعرض على الطفل البطاقات الواحدة تلو الاخرى بمجرد أن ينتهى من سرد أحداث البطاقة التى معه • كما يسجل الباحث الوقت المنقضى بين تقديم البطاقة لاول مرة واستجابة الطفـل الاولى لها • ويهتم هذا الاختبار بالكشف عن ٣ مناطق رئيسية فى الشخصية هى النشاط العقلى والعواصف الظاهرة والحياة العاطفية الداخلية (١) •

ويعد اختبار روشاخ من الاختبارات الهامة لدراسة الصغارابتداء من طـور الحضانة • ويتكون هذا الاختبار من ١٠ بطاقات يوجد بكل منها عددا من بقع الحبر غير المنظمة الشكل واللون والتى يستجيب لها الصغير ، ويحدد الطفل فى كل صورة بقدر الامكان المجال الذى يتحدث عنه مثلما يتحدث عن خصائص جزء معـين من البطاقة والذى جعله يفكر فى تلك الاستجابة الخاصة •

وتكشف استجابة الطفل لمـا فى الصورة عن قدر معين من التفاؤل أو الامانة

---

(1) Ibid : p. 616.

أو الخيانة أو القلق أو تمركز الذات • واختبار روشاخ لا يقتصر على ثقافة معينة أو على طبقة معينة أو مجتمع خاص فموضوعاته تمثل مفهوما عاما لشخص ما وقد اصطلح على تعريفها بأنها مجرد نقط حبر (١) •

وقد أجريت على اختبار روشاخ بعض التعديلات• فاستبدل باختبار بقع الحبر اختبار صور السحب الذى ابتدعه ستيروف أوسترن ، ويتكون هذا الاختبار من ٣ صور للسحب•واذا ما شاهدأحد الاطفال هذه الصور الثلاث فعلى الطفل أن يذكر ما يتداعى له من صور بسرد رواية معينة أو ألعاب معينة تحدث فوق السحب العابرة والهدف من كل ذلك أن تحدد مجموعة من المثيرات المرئية غير المحددة الملائمة لدراسة الطفل العادى • لكن تطبيق اختبار صور السحب أضيق من مجالات تطبيق اختبار روشاخ •

أما الاختبارات الابداعية • فهى تلك الاختبارات التى تتطلب من الشخص أن يبتدع شيئا بمعنى أن يبتكر شيئا جديدا • وقد يكون هذا الشيء الجديد فى صورة قصة تترتب على رؤية صورة معينة تثير عند الطفل أحداثا معينة • وفى هذه الحالة اصطلح على تسمية هذا النوع من الاختبارات الابداعية باختبار تفهم الموضوع • (T. A. T.)

وقد قدم لنا هذا الاختبار مورجان موارى عام ١٩٣٥•ويتكون هذا الاختبار من ٣٠ صورة تتباين درجات غموضها ، وتعبر عن موضوعات مختلفة ، اذ يختلف مضمون كل صور ، عن مضامين الصور الاخرى • وضمن هذه البطاقـات بطاقـة واحدة خالية من أيةكتابة أو رسوم وتتكون هذه الصور من ١٠ صور حيادية توجه الى الذكور والاناث كما تعرض ١٠ صور على الاناث وحـدهن • وتعرض العشر الباقية على الذكور وحدهم • وفيما يتعلق بالصور التى توجه الى الذكور فبعضها يوجه الى الكبار والصغار والبعض يقتصر على الكبار وحدهم • والبعض الاخر يخص الصغار وحدهم • وكذا الحال بالنسبة للاناث • وهكذا يعرض على كل مفحوص ١٠ صور عامة بجانب ١٠ صور خاصة تتناسب مع سنة أوجنسه وتعرض كل صورة بمفردها ثم يطلب منه أن يحكى قصة لمـا تعبر عنه كل بطاقة فيحكى ما يحدث من

---

(1) Ibid : pp. 622 - 623.

أحداث ، وماذا يفكر فيه الناس وماذا يقولون وبماذا يشعرون وما الذى دفع بهم الى اتخاذ وضع معين فى صورة ما وماذا سيحدث من تتابع فى الاحداث والموقف من السلطة ومظاهر القلق • ويوجه الباحث الى الطفل المبحوث بعض الاسئلة لتوضيح بعض النقاط التى تبدو غامضة أثناء سرد الطفل لاحداث الصورة أو القاء الضوء على بعض النقاط قليلة القيمة •

بيد أن تحليل هذا الاختبار لا يعتمد على طريقة مقننة وان كان يهتم بشكل القصة وطولها وكيفية سرد أحداثها • ومن المهم أن يحدد فى التحليل من هو البطل ؟ ودوافع الشخص والضغوط التى يخضع لها البطل كما تظهر له فى الصور •

ويهتم التحليل عادة بدراسة مدى استجابة الطفل لتفاصيل الاحداث كما هى موضحة بالصورة • ومدى وعى الطفل بالماضى والحاضر والمستقبل • ومدى الاختلاف أو الاتفاق بين الاحداث كما توضحها الصور • ومدى الانتظام فى سرد الاحداث أو تناقضها ، وكيفية تتابعها • ويهتم التحليل أيضا بمضمون القصة • ويؤكد على القيم الاخلاقية المرتبطة بحبكة القصة ، وأنواع السلوك التى تصدر من كل فاعل فى الموقف ، ويعطى الباحث نهاية القصة اهتماما بالغا لـيرى هل هى نهاية سعيدة أم حزينة وهل تنتهى بحل عدوانى أم تنتهى بحل سلمى • ويصف هنرى موراى اختبار تفهم الموضوع بأنه اختبار مفيد ومجدى لدراسة الاطفال وخاصة تلاميذ المدرسة الابتدائية ابتداء من الصف الثالث (١) •

ويلاحظ أن الفرق بين اختبار روشاخ واختبار تفهم الموضوع كما عرضناه • يكمن فى أن الاختبار الاول يهتم ببقع حبر ذات أشكال غامضة تتطلب من الطفل أن يتبصر فيها وأن ينسج حولها ما تثـيره هذه البقع ، فهو اختبار لتداعى الافكار ، أما اختبار تفهم الموضوع فيعرض على الطفل صورا لاشخاص وأماكن واضحة المعالم وعلى الطفل أن ينسج حولها من خياله قصة تتلاءم وتتابع الصور •

اختبار آخر معدل هو اختبار تفهم الطفل للموضوع (C. A. T.) ويتلخص هذا الاختبار فى عرض ١٠ صور على الطفل • وتضم كل صورة منها بعض أشكال الحيوانات ويفترض الباحث أن الطفل يستطيع أن يعرف نفسـه أكثر من خـلال

---

(1) Ibid : pp. 622 - 623.

الاشخاص • وتحكى أحداث الصور مشكلات عامة عن الطفولة مثل التوترات التـى يعانيها عن التغذية ، والشجار بين الاخوة والتدريب على التبرز والمشكلات الاودبية• ولكن هذا الاختبار لم يطبق حتى الان على نطاق واسع كما أن التجارب المنشورة عنه لم يكتب لها الذيوع ، بل هناك من يرى أن نتائجه لا تتجاوز اطلاقا نتائج اختبار تفهم الموضوع • كما أن هذا الاختبار لا يستخدم الا فى العيادات الاكلينيكية • وثمة اختبار غير منشور لبودوف يشمل مجموعة من صور البشر كل منها تناظر صورة من صور الحيوانات فى اختبار تفهم الطفل للموضوع ــ وقد حقق تطبيق هذا الاختبار على مجموعة من الاطفال الاسوياء الحصول عـلى معلومات نفسية أكثـر مما أمكن الحصول عليه من الاختبارين الاولين •

اختبار تكملة النواقص :

وتعرض هذه الاختبارات على الطفل بعض المواقف الناقصة ويطلب منـه أن يستكملها فى أى صورة يشاء وبما يراه ملائما ، ويتطلب هذا الاختبار من الطفل أن يختبر موقفا يعرضه عليه الباحث وأن يجيب عـلى بعض الاسئلة التـى تتعلق بالنتيجة أو تكملة الموقف • وقد يكون الموقف قصيرا ، لا يخرج عن كونه جملة واحدة عليه أن يكملها ، وقد يكون أكثر تعقيدا كـأن تعرض عليه مجموعة مـن صـور الكرتون تنقصها صورة أو أكثر ويطلب منه أن يختار الصورة أو الصور الناقصة من بـين مجموعة صـور أخرى ، أو قد يكون الموقف مجموعة من الاشكال الهندسية عليه أن يكمل الشكل الناقص منها• والموقف فى هذا الاختبار أدق وأكثر تحديدا من الموقف فى اختبار روشاخ الاكثر ابهاما ، ويعد اختبارتكملة الجمل أهم وأفضل وأكثر الاختبارات انتشارا • ويتكون هذا الاختبار من مجموعة من الجمل الناقصة، والتى تتطلب من الطفل المفحوص أن يكملها ويكون منها جملة مفيدة • وتكشف الجملة التى يكونها الطفل عن بعض المتغيرات ذات الدلالة الهامـة عند الباحث • ويستند هذا الاختبار على تداعى الكلمات•والمثير عادة أخلاقى، وأكثر تعقيدا • ولا تتجاوز الاستجابةأكثر من جملة كاملة مثل :

أنـــا •••• أمـى

أو

عندما وبخنى أبى ••••

وتقضى التعليمات أن تستكمل الجملة بأى طريقة يختارها الطفل المفحوص ، ويفيدنا هذا الاختبار فى تقديم بيانات عن الاتجاهات الشعورية الواضحة عند الطفل ٠

تحليل العـاب الاطفال :

طريقة أخرى لجمع المعلومات عن الطفل هى أن يراقب الباحث سلوك الطفل أثناء لعبه سواء أكان اللعب جماعيا أم فرديا فقد يلاحظ أنه يلعب العابا فردية متنوعة فى فترة زمانية لا تتجاوز ساعة واحدة من الزمان (١) ٠ فقد يرتب العابه ثم يقذف بها ثم يعيد ترتيبها وقد يحطم جزءا منها ثم يتجه الى العاب جديدة ٠ كما أنه أثناء أدائه لالعابه قد يحادث دمية أو لعبة وقد يحدثها بصوت مسموع وقد يهمس لهـا ٠

وتعد هذه العملية أى عملية مراقبة سلوك الطفل أثناء لعبه ، مصدرا هامـا للمعلومات المتصلة بحياة الطفل ٠ وتعد اللعب والدمى ، أسلوبا بالـغ الاهميـة وحاسما لدراسة العلاقات العدوانية أو التعاونية المترسبة فى خيال الطفل ٠ وهذه اللعب مثل الدمى مصنوعة من المطاط أو الصلصال أو البلاستيك أو الاسفنج وقد تأخذ شكل أشكال بشرية أو حيوانية أو شكل تليفون أو بندقية أو قطع من أثاث البيت ٠ وقد يتدخل الباحث فى سـير اللعبة اما باصدار أحكام تشجيعية للطفل أو توجيه بعض الاسئلة لالقاء مزيد من الضوء على اتجاهات الطفل ومشاعره ٠

ويعتبر تحليل دميتى العروس والعريس أقـرب مدخـل لاستعمال المواقف البنائية كما استخدمها الانثروبولوجيون ٠ ويقوم هذا التحليل عـلى ملاحظة كيف يلعب الاطفال بالعرا س وما تمثله وما ترمز اليه ، وقد وجد الانثربولوجيون أن هذه اللعبة تعكس الصراعات الدائرة بين الاخوة فى الثقافات المختلفة ، كما تظهر هذه اللعبة مدى ما يعانيه الطفل من انفعالات أوديبية ٠ ومن أكثر الابحاث انتشارا عن لعبة العرائس فى الثقافات المختلفة دراسة هنرى بليجا Pilga ودراسـة

---

(1) Victor Barnouw : Culture andPersonality, HoMcwood, Illionis. Thporseg Press. 1936 p. 627.

ليندى عن التنشئة الاجتماعية (١) • وتعتمد هذه اللعبة على دميتين أحداهما تمثل الام والاخرى تمثل الاب الى جانب عدد من اللعب تمثل بقية الرفاق السن من الاخوة والاقارب والزملاء ، ويقدم الباحث للطفل بعض الدمى ليساهم فى بناء موقف معين ويسأل الباحث الطفل عن العلاقات المتبادلة بين قطع الدمى • وقدتبتر من دمية الاب بعض أعضائها كالذراعين أو الرجلين • وهذه الاعضاء قابلة للتركيب من جديد ثم الفصل أيضا • أما دمية الام وبقية الاطفالفمتكاملة التركيب ولا يمكن فصلها ويعطى الطفل مقصا وكرة وسلحفاة ميكانيكية وتعكس تحليلات تحركات الدمى وأفعالها عن رغباته وأمنياته •

ولكن الباحث عادة يواجه مشكلة تفسير لعب الدمى • وقد عبر دافيد ليندى نفسه عن عدم رضاءه عن هذا المدخل لصعوبة التسجيل • وتباين عدد الدمى واختلاف نوعها • والباحث عندما يهتم بمعرفة وملاحظة كيف يتعامل الطفل مع الدمى ومدى استجابته لتحركاتها والاسماء التى يطلقها عليها والعبارات التى تنطقها الدمى ومدلولاتها ومغزاها وطبيعة الموقف الذى تتفاعل فيه الدمى ، يهدف الى معرفة تعبيرات الطفل فى الموقف • فهو يعرف سلوكه العدوانى أو اتجاهاته التعاونية أو الانقيادية ورغبته فى التفاعل أو عدم التفاعل مع الاخرين ، ومدى ما يعكسه سلوكه مع الدمى من تعبير عن تسامح أو تساهل الوالدين معه ، أو عدم تساهلهما معه ، كذلك يفسر الباحث معنى العضو المبتور من جسد الاب • وتعبر كل هذه التصرفات عما يفكر فيه الطفل وفيما يتحدث واتجاهاته • وهذا الاختبار أكثر جدوى وأكثر فائدة اذا ما طبق على أطفال تقع أعمارهم بين الثالثة والخامسة كما أن هذا الاختبار أكثر نفعا مع البنت عنه مع الولد ، ولا جدوى من تطبيقه مع الصبى اذا ما تجاوزالخامسة (٢) • ويعتبر هذا الاختبار تجسيدا ملموسا لاختبار الصور الاجدى عند الكبار •

تحليل رسوم الاطفال :

ويمكن لنا من تحليل رسوم الاطفال أن نستخلص ما تعبر عنه شخصية الطفل

---

(1) Spain, David. On the use of projective tests for research. In Hsu Francais. (ed) psychological Anthropology. New edition. Schenkman publishing Corn 1972. p. 276.

(2) Yarrow, Leon, Interviewing children. In Mussen op cit p. 584.

كما تتأثر بالثقافة التقليدية • فالرسوم طريقة اسقاطية ، تعكس المضمون اللاشعورى لشخصية الطفل ، وتعكس لنا رسوم الاطفال وصورهم والالوان التى يستعملونها والرموز التى يرسمونها سواء أكانت شجرة أو منزلا أو شخصا أو حيوانا ، طبيعة علاقات الطفل ومكانته بين أطفال أسرته وحاجاته وعواطفه ، بل وتكشف الى حد ما عن مقدار ذكائه •

واستخدام هذا الاختبار محدود اذا ما قورن باستخدام الاختبارات (١) الاخرى • بيد أن تحليل رسوم الاطفال اختبار مفيد للغاية مع الاطفال الخجولين والذين قد يصعب عليهم أن يعبروا عن آرائهم بكلمات لسبب أو لاخر ، فالرسوم تعبير دائم عن مكنونات الشخصية • وقد قام بعض الانثروبولوجيين بجمع رسومات عديدة أثناء دراساتهم الحقلية وان كانت قلة منهم هى التى اهتمت بتحليل هذه الرسوم • ويرجع هذا الى الشعور العام بأن هذه الرسوم ان كانت تعبر عن شىء فهى تعبر عن انطباع الطفل وحدسه ، كما أنها تفتقد الصدق الموضوعى •

وقد حدث تقدم فى تحليل رسوم الاطفال فى الربع قرن الاخير ابتداء من دراسة بك Buck عن البيت والشجرة والشخص • ويدل الاختبار الاسقاطى لموتشوفس Mochovers عن رسوم الاشكال الانسانية الى الاتجاه الذى ينبغى أن يؤخذ به والاهتمام بالدراسات المقارنة الثقافية عندما نهتم بتحليل رسوم الاطفال •

ويهتم الباحث عند تحليل الرسومات بضبط الخطوط وحجم الشكل المرسوم وموضعه فى الورقة الاصلية وصلابة الاشكال والالوان التى يستعملها • ومن السهل كما يقول فيكتور أن نجمع مثل هذه الرسومات أثناء الدراسة الحقلية ولا يستغرق جمعها وقتا طويلا ولا تتطلب أدواتا كثيرة فهى لا تتطلب أكثر من ورقة وقلم رصاص أو قلم ملون أو طباشير ملون وتكاد تتوارى فى انظل مشكلة الاتصال اللفظى والكلمات •

وتقدم لنا رسومات الاطفال تعبيرا ثابتا عن الشخصية لانها لا تتأثر بشخصية الباحث كما هو الحال فى اختبار تفهم الموضوع وتعبر تعبيرا مباشرا عن الشخصية •

---

(1) Victor : Culture and personality. op cit. p. 277 - 280.

فالطفل عندما يرسم يعبر عن نفسه تعبيرا مباشرا تلقائيا على مستوى حسى أو حركى ٠ والطفل فى تعبيره عن نفسه بالرسم يعبر عما يمكن أن يطلق عليه الطابع القومى للثقافة السائدة فى بلده ٠

وقد قدم لنا واين دنيس تحليلا هاما عن رسوم الاطفال للاشكال الانسانية(١) ٠ وقد جمع واين مادته العلمية من ١٣ بلدا ٠ وتمثل أكثر من ٢٥ جماعة عرقيـة واقتصادية واجتماعية ٠ وكان محور البحث هو ما اذا كان فى مقدرة الاطفال أن يرسموا صورا للناس عن الجماعات التى يعجبون بها اذا ما طلب منهم ذلك ٠ وبين انباحث أنهم اذا فعلوا ذلك ، فهم يعكسون فى رسوماتهم القيم التى يؤمنون بها ٠

ومن الدراسات المشهورة عن الرسومات الخاصة بالاطفال ، تحليـل رسـوم الاطفال فى مجتمع الـورس Alorse وفرنسا وتشبوا Chippew وقد أعطى لاطفال الورس ورقة وقلما وطلب منهم أن يرسموا مـا يرغبون ومـا يشـاءون وجمعت الرسوم من ٢٣صبيا و ٢٢صبية ولوحظ الفرق بين الموضوعات المرسومة ٠ فقد أبدى الصبية اهتماما بالشعائر والموضوعات الغريبة بينما اهتمت البنات برسم الوشم على الوجوه والايدى ٠ وقد شكلت النباتات الجزء الاكبر من رسومات الجنسين وقد احتلت الحيوانات المرتبة التالية عند الذكور والاناث وقد احتلت الابنية المرتبة الثالثة من اهتمامات الجنسين ٠ وقد اهتم بالرسوم التى تدل على الكائنات البشرية نسبة لا تتجاوز ٧٪ عند الذكور وتنقص هذه النسبة الى ١٪ عند الاناث ٠ ولوحظ أن الاشكال الانسانية التى رسمها أطفال الورس قـد خلت تمامـا من الاعضـاء الجنسية بالرغم من معرفة أطفال الورس بالجنس معرفة تامة ٠ وقد بين دى بوا أن هذا الحذف يعكس اما قوة عقدة الخوف من الخصاء أو اللامبالاة بالجنس وهـذا الاعتبار الاخير هو الاكثر أهمية ٠

وتتناقض هذه النتائج مع نتائج مماثلة جمعت عن الاطفال الغربيين ٠ فالموضوع الاول المفضـل عنـد الاطفال الانجليز هو الكائنات البشرية أى الرسومات التـى تدل على أشخاص ثم المنازل ثم الاشجار ثم أخيرا الزهور ٠

---

(1) Spain David : On the use of projective tests for research. op cit p. 276.

أما عن الاطفال الفرنسيين فقد قامت مارتا دولفشتاين بتحليل رسوماتهـم واختارت بعناية بعض الصور التى عرضت فى متحف الفن الحديث فى نيويورك بيد أن هذه الصور قد رسمها أطفال موهوبون وليس بامكاننا أن نعتبرها مثالا لرسومات الاطفال الفرنسيين العاديين . وتتميز هذه الرسوم بالدقة البالغة فـى الرسم مع ميـل ظاهر الى قلة الحركة حتى أن المناظر الطبيعية الشاسعة قد قسمت فى هذه الرسوم الى مناطق صغيرة مما يدل على تفضيل للاماكن المغلقة . وتوضح لنا هذه الرسوم اهتمام عام بالسطح والتفاصيل الدقيقة والزخرفة مع استخدام الالوان بعناية ودقة . وقد غاب عن الرسوم كلها الحركة الانسانية القوية مما يدل عـلى ارتباط شديد بالسيطرة الصارمة التى يمارسها الاباء الفرنسيون على أطفالهم .

وعلى العموم فهذه الصور مملوءة بالاتجاهات المكبوتة والمتكيفة مع الاوضاع الجديدة وتكاد هذه الرسوم تتناقض مع رسوم الاطفال فـى انجلترا والولايـات المتحدة ، حيث نجد الامتداد الشاسع للمناظر الطبيعية والاهتمام البالغ بالحركات الانسانية العنيفة . ففى انجلترا تحتل رسوم لاعبى الكرة المرتبة الاولى أما فـى أمريكا فنجد رسوم الملاكمين ولاعبى البيسبول تحتل المركز الاول ، كذلك أيد تحليل رسوم الاطفال فى تشبوا chippew القول بأن الرسوم تعبر عما يمكن أن نسميه بالطابع القومى .

وثمة انتقادات كثيرة توجه الى تحليل رسوم الاطفال أهمها أنها غير مجدية مع الشعوب التى تجهل استخدام الورقة والقلم .

خاتمـــة :

ان اختيار طريقة البحث الملائمة لدراسة الطفل سواء أكانت المقابلة أم الملاحظة أم اختبارات الاسقاطية انما يعتمد على نوع المشكلة التى ندرسها ونـوع البيانـات المطلوب أن تجيب على الاسئلة المطروحة . ان المقارنة بين المقابلة وغيرها من أدوات البحث المستخدمة لدراسة الطفل تبين أن المقابلة وحدها لا تكفى ، كما أن الملاحظة وحدها لا تكفى ، ومن الضرورى أن نستعين بأكثر من أداة .

فاذا ما قارنا بين المقابلة والملاحظة التى تستخدم باستمرار لدراسة نمـو

الطفل نجد أن المقابلة تتميز بأنها تسمح بدراسة الظواهر الذاتية التى لا تخضع للملاحظة المباشرة مثل التطلعات والرغبات ومظاهر القلق كما أن المقابلة تساعدنا على فهم تاريخ حياة الطفل أكثر مما هو ممكن فى الملاحظة ٠

أما اذا ما قارنا المقابلة بالاستبيان المكتوب ، فتظهر لنا بعض مزايا المقابلة أهمها عدم فهم الطفل للاسئلة وعدم ادراك الطفل الكامل للموقف كذلك توفر لنا المقابلة بيانات أكثر عمقا ٠

وعلى العموم فعمر الطفل يساعد الى حد كبير فى جدوى الاداة المستعملة لجمع معلومات عنه ، وبخاصة فى المواقف التى تتطلب قدرة على التعبير اللغوى ٠ ووضوح العلاقة بين الباحث والطفل المبحوث يسهل لنا تيسير وتليين استجابة الطفل للباحث ٠ أن مشكلة تفضيل أداة على أخرى تعتمد على ما اذا كانت المشكلة تحتاج الى العلاقات الشخصية الوثيقة بين الباحث والطفل المبحوث ، واذا ما كانت هذه العلاقة تساهم مساهمة أساسية فى الوصول الى أدق النتائج ٠ كذلك علينا ألا ننسى أهمية رسوم الاطفال فى التعبير عن الطابع القومى السائد ٠

الفصل السابع

الوضع الراهن للدراسات المهتمة بالطفل فى العالم العربى

- حجم الطفولة ومكانتها ·
- الاتجاه السلفى ·
- اتجاه التحديث ·
- الدراسات التجريبية ·
- خاتمة ·

الوضع الراهن للدراسات المهتمة بالطفل فى العالم العربى

ولكن أين تقع الدراسات المهتمة بالطفل العربى من هذا الجهد العالمى ؟ • وخاصة وأن الاطفال فى كافة انحاء الوطن العربى يشكلون ثقلا لا يستهان به ، وعبئا يتزايد باستمرار يكاد يلتهم جهود التنمية الاقتصادية فى بعض البلدان العربية التى لا تعتمد على النفط •

جـــــدول رقـــم (١)

نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عاما فى عام ١٩٧٥ (١)

البلـــــد	٪
الجزائـــر	٤٨٪
ليبيـــا	٤٤٪
المغـــرب	٤٤٪
الســودان	٤٥٪
مصـــر	٤١٪
العـــراق	٤٨٪
الاردن	٤٩٪
الكويت	٤٨٪
لبنـــان	٤٣٪
عمـــان	——
ســوريا	٤٥٪
الامـــارات	٣٤٪
اليمن الديمقراطية	٤٥٪
اليمن الشماليـــة	٤٥٪
السعوديـــة	٤٥٪
قطـــر	——
البحـــرين	٤٤٪

---

(1) The Population Reference Bureau : World population growth and Response. 1965 - 1975. A Decade of global action. Washington. A publication of the population. Reference Bureau. 1976. pp. 266 - 679.

١ - حجم الطفولة ومكانتها فى العالم العربى :

وتكشف لنا البيانات الاحصائية المتاحة المبينة فى جدول رقم (١) أن ما لا يقل عن خمسى عدد السكان فى معظم البلدان العربية تقل أعمارهم عن خمسة عشر عاما ، وأغلبهم عالة على الاقتصاد القومى ٠

وهذه النسبة لعدد الاطفال فى البلاد العربية أعلى بكثير من نسبة عدد الاطفال الى الكبار فى العالم كله ٠ الذى يبلغ ٣٦٪ من عدد سكان العالم ، وتكاد تبلغ نسبة عدد الاطفال فى البلدان العربية ضعف نسبة عدد الاطفال فى فرنسا (٢٤٪) والنمسا (٢٤٪) وبلجيكا (٢٣٪) ، وبلغاريا (٢٢٪) ، وان كانت تقرب مع نسب الاطفال فى بلدان العالم الثالث (١) ٠

وتدل هذه النسبة العالية لعدد الاطفال العرب على أن سكان العالم العربى وخاصة فى الريف والبادية لديهم رغبة شديدة فى الانجاب ، فالاطفال« نعمةمن الله» ، وهممصدر لزيادة دخل الاسر الفقيرة ، كما أن الاطفال مصدر للقوة والتفاخر ويتوقع الوالدان عادة من أولادهما أن يكونوا سندا ودعامة لهما فى الكبر أو عند المرض (٢) ٠

والحقيقة أن معظم الاسر فى العالم العربى تفتقد الدافع الاقتصادى للحد من النسل اذ أن تكاليف اشباع حاجات الاولاد الصغار فى الدول المنتجة للبترول لا تمثل عبئا يذكر ، أما أغلبية الاسر فى غير هذه الدول فتكاليف اشباع حاجات الاطفال كما يتصورونها أقل من الدخل الذى يحصلون عليه من تشغيلهم لان العائد من تشغيل الصغار فى رأيهم يوفر لهم زيادة فى الدخل ٠ ومن ثم فالانجاب لدى هذه الاسر وراءه ربح اقتصادى ٠ وبجانب هذا العامل والشعور الدينى القوى الذى يحرم الحد من النسل ، فهناك العامل الاجتماعى الذى يرفع من شان العائلة الكبيرة العدد

---

(1) Ibid.

(2) Pati Rapheal : The Family in, Golden River to Golden Road. Society, culture, and Change in the Middle East. Philadelphin, uni of Penn. pp. 84 - 114.

بين العائلات الاخرى ، ويربط الفرد برباط وثيق طوال حياته بعائلته الابوية ، وأسرتـه ٠

ولكن فترة الطفولة فى عالمنا العربى قصيرة ، ولا يسعد بها أطفالنا ، كمـا يسعد بها الاطفال فى بلدان أخرى ٠ فالاطفال فى أغلب البلدان العربية ، ومعظم بلدان العالم الثالث يعبرون فترة الطفولة عبورا سريعا ، ولا يتمتعون بالمزايا التى تقدم لاقرانهم فى البلدان الاوروبية والولايات المتحدة ٠

ويحاول الوالدان فى مرحلة مبكرة ابتداء من بداية طور الطفولة المتأخر ٠ تنشئة أولادهم على المثال الذى يؤمنان به ، فهما يطلبان منهم أن يكونوا حسنى الخلق ومتواضعين ،ويحترمون كبار السن ، ومطيعين ونافعين ٠ وهذه الاساليب فى التربية تؤكدـكمايقول بيرجرـ (التربية الابوية والدينية التى تحض على قبول ما يهيأ للطفل من احتياجات الحياة وتشجع على السلوك الطيب) (١) كما تحض على طاعة كبار السن واحترامهم ٠

فالطفل المثالى عند أغلب الآباء والامهات العرب هو الطفل المؤدب المطيع النظيف المسالم الامين ، وقد كشفت الدراسـات المقارنـة التى أجريت على الاطفال فى مدينة بيروت أن ثمة فرقا بين الام المسلمة والام المسيحية الارمنية فى تشكيل الابن المثالى ، فالطفل المسلم المثالى هو من حكمت الام قبضتها عليه ٠ أما اطفل المثالى الارمنى ، فهو من يتمتع بأكبر قدر من الاستقلال فى سلوكه (٢) ٠

وأغلب هؤلاء الاطفال الصغار فىالعالم العربى يعيشونفىظروف اجتماعيةسيئة، فالخدمات التعليمية والصحية فى طور الطفولة غيركافية وغير متيسرة .(٣)، وهناك أسر كثيرة تعانى من مشكلات الامية والجهل والمرض، بجانب المعاناة الاقتصادية ٠ وهناك بعض الاطفال يعيشون فى ظروف عائلية صعبة ، وأحيانا ما يدفع بهم الى

---

(1) Berger Moore : The Arab World To day. N.Y. Doudleday. 1962.

(2) Prothro, Edwin Terry : Child Rearing in the Lebanon. In Ailon Shiloh, ed. people and Cultures of the Middle East pp. 270 - 289.

(٣) جامعة الدول العربية ٠ ندوة تربية الطفل فى السنوات الست الاولى التقرير النهائى ٠ جامعة الدول العربية ٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم٠ ادارة التربية ٠ الخرطوم ١٩٧٧ ٠

سوق العمل سواء اعمل الزراعى أو الحرف اليدوية ، أو الخدمةفى البيوت (١) فى
سن مبكرة ٠

وتؤكد لنا البيانات الاحصائية المتاحة عن أعداد الاطفال الذين التحقوا بالمدارس الابتدائية فى العالم العربى ، أن نسبة استيعاب الاطفال فى المدارس الابتدائية تتراوح بين ١٣٪ فى موريتانيا ، وتعلو الى ٣١٪ فى المغرب ٠ وتزيد عن نصف الاطفال فى بلدان كثيرة ، رغم تزايد أعداد تلاميذ المرحلة الابتدائية عاما بعد عام ابتداء من عام ٦٥/٦٦ الى عام ٧٤/٧٥(٢) ٠

ويعانى الاطفال الذين يعيشون فى المدن ، وخاصة فى الاحياء القديمة أو المناطق المتخلفة (Slum area) من ضيق المسكن ، مما يحد من تحركاتهم ونشاطهم وأكثر هؤلاء الصغار يعانون من حرمان ثقافى ، أما الاطفال فى الريف فحياتهم أكثر قسوة ، وأشد حرمانا ، سواء من الخدمات التعليمية أو الثقافية أو الصحية ٠ واذا كان أغلب هؤلاء الاطفال يعانون من قلة الخدمات التى تشبع احتياجاتهم الاجتماعية والنفسية والصحية ، فهناك أثار اجتماعية فادحة الخطورة تترتب عن أمية الوالدين وخاصة الامهات(٣) ٠فى عالم متغير يسيطر عليه التفكير العلمى ، وانتاج الآلة ، وتتجلى خطورة أمية الامهات فى انتشار بعض أساليب التنشئة الاجتماعية التى تكون شخصيات انفعالية تواكلية غير قادرة على الصمود فى عالم يحكمه العلم ويسيطر عليه التفكير المنطقى ٠

وقبل أن نعرض لبعض الدراسات التى قام بها بعض الباحثين العرب والاجانب عن الطفل العربى ، نبين أن ثمة اتجاهين أساسيين يحددان مسار الدراسات المهتمة

---

(١) المرجع السابق ٠

(٢) المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة - نشرة الاحصاءات التربوية فى الوطن العبى ١٩٧٤/١٩٧٥ ٠ القاهرة ١٩٧٧ ٠

(٣) جامعة الدول العربية : حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربى ٠ التقرير النهائى ٠ جامعة الدول العربية ٠ بيروت ٠ الادارة الثقافية ١٩٧٠ ٠

بيانات احصائية عن أعداد اسكان وأعداد الاطفال (٥ ــ ١٥) (٢)

البلــد	عــدد السكان	عــدد الاطفال (٥ ــ ١٥)	٪ لعدد الاطفال الى عدد السكان	أعــداد أطفــال المدارس الابتدائية
الجــزائر	١٦ر٧٩٢ر٠٠٠	٨ر٤٤٠ر٠٠٠	٥٠ر٢٪	٢ر٨٩٣ر٠٠٠
مصــر	٣٧ر٥٤٣ر٠٠٠	١٦ر١١٠ر٠٠٠	٤٢ر٨٪	٥ر٧٦٩ر٠٠٠
عمـــان	٧٩٢ر٠٠٠	٣٠٠ر٠٠٠	٣٧ر٦٨٪	٤٨ر٦٤٩
اليمن الشمالية	٦ر٦٦٨ر٠٠٠	٢ر١٢٢ر٠٠٠	٤٦ر٨٢٪	١ر٠٤١ر٠٠٠
الاردن	٢ر٦٨٨ر٠٠٠	١ر٣٠٩ر٠٠٠	٤٨ر٦٩٪	٤٤٧ر٠٠٠
الكويت	١ر١٨٨ر٠٠٠	٢٧٥ر٩٥٨	٢٣ر٢٢٪	١٠٢ر١٥٢
لبنـــان	٢ر١٢٦ر٣٢٥	٦٠٥ر١٤٥	٢٨ر٤٥٪	٢٦٠ر٠٠٠
ســوريا	٧ر٢٥٩ر٠٠٠	٣ر٤٦٤ر٠٠٠	٤٧ر٧٢٪	١ر١٨٧ر٠٠٠
الامارات	٣٤٥ر٠٠٠	١٢٠ر٠٠٠	٣٤ر٧٨٪	٤٠ر٢٢٩
اليمن الديموقراطية	١ر٦٦٠ر٠٠٠	٤٦٢ر٢٩٣	٢٧ر٨٤٪	١٩٦ر٤٦٦
ليبيــا	٢ر٢٨٧ر٧٦٩	٦٦٣ر٦٣١ (٥ـ١٤)	٢٩٪	٥٢٢ر٤٧٣
موريتانيــا	١ر٣١٨ر٠٠٠	٣٤٢ر٠٠٠ (٥ـ١٤)	٢٥ر٩٤٪	٤٧ر٠٠٠
المغــرب	١٦ر١٦٥ر٠٠٠	٤ر٥٤٥ر٠٠٠ (٥ـ١٤)	٢٨ر٠٥٪	١ر٤١٣ر١٩٣
تــونس	٥ر٤٤٤ر٢٠٠	٦ر٥٥١ر٢٠٠ (٥ـ١٤)	٢٨ر٤٩٪	٨٩٨ر٤٦٤
البحرين	٢١٦ر٠٧٨	٦٤ر٣٦٩ (٥ـ١٤)	٢٩ر٧٨٪	٤٠ر٤٢٥
العــراق	١٠ر٤٧٢ر٥٨٠	٣ر٠٤٨ر٤٧١ (٥ـ١٤)	٢٩ر١٠٪	١ر٤٠٨ر٩٢٩
الســودان	١٨ر٥٤٣ر٠٠٠	٨ر٨٧٦ر٠٠٠	٤٧ر٨٦٪	٢ر٩٧٣ر٠٠٠
الصــومال	٣ر١٧١ر٠٠٠	١ر٥٠٥ر٠٠٠	٤٧ر٤٦٪	٧٤١ر٠٠٠
ديبــوتى	٢٢٠ر٠٠٠			٧ر٧٠٠
السعوديــة	٨ر٩٦٦ر٠٠٠			٥٧٧ر٧٣٦
قطـــر	١٨٠ر٠٠٠			٢٠ر١٥٢

(٢) حصلنا على البيانات الموضحة بهذا الجدول من مكتب اليونسيف ببيروت بناء على خطاب صادر منه فى ٨ سبتمبر ١٩٧٨ .

بالطفل العربى ، الاتجاه الاول اتجاه الدراسات التجريبية ، والاتجاه الاخر اتجاه الدراسات النظرية التأملية وينقسم هذا الاتجاه الى ثلاثة تيارات أساسية :

التيار الاول :

التيار السلفى ، ويؤكد أهمية تربية الطفل وفق التراث والتعاليم الاسلامية.

التيار الثانى :

هو تيار الافكار المستحدثة ، ويرى أنصار هذا التيار أن تغيير الواقع العربى يستلزم اعادة تربية الطفل العربى ، وفق أساليب تربوية جديدة ، ويستلهم هذا التيار أفكاره من النظريات الغربية السائدة فى العالم المعاصر .

التيار الثالث :

التيار غير الفعال ويؤمن أنصار هذا التيار بالكلمات الحلوة ، وعقد اللجان ، وكتابة المقالات التى تعكس التفكير الانفعالى الآنى .

أما الاتجاه التجريبى ، فيهتم بدراسة الواقع الذى يعيش فيه الطفل العربى دراسة تجريبية ، ويدور هذا الاتجاه فى ثلاثة محاور . المحور الاول : ويدرس الاساليب الوالدية فى تنشئة الصغار ، والمهتمون بهذه الدراسات هم الاكثر عددا . والمحور الثانى : ويهتم بدراسة الطفل باعتباره عنصرا أساسيا فى النسق الاجتماعى، والمهتمون بهذه الدراسات يدرسون قيم الاطفال ، مثلما يدرسون أثر التليفزيون على قيم الطفل. أو يدرسون لغة الطفل. كما أعطى قدر من الاهتمام لدراسة سيكولوجية الطفل فى بعض البلدان العربية . والمحور الثالث : وقد نال اهتماما عابرا وضئيلا، ولم ينل حقه من اهتمام الباحثين ، ويهتم هذا المحور بأثر التعليم الرسمى على الطفل ، والاثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على التسرب من المدرسة ، وما يحدثه التعليم من ظهور ظاهرة صراع الاجيال بين الاباء الاميين والابناء المتعلمين .

وقد شملت الدراسات التى اهتمت بالاطفال العرب ، الاطفال الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى وأطفال الريف والحضر (١) ٠

وبجانب هذه الدراسات التى حاولت أن تفهم الطفل العربى ، أقيمت بعض حلقات البحث لسماع أراء المتخصصين وغير المتخصصين فى الطفل ، مثل تلك الحلقة التى عقدت فى بيروت ١٩٧٠ ، وبينت أن ثقل الاجيال الصغيرة فى الدول النامية والمتخلفة من الناحية السكانية يمثل عبئا على الاعمار المنتجة بالمقارنة الى الدول الصناعية ، وكذلك الدراسة التى عقدت فى السودان عن العناية بالثقافة القومية

---

(١) دراسة ديمارت عن العمل لطفل ما قبل المدرسة ، والدراسة التى قام بها فريق من جامعة هارفارد لدراسة الاعراض المتزامنة للاطفال الفقراء فى البيئة الحضرية فى تونس ٠ وقد درس هذا الفريق الموضوعات الآتية :

أ - كيف يتغذى الفقراء فى البيئة الريفية ٠

ب- هل هناك أعراض متزامنة للاطفال الفقراء ٠

جـ- هل يمكن اعداد الطفل للتغير وكيف ؟ هل هناك أية تكاليف اجتماعية خاصة بالنسبة لوضع الطفل فى مجتمع متطور نتيجة لتلك التغيرات الاجتماعية مثل ارتفاع معدل جنوح الاحداث ٠

و- يؤدى النقص فى التغذية بين الاطفال الى عواقب باثولوجية منها :

١ - تأخر نمو الطفل ٠ ٢ - اضطراب سلوك الطفل ٠ ٣ - مايحدث من تغيرات فى البناء العضوى والقدرات العقلية ٠ ٤ - الاثار الاجتماعية لسوء التغذية ٠

ومن الدراسات الهامة التى أجريت نتيجة التسرب من المدرسة تلك الدراسة التى أجريت فى تونس عن الصعوبات التى تواجه الاطفال والشباب فى الوطن العربى عند تعلم مبادىء استعمال الادوات والالات الحديثة فى القطاعين الصناعى والزراعى ، ودراسة سمير خلف عن جنوح الاحداث فى بيروت ٠ مكتب اليونيسيف ٠ بيروت ٠

للطفل العربى (١) • وعرض فيها نتاج الاستبيان الذى قامت به الجامعة العربية لبيان الجهود الموجهة لثقافة الاطفال فى الوطن العربى (٢) •

ونحن عندما نعرض لبعض الاتجاهات التى أدلت بدلوها فى مجال الطفولة فى العالم العربى ، فاننا نعرضها عرضا تحليليا ، ولا نقف منها موقف النقد أو التقييم ، قاصدين من ذلك اعادة التأكيد بأن الاهتمام العلمى بالطفل يعنى الاهتمام بالمستقبل ، ومحاولة لدرأ بعض القصور الذى يعوق نمو الطفل اجتماعيا ونفسيا ، وذلك كله من أجل رعاية الاطفال أفضل رعاية ، والعمل على تحسين مستقبلهم ، وزيادة رفاهيتهم وبناء مجتمع أفضل •

ويهمنا أن نقول ان أنصار الدراسات المهتمة بالطفل العربى يتزايد عددهم عاما بعد عام نتيجة تزايد الاهتمام بالطفل والاطفال وطور الطفولة،ولكن كلا منهم يدور فى فلكه ، بعيدا عن أفلاك الاخرين ، ولا رباط بينهم لغياب الوحدة الفكرية التى تجمع بينهم ، بل قد لا يعرف الباحث المهتم بالطفل أبحاث الاخرين ودراساتهم هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فأغلب البحوث العربية فى مجال الطفولة تعتمد على الورقة والقلم ، لجمع البيانات والمعلومات الخاصة بالاطفال ، أما الابحاث التى تعتمد على القياس أو الملاحظة بالمشاركة فقليلة •

وأغلب الابحاث التى تهتم بالطفل العربى ، لا تستند على نظرية مستوحاه من البيئة العربية ، تعكس أحوال المجتمع العربى وظروفه فى الآونة الاخيرة ، ولا تستلهم هذه الابحاث أفكارها من مشكلات محلية أصيلة تحاول تفسيرها • كما لا

---

(١) الحلقة الدراسية حول الطفولة والشباب • فى التخطيط والانماء فى الدول العربية بيروت سنة ١٩٧٠ م •

(٢) جامعة الدول العربية : الادارة الثقافية • حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربى • المرجع السابق •

يحاول أغلب الباحثين جمع بيانات وشواهد وصفية أو اجراء دراسات استطلاعية عن الواقع المحلي باعتبارها خطوة نحو بناء نظرية تعبر عن واقع الطفل العربي ، بل يحاول أغلبها أن يستنبط فروضا من نظريات غربية ، سواء النظريات التي تعكس واقع المجتمعات الرأسمالية أو المجتمعات الاشتراكية ، ليثبتها أو يفندها ، وفي الحقيقة فتلك النظريات تعبر عن مجتمعات تختلف عنا في الدين واللغة والعادات والتقاليد ، والتغيرات التاريخية ، بل مدى التطور الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي ٠

ورغم أن صورة الدراسات المهتمة بالطفل العربي ، لم تحدد بعد تحديدا واضحا ، فاننا نرى أن هذه الصورة صادقة وطبيعية في تلك المرحلة من مراحل تطور العلوم السلوكية في الوطن العربي ، فهي مرحلة أشبه بمرحلة التحول ، وتسبق بداية مرحلة تسودها علوم سلوكية أصلية ناضجة تعبر عن الواقع العربي وتفسر مشكلاته تفسيرا أصيلا ٠

وسنحاول الان أن نعرض للاتجاهات الثلاثة التي تهتم بالطفل العربي في المرحلة الحالية من تاريخنا :

الاتجاه السلفي :

يؤكد الاتجاه السلفي في التربية ، أهمية تربية الاطفال على منهاج تعاليم الاسلام ، بعد أن انحرف المسلمون في معاملاتهم عما ينادي به القرآن والسنة (١)٠ ويهتم هذا الاتجاه بتنشئة الشخص المسلم من المهد الى اللحد على أسس اسلامية ، وفي ضوء المبادىء التي ينادي بها الاسلام في القرآن والاحاديث النبوية ، واقتداء بسلوك النبي محمد عليه الصلاة والسلام ٠ويهدف أصحاب هذه الدعوة الى تنشئة الطفل تنشئة اسلامية ، وتكوين الانسان المسلم المتكامل جسمانيا وعقليا وروحيا وأخلاقيا في ضوء مبادىء الاسلام ٠ ويقتدي هذا الانسان بتعاليم الاسلام في عقيدته ، وفي عباداته واخلاقه ، ومعاملاته ، وفي نظام الحياة اليومية ، ويؤمن أنصار هذا الاتجاه بأن التربية الاسلامية الشاملة لا يمكن أن تقوم في ظل حكم

---

(١) مقداد يالجن بن محمد علي : (فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية) ٠ رسالة دكتوراه ٠ جامعة القاهرة ٠ كلية دار العلوم ١٩٧٥ ٠

غير اسلامى ، وهذه التربية الاسلامية ليست وظيفة المدرسة وحدها ، سواء المدرسة الابتدائية أو الجامعة ولا تقتصر عليها بل تبدأ التربية الاسلامية قبل المدرسة وتقوم بها الام من لحظة الميلاد والحضانة على أن يعاونها الاب فى السنوات الاولى ثم يتولى التربية بمفرده بعد أن يستغنى الطفل عن حضانة الام ٠

ونجاح عملية التربية الاخلاقية ودوام أثرها متوقف على وعى الوالدين عامة والام خاصة ٠ فحضانة الطفل فى يد الام لانها أكثر رفقا وعطفا وهى أكثر قدرة على تدريب الطفل على السلوك المستقيم طوال فترة الحضانة ٠ ومن مسئوليات الام تكوين عاطفة حب الفضيلة عند الطفل وكراهية الرذيلة ٠

وانصار التربية الاسلامية يستندون فى دعوتهم الى ايات قرآنية عديدة ، تؤكد أهمية تطهير النفس من جميع الرذائل الاخلاقية ، والارادات الشريرة ، كما تدعو الى تنمية نزعات الخير والعمل الصالح عند الافراد ، وهم يقتدون بالرسول الذى قدم المثال فى تربية الصغار ، اذ كان يعود الاطفال الذين نشأوا فى بيته على بعض المبادىء فى الآداب ، مثل آداب الاكل ، وكان يأمر بتعويد الصغار على بعض الواجبات مثل الصلاة والصوم ٠

ويهدف أنصار هذا الاتجاه الدينى فى تربية الاطفال الى تعريف الطفل بعقيدته الاسلامية وعبادته وقواعد سلوكه وآدابه (١) ٠ وهم يشددون على تعريف الطفل المسلم باداب الاستيقاظ من النوم ، واداب الوضوء واداب قضاء الحاجة ، واداب لبس الملابس وخلعها ، واداب المائدة واداب النوم ، واداب الدخول والخروج من المنزل واداب السفر ، واداب السوق ، واداب الطريق ، واداب الدرس والتعلم واداب الزيارة واداب الحديث ٠

ويبغى أصحاب هذا الاتجاه من ذلك ، جعل الطفل المسلم انسانا سويا ، قوى الايمان بربه ، نقى الضمير ، قادر على احتمال أعباء الحياة ، بحيث يكون مؤمنا صالحا يرتبط ايمانه بقدرة الخالق على فعل كل شىء ، وبذلك فعليه أن ينمى ما وهبه الله من نعم العمل ، وأن يكون رحيما حتى لا ينفض الناس من حوله ، ويؤكد السلفيون على ضرورة توعية الطفل المسلم بتاريخ الامة الاسلامية ، وتبصيره بأمجادها

---

(١) يوسف العظم : منهاج الطفل المسلم : مجهول الناشر وسنة الطبع ٠

وبطولاتها ، وما حققه المسلمون من تقدم فى شتى المجالات ، ليتكون فى الطفل شعور قوى بالانتماء لهذه الامة ·

وتقوم هذه التربية الاسلامية على القواعد التالية :

١ – تنشئة الانسان الصالح ، والاهتمام بجسده على أسس علمية حتى ينشأ قويا سليما (١) معافا ، باعطاء مزيد من الاهتمام للتغذية والرياضة ·

٢ – هداية روحه حتى يرتبط بالله ، وتأديب روحه ، وتهذيب نفسه على الالتزام بالاخلاق القرآنية· ولهذا يجب علينا أن نجعل الطفل يحب الله ويحب المبادىء الاخلاقيةالاسلامية باعتبارها أوامر الهية،وكماقويتعنده عاطفة حبالله،وتكون عنده عاطفة الخوف من الله فى معاملاته ، كما يتعين علينا أن نوعى الطفل فى كلمناسبة أنجميع النعم فى هذه الدنيا هى نعم الله خلقها رزقا للعباد ، ومن المهم للمربى أن يكون عند الطفل عاطفة حب الخالق ، ومراقبته فى أفعاله وأعماله وأقواله ، وبذلك يتعود فعل الخير ، وحب الناس ، والعمل على نفعهم وحب الحياة ·

٣ – الاهتمام بتنمية عقل الطفل ، بتدريبه على التفكير السليم ، ودقة الاستنتاج، وتقبل النقد ، ويرى هؤلاء السلفيون ضرورة تشجيع الاطفال على اللعب ، الذى يتخذ وسيلة لتنمية الشعور بالاخوة والمساواة والمودة بين الاطفال ، فاللعب بأنواعه وأشكاله المختلفة ينمى عند الاطفال المبادىء الاخلاقية من الصغر ومعنى التعاون والمساواة ، فهو يجعل أبناء الطبقة العليا يلعبون مع أبناء العوام ويحول دون الشعور بالتمايز بين أبناء الشعب ، ويجدون فى الرسول قدوة حسنة ، عندما كان يشجع على ذلك بطريق غير مباشر ، ويترك أحفاده يلعبون مع صبيان أفراد المجتمع وبناته ·

٤ – ضرورة ترغيب الطفل فى الفضائل بالثواب العاجل فى هذه الدنيا ، اذ من الضرورى أن يتعود الطفل المبادىء الاخلاقية ، وأن يمارسها منذ الصغر ، حتى تصبح لديه شيئا مألوفا ، وتصدر عنه تلقائيا ·

---

(١) مقداد يالجن : فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية · المرجع السابق ·

ويؤكد السلفيون أن التربية الاسلامية تهتم بالجسد والروح والعقل ، لتكوين الانسان المتكامل ، ولا تقوم هذه التربية على الالزام والقهر ، بل تسعى الى توحد الطفل مع القيم والمبادىء الاسلامية بالمحاكاة والتقليد لولى الامر ، فالطفل يتطبع دائما بطابع الاهل وعاداتهم ، وهو يقتدى دائما بالقدوة الحسنة منهم ، ويتاثر بقدرتهم على الوعظ واثارة العواطف والنهى عن المنكر ، وأسلوبهم فى الترغيب والتحذير • ويؤكد أنصار التربية الاسلامية ضرورة معاملة الطفل ، بعد تجاوزه مرحلة الطفولة ، وتمتعه بهذه المرحلة ، بحزم يزداد شدة كلما كبر • فالزجر قد يكون ضروريا ، اذا استلزم الامر العقاب ، اذ أن التربية الاسلامية كما عرضنا – ترى عدم التساهل مع الصغار ، وألا نغالى فى التشدد معهم • وعلى الآباء أن يعاملوا أطفالهم بلطف ولين ، وأن يساوا بينهم ، وألا يفضلوا ابنا على آخر ، وأن يعدلوا بين أولادهم وبناتهم •

ويؤكد السلفيون أن مبادىء التربية الاسلامية المثلى المستوحاة من كتب التراث ، لا تفصل بين التربية الدينية والتربية الدنيوية ، وهم يدعون الى أفكارهم ومبادئهم وينشرون دعوتهم من خلال الكلمة المطبوعة والدروس العملية ، سواء بنشر المجلات والكتيبات أو افتتاح أندية المسلم الصغير التى تلحق ببعض المساجد ، ليعلموا الطفل أركان الاسلام الخمسة ويعرفونه على العقيدة الاسلامية فى ضوء تفسير علمائهم ، وهم يسترشدون فى دعواتهم بآيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ويقتدون بالرسول فى معاملاته مع أحفاده وجيرانه •

ونرى أن أهم أفكار هؤلاء السلفيين ، تأكيدهم على ربط العقيدة بالسلوك ، فكل سلوك يصدر عن المسلم لابد أن يستند على مبادىء العقيدة الاسلامية، وأن هذه العقيدة ، هى التى تبيح أداء سلوك معين باعتباره خيرا ، وتحرم سلوكا اخر باعتباره رذيلة ، ولكن المهم فى نظرنا هو كيف نفهم الطفل العقيدة الاسلامية ؟ •

ان الشعب المصرى شعب مؤمن بالفطرة ، ولقد أثبتت الدراسات التجريبية أن هناك اجماعا واضحا على أن أطفالنا فى حاجة الى التعرف بمبادىء دينهم وأن قصور الاسرة والمدرسة ووسائل الاعلام عن تعريف الاطفال بالمعلومات الدينية الكافية من أهم العوامل التى ساعدت على تفاقم المشكلات السلوكية والاخلاقية التى يعانى منها

شباب اليوم (١) · ولذا فمن المهم أن نربى أولادنا تربية دينية باعتبار أن (الدين منهج الهى للحياة فى مجتمعنا) (٢) ، وأن الدين يلعب دورا هاما فى حياة الافراد ، بل ان الاطفال أكثر قبولا للافكار والعقائد وتأثرا بها ، وخاصة العقائد الدينية ، ولكى تصبح التعاليم الدينية حقيقية ومثمرة ، وليست مجرد تعاليم لفظية مجردة ، يجب أن يتبـــع تفسيرها نماذج عملية للسلوك · كما ترجع أهمية ادماج العقيدة الدينية لدى الطفل أنها تعطى الطفل تصورات عن الشر والخير والكذب والفضيلة والرذيلةوالسماحوالوطنية والفداء· والدين فى مجتمعنا وكل البلدان الناميـــة وسيلة ضرورية من وسائل الضبط الاجتماعـــى ، ومنبع للمعايـــير الاجتماعيـــة والعواطف الانسانية النبيلة ، وهو ضرورى لانه يجمع الافراد حـــول قيم معينـــة وغايات عامة · والمشكلة الاساسية فى أن تحقق التربية الدينية غرضها ، هـــى كيف نبسط المفهومات الدينية لاولادنـــا ، وكيف نربط هـــذه المفهومـــات بالتحـــولات الاقتصادية والاجتماعية ، والتغييرات التكنولوجية التى تحيط بها ، ومن يتـــولى التربية الدينية لاولادنا فى القرن الرابع عشر الهجرى ؟ ·

٢ ـ اتجـــاه التحديث :

يعكس هذا الاتجاه الارصاهات الفكرية التى يعانى منها المثقف العربى، ويؤمن أنصار هذا الاتجاه بأن أية محاولة لتغيير واقع المجتمع العربى (٣) · تتطلب اعادة تغيير أساليب التربية بجانب أحداث تغييرات أساسية فى البناء الاجتماعى ، اذ أن أفضل طريقة لمعرفة مستقبل بلد ما ، هى أن نعرف كيف يعامل أطفالـــه ، وكيف يعنى بهم ، اذ أن أساليب التنشئة فى السنوات الاولى ، تمهد الارض لنمو شخصية ناضجة سوية ·

ويرى أنصار هذا الاتجاه أن أغلب الافكار التى تتحكم فـــى أســـاليب تنشئة الاطفال هى الافكار المتوارثة من الجيل الماضى ، وان كان ثمة تغير طفيف قد حدث

---

(١) جامعة الاسكندرية : الطفل المصرى فى اطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية التقرير الاول لابحاث اعادة بناء الانسان المصرى · ١٩٧٩ · ص ٦٢ ·
(٢) سيد قطب : هذا الدين ـ القاهرة ـ دار الشروق · ص ١٤ ·
(٣) هشام شرابى : مقدمات لدراسة المجتمع العربى · بيروت طبعة منقحة وموسعة الاهلية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٧ ·

فى أساليب تغذية الصغار وفطامهم،وتدريبهم علىأداء بعض الوظائف الفيزيولوجية كذلك حدثت بعض التغيرات فى أساليب مكافأة الصغار وعقابهم ، اذ أن التغير الذى حدث فى البناء المادى فى وطننا العربى نتيجة انتشار عناصر الثقافة الغربية أو شرائها بمعنى أدق ، لم يقابله تغير مماثل فى القيم والمعايير الاجتماعية التى بقى أغلبها جامدا بلا تغيير ٠

هذا الجمود فى البناء الفوقى الذى نتج عنه تحجر أغلب أساليب التنشئة وبقائها تخلد ذكرى الاجداد ، أدى الى عجز المجتمع عن اشباع الحاجات العضوية والاجتماعية والنفسية لاطفاله ، ووضع الاطفال فى وضع المظلومين ، فاصبحوا فئة مظلومة ، ضحية الجهل وسوء المعاملة ، أما لاسباب اقتصادية وأما لامية الآباء والامهات ٠ ويؤدى هذا الوضع الذى يعيش فيه أطفالنا الى عجز مجتمعنا عن بلوغ طاقاته ٠

وهذا الظلم الاجتماعى الواقع على أطفالنا انما هو نتيجة طبيعية ، وان كانت مرضية للظروف الحالية التى تعيشها العائلة العربية ، اذ تدور العائلة العربية حول البالغين أكثر مما تدور حول الاطفال ، ويكتسب الطفل العربى سلوكه من خلال العائلة ، وبواسطتها كيفما اتفق وبصورة آلية ، بمعنى أن الابوين يفتقدان الهدف الواضح فى تربية أولادهما ، فالاباء والامهات لا ينشئون أولادهم وفق نظام تربوى واضح أو من أجل تحقيق خطة معينة ، بل هم يربون أولادهم حسبما ربوا هم منذ أكثر من ربعقرن قرن ، (أقلب القدرة على فمها تطلع البنت لامها) ، أو (الولد لخاله) وكأن الزمن ساكن والقيم جامدة ، مما يستلزم بقاء أساليب التنشئة التقليدية خالدة ومسيطرة فى مواقف التوجيه والارشاد ٠ والصورة التى تميز الابوين ، هى أنهما لا يحكمان العقل وخاصة فى المواقف التى تتطلب الانضباط ولا يلجآن الى التروى والحكمة أو التهديد بسحب الحب ، بل يعيش الطفل فى مثل هذا الموقف فى مناخ مشحون بالتوبيخ والصراخ والاستهزاء والايذاء البدنى ٠

ويرجع شرابى الوضع المؤسف الذى يعيش فيه الطفل العربى ، وقصور أساليب التنشئة الوالدية الى جهل الامهات ، والامية التى يعانى منها هؤلاء الامهات ، سواء أكانت أمية القراءة والكتابة أو أمية الثقافة ، فالامهات العربيات يقع على كاهلهن مسئولية تنشئة الصغار ، ولكنهن لا يؤدين هذه الوظيفة التربوية سواء وفق أساليب

تربوية مرغوبة أم لتحقيق غايات متجددة تتلائم مع التغييرات العادية فى مجتمعنا . الا أن الجهل والامية ليسا وحدهما سبب قصور الامهات العربيات عن أداء الوظيفة التربوية ، وان كانا السبب الاهم ، فالفقر المدقع الذى تعايشه أغلب الامهـات ، ونظام العائلة الكبيرة الحجم التى تتسلط على مقدرات أطفالهـا ، سببان هامـان يحدان من العلاقة الوطيدة بين الام وأطفالها ، ويحجبان عنها التوقعات المستقبلية للصغار (١) .

وقد وصف شرابى أساليب التنشئة فى وطننا بأنها تهدف الى وضع مقلوب ، فالتربية الاخلاقية فى الوطن العربى ، لا تهدف الى تنمية الضمير الخلقى الملتزم ، ولا تقوى عند الطفل الشعور بالذنب ازاء ما يرتكبه من أخطاء ، بل تهدف أساليب التنشئة السائدة الى تكوين مفهوم أخلاقى عند الطفل يتجه الى الخارج ويرى ضرورة اتباع أفكار الاخرين ، فضمير الشخص يخضع للاخرين ويلتزم بأراء الاخرين . فالامهات والاباء والمربون دائما يلحون على الطفل ، ويكررون على مسامعه دائما (الناس تقول أيه انت عايز الناس تضحك عليك) .وتولد هذه الاقوال المتكررة عند الطفل شعورا بأداء الافعال حسبما يتقبلها الاخرون — حتـى وان كان غـير مؤمن بها ، فهو يسلك السلوك الذى يرضى عليه الناس ، أكثر مما يهتم بتأكيد القيم النابعة من الذات ، أو القيم المقتدية بالضمير الملتزم ، وهذا مـا يفسر لنـا أسباب السلوك المرتبط بالشك والانفعال والارتياب والصراخ والتشنج والهروب من تقديم الحلول الكاملة أى أسباب السلوك التى تعكس التفكير المعوج .

ويؤكد لنا شرابى أن أساليب التنشئة التى تمارسها الام ، والتى يتعرض لها الطفل داخل العائلة تركز على الخصائص التالية عند الطفل :

١ — الخوف من العقاب بدلا من الشعور بالذنب .
٢ — العداء الموجه الى الخارج بدلا من الثقة .
٣ — الفردية بدلا من الجماعية .
٤ — تأكيد العدوانية والاخذ بالثأر بدلا من التعاون .
٥ — تعزيز الاتكالية عند الطفل ، نتيجة اسراف الامهات والجدات فى تدليل

هشام شرابى : المرجع السابق ص ١٣٣ .

الاطفال ، فالافراط فى تدليل الطفل ينمى عند الطفل شعورا بالاعتماد على والديه فى صغره ، والاعتماد على حكامه فى كبره • لتصريف أموره •

ويرى هشام شرابى أن هذا النمط السائد لاساليب التنشئة ، ، هو السبب المباشر للوضع المتخلف للعالم العربى العام ، ولذا فمن الضرورى أحداث ثـورة فى أساليب التنشئة ، باعتبار أن أية محاولة لتغيير المجتمع تتطلب اعادة تغيير أساليب التنشئة أثناء تغير العناصر الاجتماعية واللا اجتماعية الاخرى ، أما كيفية احداث التغيير فى أساليب تنشئة الطفل العربى ، فيرى هشام شرابى (١) (أن التليفزيون هو أفضل وسيلة لنقل هذه المعلومات ، لانه يتيح التأثير بشكل واسع فى جميع المشاهدين فى العالم العربى) • أما كيف يصل ارسال التليفزيون الى الامهات فى البادية والصحـراء والريف ، وكيف يتيسر الحصول على أثمان هذه الاجهزة ، قبل الحصول على القوت الضرورى والمأوى الانسانى المريح ، فى ظل ظروف الفقر القاسية التى تعايشها أغلب الامهات ، فهذا ما غاب عن هشام ، ورغم هذه الملاحظة فان هذا لا يقلل من أهمية أفكاره •

وهناك موضوعات أساسية يرى هشام ضرورة بثها من أجهزة التليفزيون من أجل اعادة تثقيف الامهات العربيات فى الامور المتعلقة بالطفل • هذه الموضوعات هـى :

الموضوع الاول :

الاهتمام بالطفل باعتباره قيمة اجتماعية واقتصادية ، ويـرى هشـام أن التربية علم له قواعده • والهدف من التربية تمكـين الطفل مـن تحقيق نمـوه وامكانياته على أفضل وجه ، وهذا يتطلب التأكيد على أهمية السنوات الاولى فى حياة الطفل الانسان ، وأن هذا التعليم يحدده نمو الطفل فى المراحـل التاليـة • وأهمية التأكيد على تنمية علاقات الاحترام المتبادل بين الطفل ووالديه ، والتوعية بضرورة أن يصبح الاب أكثـر ارتباطـا بأسرتـه وأطفالـه فـى سنى حياتهـم الاولى ، وألا يكون رمزا للسلطة والخوف عنـد أولاده ، بل رمـزا للثقـة والحب عندهم •

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ •

الموضوع الثانى :

تأكيد العناية الطبية بالطفل ، باعتبار أن الصحة الجيدة أساس النمو السليم، وتقديم المساعدة الطبية للام. والتركيز فى هذا البرنامج على العائلة الفقيرة كهدف ، ومادمنا نتحدث عن الرعاية الصحية ، فالامر يستلزم الدعوة الى تنظيم الاسرة ، ووسائل ذلك . والتوعية بأهمية التغذية الملائمة للطفل ونوعية الطعام المناسبة للطفل ، ما دام سوء التغذية هو احدى العقبات الرئيسية التى تقف فى وجه نمو الطفل العربى نموا صحيحا كاملا .

الموضوع الثالث :

الاهتمام بتدريب الامهات على الاستغناء عن التقميط ، وكيفية الفطام ونوعية الغذاء فى مرحلة ما بعد الفطام .

الموضوع الرابع :

كيفية التفاعل بين الطفل ووالديه . وهذا الموضوع يتطلب توضيح نوعية العلاقة وشرحها بين الطفل وأمه ، ونوعية العلاقة بين الطفل وأبيه ، وتأكيد النمو النفسى للطفل ، وضرورة اشباع حاجاته الى العطف والحب والتقدير والتعود على المسئولية ، واكتساب خبرات جديدة باستمرار ، وتأكيد حب المعرفة عنده ، من أجل تنمية احترامه لذاته .

الموضوع الخامس : تعليم الطفل كيفية المراقبة والانضباط :

ويرى شرابى أننا اذا كنا فى وطننا العربى نؤكد أن الطفل المطيع طفل صالح وأن الطفل المشاكس طفل غير صالح ، وأن وسيلتنا لتأكيد الطاعة عند الطفل هى التخويف والعقاب البدنى ، فمن الضرورى تبصير الامهات والاباء بالاضرار التى تلحق بالطفل نتيجة التهديد والتخويف بواسطة قوى شريرة ، وما يترتب على ذلك من ايهامه بقوى غيبية ، وعجزه بعد ذلك عن التفرقة بين الواقع والخيال . كذلك ضرورة تبصير الآباء والامهات أنهم يساهمون دون وعى منهم فى تحطيم ثقة الاطفال بأنفسهم ، بالاستخفاف بأطفالهم واذلالهم بتصويرهم أنهم مثل الحيوانات أو نعتهم بالبله . أو مقارنتهم بالاشقاء والاقران مما يحط من قدرتهم .

وتوعية الوالدين وتبصيرهما بأن الضرب لا يصلح أخطاء الصغار بقدر ما يرضى الكبار ، ولا يعبر عن نية الاصلاح ، بل يولد أخلاق الجبن ، وينمى الرغبة فى التمرد والارتياب فى الآخرين ، ولذا يتعين عدم ضرب الاطفال والاعتماد على الاقناع مع الحزم والمثابرة بدلا من الركل والسب والصفع ٠

الموضوع السادس : التعليم :

التأكيد على تنمية اللغـة عند الطفل ، وهـذا يتطلب تعويد الوالدين نطق الالفاظ نطقا سليما وبالتالى :

١ ـ التحدث مع الاطفال بلغة البالغين ، وعدم ترديد أخطائهم ٠

٢ ـ التعامل مع الطفل بأسلوب جدى ، وعدم تدليله ٠

٣ ـ الايمان بأن اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التعلم ٠

٤ ـ استخدام اللعب كطريقة للنمو العقلى والاجتماعى ٠

٥ ـ تشجيع الفضول عند الطفل ٠

الموضوع السابع : المعلم والقيم الاجتماعية :

ويؤكد هذا البرنامج التليفزيونىضرورة اعادة النظر فى علاقة المعلم بتلميذ المدرسة الابتدائية ، فهذه العلاقة ليست علاقة تسلطية جامدة ، تستهدف السيطرة على الطفل وأفكاره ، فالمدرسة الابتدا ية ينبغـى أن تحقق النمو العقلى للتلميـذ الصغير من خلال اللعب والدراسة ، وعلى المعلم فى المدرسة الابتدائية أن يسعـى لتحقيق وظيفتة من خلال السؤال والاستفسار ، لا من خلال الحفظ بدون فهـم ، والتسميع ٠

ويرى شرابى صادقا أن مشكلة المدرسة الابتدائية فى الوطن العربى هـى المعلم ، فهو ضعيف التدريب ، وغير مؤهل للقيام بمهمته ، كذلك يفتقد العاملون مع الاطفال الى نظرية تربوية جديدة ، تعبر عن الواقع العربى ، بدلا من النظريات الغربية السائدة ٠

فالطفل العربى فى السنوات الاخيرة من هذا القرن ، يحتاج الى قيم جديدة ، ينبغى أنتلقن له من خلال المناهج الدراسية أو تبث له من خلال البرامج التليفزيونية ، فعليه أن يعرف أهمية الولاء للجماعة بدلا من العائلة ، وعليه أن يؤمن بالتضامن والتعاون بدلا من التنافس وأن يعرف أن العائد من الغيرية أكثر العائد من الانانية ، ويمكن أن تغير من سلوكه ، وندعو الى القيم الجديدة التى تؤمن بالاخوة بدلا من الحسد، والغيرية وانكار الذات بدلا من الانانية ، من خلال النشاط واللعب • وعلينا أن نضع الطفل فى مواقف تكون عنده الاتجاه الى المشاركة وحب العمل، والايمان بالمسئولية نحو الجماعة والاعتماد على النفس ، والتضامن مع الجماعة • وهذه القيم الجديدة ليست شيئا يمكن استيراده ، بل تعلم ، وتراثنا وعقيدتنا تؤكد وتلح عليها ولكنها نسيت نتيجة عوامل وأسباب سياسية واقتصادية•

هذه الافكار التى يدعو اليها اليها هشام شرابى ، تكونت عنده نتيجة معاناة لانهزامية ٥ يونية ١٩٦٧ ،وهو يرى مخلصا وصادقا ، أن اعادة تغيير أساليب التنشئة هو الخطوة الاولى لبناء مجتمع جديد ولفرض سلوك اجتماعى جديد ، ولكن هذه الافكار لم تنم بتأثير الواقع الاجتماعى الذى عايشه الباحث ، بل محصلة منهج جمع فيه بين التحليل النفسى لفرويد والمادية الجدلية لماركس ، حلل به السلوك الاجتماعى للفرد ، وعلاقته بالتربية العائلية ونماذج السلوك والقيم السائدة فى الوطن العربى ، سواء التى عايشها هو أو قرأ عنها فى قصاصات الصحف والكتب المدرسية •

ان أهم ما نلاحظه فى أفكار هشام ، هو الفجيعة والحسرة عما حدث فى العالم العربى ،بعد النكسة ، وقد وجد هشام — وهو محق فى تأكيده أن عتبة الباب للخروج من الازمة هو الاهتمام بطفل اليوم ، الا أنه آمن بالمجتمع الغربى الى حد التألية• ونرى أنما يصلح هناك لا يصلح هنا ، كما أن نقل كل نماذج الغرب الى بلادنا هو الخطأ بعينه ، فالغرب له وجه الجميل ولكن له أيضا وجه اللاجميل • كذلك ، وهو الاهم، فان الافكار التى يعبر عنها هشام تعكس نظاما رأسمالية ناجحا وناضجا ، حقق قدرا كبيرا من التقدم التكنولوجى ، وتسيطر الآلة على سلوك أعضائه • هذه الافكار التى تكونت ونمت عن أساليب تربية الطفل فى أقوى مجتمع رأسمالى لا يمكن أن تتقبلها مجتمعات تقوم على الرأسمالية الطفلية ، ومن أهم

ملامحها التخلف التكنولوجى ، وتحمل بين أحشائها نظام انتاج بدائى ، ونظـام انتاج غير متطور الى الحد الكافى ، ولا يعتمد اقتصادها على الانتاج بل يستند كلية على الاستهلاك ٠

ان الايمان بتحديث مجتمعنا حسبما ينادى هشام شرابى يعبر عن فكرة عامة ينادى بها علماء الغرب ، ويتداولها من توحد أفكارهم من أبناء العالم الثالث ، ليفسروا لماذا تتأخر بلدان العالم الثالث ، ولماذا لا تلحق البلدان المتخلفة بركب الدول المتقدمة ، وكيف يمكن لهذه الدول المتخلفة أن تصير مثل الدول المتقدمة ٠

ان الايمان بتحديث البلدان العربية وفق حال المجتمع الغربى يتضمن خطأ سوسيولوجيا أساسيا يعرف باسم التعصب السلالى (١) Ethnocentrism أى أن هؤلاء العلماء والمؤمنين بأفكارهم يحكمون على مجتمع آخـر مغايـر لمجتمعهم وفق العناصر الثقافية وانماط السلوك السائدة فى مجتمعاتهم باعتبارها الثقافة الارقى ومتجاهلـين فـى نفس الوقت أن كـل دولـة من دول العالم الثالث لهـا بنـاء ديناميكيا له تاريخ خاص به ، وان هذا البناء قد تأثر بالتفاعلات الاقليمية والعالمية فتلك أغلوطة واضحة ، ان الايمان بالتحديث باعتباره طوق النجاه وبديلا للاتجاه السلفى فى التربية ، يعبر عن عدم فهم الواقع الاجتماعى والتجربة الاجتماعية التى نعايشها ٠

ثالثا : الدراسات التجريبية :

واهتم هذا الاتجاه بدراسةالاطفال٠وقد اهتم بهذا الاتجاه التجريبى كل علماء النفس وعلماء الاجتماع ٠ وقد انقسم هذا الاتجاه الى ثلاثة تيارات :

تيار اهتم بدراسة الاساليب الوالدية ويسأل الاباء والامهات ، وتيار اهتم بدراسة الطفل باعتباره قيمة، ويدرس الاطفال أنفسهم ، وتيار ثالث انصرف الى دراسة آثار التعليم الرسمى على الاطفال وهو اتجاه ضعيف ٠

---

(١) يظهر هذا النوع من التعصب عندما ينظر الفرد أو الجماعة الى ثقافته على أنها الثقافة الراقية بالنطرة ويتضمن حكما بالدونية عـلى الثقافات الاخرى راجع من عاطف غيث٠قاموس علم الاجتماع ٠ القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ ٠

ولم تنشر أية دراسة اجتماعية تجريبية عن الاساليب الوالدية فى معاملة الاولاد حتى عام ١٩٥٤ عندما نشرت باللغة الانجليزية دراسة حامد عمار عن التنشئة فى قرية سلوا (١) ، وكانت دراسة نجيب اسكندر وعماد اسماعيل عن الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل (٢) هى بداية التيار الذى تدفق عن أثر الاتجاهات ، والاساليب الوالدية فى تنشئة الاطفال • وتعد دراسة نجيب اسكندر وعماد اسماعيل أول مدرسة عربية من نوعها اهتمت بمعرفة الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الابناء ، مع العناية بارتباط هذه الاتجاهات ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية •

ولقد سبقت هذه الدراسة زمانيا دراسة نفسية تجريبية قام بها عبد المنعم المليجى (تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق) (٣) • ولقد انجزت هذه الدراسة عام ١٩٥١ ، واهتمت باستقصاء فكرة الطفل عن الله ، وكيف يتصور الطفل الملائكة والشياطين، ومفهوم الطفل عن الجنة والنار ، وفكرته عن الموت والخلود ، ومتى يتكون ويكتمل فهم الطفل للدين ،ومتى يتحدد الاتجاهات الدينية عند الطفل والدوافع التى تؤدى الى أزمات التشكك عند الطفل ، وقد بين الباحث أن الشعور الدينى عملية نمو متصلة وغايتها تحقيق التوافق ، ولقد اعتمدت هذه الدراسة على الاستبطان والاطلاع على مذكرات الاطفال وأسئلة خاصة بعناصر الشعور الدينى كما اعتمدت على المنهج التطورى •

وقد أعطيت الدراسات المهتمة بالاساليب الوالدية فى تنشئة الاطفال مزيدا من الاهتمام الى بعض الموضوعات التى سنعرضها فيما يلى عرضا تحليليا :

---

(1) Ammar Hammed : Growing up in an Egyptain village. in silwa provience of Aswan. London. Routledge and Kegan paul 1954.

(٢) نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • تأليف نجيب اسكندر وعماد اسماعيل • القاهرة • دار المعرفة ١٩٥٩ •

(٣) عبد المنعم المليجى : تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق • القاهرة دار المعارف ١٩٥٥ •

١ - أساليب الفطام والرضاعة :

لم تنل أساليب الفطام والرضاعة الا قدرا يسيرا من اهتمام الباحثين المهتمين بالطفل فى البلدان العربية ، ولقد كان هذا الموضوع ، حتى سنوات قليلة ، من الموضوعات التى يخشى الباحثون دراستها • وقلما جرؤ باحث على دراسة الاثار النفسية والاجتماعية لعملية الرضاعة والفطام ، وما يرتبط بهما من متغيرات اجتماعية وفروق حضرية ريفية •

ولقد بدأ الاهتمام بدراسة أساليب الرضاعة والفطام عند اطفال بلدان الشرق الاوسط ابتداء من أواخر الخمسينات ، ويتزايد هذا الاهتمام عاما بعد عام، وفى الحقيقة فان أساليب تغذية الطفل الصغير فى البلدان العربية لا تتباين الا قليلا، وقد بين حيليف أن أساليب تغذية أبناء الطبقات الفقيرة فى سوريا ولبنان تتشابه مع أساليب رضاعة الاطفال فى مصر ، التى تهتم برضاعة الاطفال من الثدى لمدة طويلة مع تقديم الطعام المهروس (١) •

الا أن هذه النتيجة لا يمكن تعميمها ، اذ كشفت بعض الدراسات عن وجود بعض الفروق فى أساليب الرضاعة والفطام سواء فى البلد العربى الواحد ، على مستوى الريف والحضر أو بين الطوائف الدينية المختلفة ، كما هو الحال فى لبنان، أو بين البلدان العربية بعضها وبعض فقد ظهر وجود فروق بين أساليب الرضاعة والفطام بين البلدان العربية مثل الكويت والبحرين ومصر •

والرضاعة من الثدى هى الاسلوب الامثل والغالب لتغذية الطفل فى البلدان العربية ، وخاصة فى الشهور الاولى ، وقد يستبدل بهذه الطريقة الطبيعية فى تغذية الصغير ، طريقة تجمع بين الرضاعة الطبيعية من الثدى والالبان الصناعية ، أو الاقتصار على الالبان الصناعية وحدها •

---

(1) Harfouche, Jamel karami : Feeding Practices, weaning patterns of Lebanse Infants. Beirut. Khayats 1965. p. 7.

ولقد درست نسرين العمر ، أساليب الرضاعة والفطام فى مدينة البصرة(١)، وبينت أنه كلما طالت فترة الرضاعة ، كلما زادت الاضطرابات الانفعاليــة عند الفطام (٢) ، وقد بدأت هذه الدراسة ببحث العلاقة بين فترة الرضاعة من الثدى وبين المشاكل الانفعالية أثناء الفطام ووجدت أن خمس الاطفال تقريبا فطموا قبل الشهر الحادى عشر وقد مر هؤلاء بصدمات انفعالية كبيرة أثناء الفطام ، بينما لم تظهر هذه الازمات الانفعالية عند الاخرين . وقــد وصلت نسرين أثنــاء دراستها لبعض أطفال البصرة الى عدة نتائج هامة من أهمها أنه كلما طالت فترة الرضاعة ، كلما ازدادت الاضطرابات الانفعالية عند الفطام ، وفى الوقت نفسه نفت وجــود علاقة بين الرضاعة المنظمة أو غير المنظمة والاضطرابات الانفعالية أثناء الفطام . ويؤكد حرفوش أن الاثر النفسى للفطام الفجائى فى طور الطفولة المتأخــر أكثــر خطورة من الفطام فى طور الحضانة المبكر . ويرجع ذلك الى الارتباط القوى للرضيع بالام كمصدر للطمأنينة (٣) .

وقد بين حروفوش أن حوالى ٩١٪ من الامهات اللبنانيات يفطمن أولادهن فطاما تدريجيا أما الباقيات ولا تتجاوز نسبتهن عشر الامهات فيفطمن أطفالهن فطاما فجائيا ، وهذه الظاهرة ليست قاصرة على بيروت وحدها بل توجد فى الاسكندرية ، اذ وصلت انتصار يونس ، الى نفس النتيجة وان تفاوتت النسب ، فاغلب أطفال دور الحضانة فى مدينة الاسكندرية يفطمن فطاما تدريجيا .

---

(١) نسرين العمر : علاقة طريق تربية الطفل ببعض مظاهر الطفل السلوكية . بغداد مجلة الجامعة المستنصرية . السنة الثالثة ، العدد الثالث ١٩٧٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٩٦ .

(٢) ونقصد بالفطام : قطع الرضاعة عن الرضيع(المعجم الوسيط . اخراج ابراهيم أنيس واخرين . مجمع اللغة العربية (ج.م.ع) الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ٦٩٥) . وهى فترة هامة فــى حيــاة الانسان ، وتتسم ببعض اللزوميات « الفيزيقية والنفسية » ،والفطام نوعان الاول فجائى . والاخر تدريجــى .

(٣) نسرين العمر . المرجع السابق .

والام المرضعة فى بيروت لا تعدل بين أولادها فى الرضاعة ، فهناك فروق بين رضاعات الابن ، ورضاعات الابنة ، فالابن يرضع من الثدى فترة أطول من الابنة بين الطوائف المختلفة من مسلمين وأرمن ومارونيين (١)، اذ يتميز الولد عن البنت فى عملية الرضاعة بينما هذه الطريقة لا تلقى قبولا فى صعيد مصر كما بينت دراسة حامد عمار (٢) ٠ فالطفل الذكر يرضع فترة أقل من البنت ويرجع ذلك الى الاعتقاد السائد بأن الابنة ينبغى أن ترضع من ثدى الام فترة أطول من الابن، رغم التسليم بضرورة أن ينهل كلاهما من حنان الام ، كما يدل قصر فترة رضاعة الولد الذكر عن الرغبة فى تعجيل بلوغه طور الرجولة ٠

ويرى عمار أن ثمة اتجاهات مختلفة ازاء عملية الرضاعة عند الام والاب ، فالام ترغب فى اطالة فترة الرضاعة تعبيرا عن العاطفة والحنان ، باعتبار أن ثدى الام يرمز للحنان٠ أما الاب فيرى أن اطالة فترة الرضاعة تؤدى الى انغلاق عقل الابن ، هذا الفرق بين اتجاهى الام والاب يعكس لنا الفرق بين عاطفة الامومة ، مقابل رغبة الاب فى اخضاع ابنه للنظام الاجتماعى مبكرا بقدر الامكان ٠

وقد لاحظ عمار أن عملية الرضاعة رغم أنها تشبع حاجة أساسية عند الطفل، فهى لا تخضع لاى ترتيب أو تنظيم مسبق ، فالام لا تتقيد بمواعيد منظمة فى ارضاع طفلها ، بل تعطيه ثديها كلما صاح أو بكى ، حتى لو كانت تتناول طعامها، أو تعد الطعام لاسرتها ، كما تختلف عملية الرضاعة من طفل لطفل ، ومن يوم ليوم، ولقد وصل سيد عبد العاطى الى نفس النتيجة بعد أن درس ثلاثة مجتمعات قروية، اذ أظهرت البيانات التى جمعها سيد عبد العاطى أن الامهات لا يعرفن نظاما معينا تحدد فيه فترات الرضاعة ، وبكاء الطفل هو الذى يدفع الامهات الى الرضاعة (٣)٠ ولا يعتمد الطفل كلية طوال فترة الرضاعة على لبن الام ، فبعد الشهر الرابع ، تقدم الامهات لاطفالها بعض الاطعمة المهروسة ٠ ويعتمد استمرار الام فى رضاعة أولادها فى بعض البلدان العربية على :

---

(1) HarFouch : Ibid. p. 13

(2) Ammar Hammed : Growing up in an Egyptain Village op, cit, pp. 100 - 103.

(٣) سيد عبد العاطى : احتياجات الطفولة فى المجتمعات الريفية والبدوية القاهرة ٠ وزارة الزراعة ــ الادارة العامة لتكوين وتنمية المجتمع ١٩٧٧٠

١ - مقدار اللبن الذى يدره ثدى الام ·

٢ - صحة الام ·

٣ - حمل الام مرة ثانية ، ويعرف الجميع أن هناك علاقة محددة بين ادرار اللبن والحمل ·

كذلك أدت أبحاث حرفوش الى تعزيز هذه النتيجة ، اذ أن الامهات فى بيروت لا يرضعن أولادهن فى مواعيد محددة ، ولكن الرضاعة يحتمها بكاء الطفل الى جانب أنه قد لاحظ أن القلة من الامهات تقصر تغذية طفلها على لبن الثدى وحده ، بعد الشهر السادس من ولادته (١) ·

وقد بين محمود عبد القادر ، فى دراسته عن أساليب الرضاعة والفطام فى مصر والكويت والبحرين (٢) · ان الام المصرية تعتبر الرضاعة من الثدى من الوظائف الاساسية ، وأنها تجد متعة فى ذلك ، وبجانب الرضاعة الطبيعية ، تلجأ بعض الامهات الى الالبان الصناعية · وهناك تباين فى موقف الامهات من الرضاعة ، فهناك أمهات ترضع أولادها رضاعة طبيعية ،وأخريات يرضعن أطفالهن رضاعات طبيعية بعض الوقت بجانب رضاعات صناعية فى أوقات أخرى ويمثل هؤلاء المرتبة الثانية بين الامهات المرضعات ، ثم هناك مجموعة ثالثة وهى أقل عددا ، يقتصرن فى رضاعة أولادهن على الالبان الجافة · وقد أبانت دراسة عبد القادر أنه كلما ارتفع مستوى تعليم الوالد وزاد دخل الاسرة ، أصبحت الام أكثر ميلا لاستخدام الالبان الصناعية فى الاشهر الاولى ، ومن ملاحظاتنا تبين لنا أن استخدام الالبان الصناعية لا يقتصر على العاملات فى مهن معينة ، اذ أن الامهات العاملات حتى فى الحرف الحقيرة ، يلجأن الى شراء الالبان الجافة لارضاع أطفالهن أثناء غيابهن عنهم · والامهات العاملات أكثر ميلا الى الرضعات الصناعية أثناء فترة العمل · وغالبا ما تكون رضعة أو رضعتين فى الاشهر الاولى ثم تتزايد بعد الشهر السادس ·

---

(1) HarFouche : Feeding practices and Weaning patterns of Lebnanse Infants, op cit, p. 86.

(٢) محمود عبد القادر : راجع ص٢٩ من هذا الكتاب وما بعدها ·

واذا كان الرأى السائد هو أن الام المرضعة هى صانعة القرار فى رضاعة ابنها ، فقد وصل عبد القادر الى نتيجة مغايرة لهذا الرأى عندما تبين له أن الاب المتعلم فى الكويت ، والبحرين يلعب دورا هاما فى تحديد كيفية ارضاع الطفل ، اذ أنه ينصحها باستعمال الاساليب الحديثة فى الرضاعة •

وقد بين لنا محمود عبد القادر فى بحثه أن هناك فروقا فى سن الفطام فى كل من الكويت والبحرين ومصر وأوضحت لنا دراسة حرفوش أن هناك فروقا فى سن الفطام بين (١) الطوائف الدينية المختلفة فى بيروت •

وقد كشفت دراسة نجيب اسكندر وعماد اسماعيل التى أجريت فى الخمسينات فى مصر (٢) ، ان معظم أفراد العينة التى أجرى عليهـا البحث وشملت معظـم محافظات مصر ، يفطمون أولادهم فى سن فوق العام الاول وأقل من السنتين ، وقد بين البحث أن هناك فروقا طبقية ذات دلالة فى سن الفطام، فالطبقة المتوسطة تميل الى فطام أطفالهافى سن مبكرة عن تلك التى تفطم فيها أمهات الطبقـة الفقـيرة • فالامهات اللاتى يفطمن أطفالهن قبل بلوغ العام الاول فى الطبقة الوسطى أكثر من أمهات الطبقة الدنيا ، أما الامهات اللاتى يفطمن أولادهن بعد تجاوز السنة الاولى فهن أكثر فى الطبقة الدنيا عن الطبقة الوسطى • وتتقارب هذه النتائج مع مـا توصلت اليه أنعـام عبد الجواد (٣) ، من أن معظم أفراد عينتها والذين اختيروا من أمهات القاهرة يبدأن فطام الطفل بعد بلوغه العام الاول ، وهناك قلة تفطم أولادها بعد بلوغ العامين ، يقابل هؤلاء فى الطرف الاخر فئة قليلة تفطم أطفالها مبكرا قبل بلوغ السنة الاولى من العمر •

وثمة دراستان درستا الفطام بعيدا عن القاهرة الاولى فى الوجه البحرى • أجراها السيد عبد العاطى فى ثلاثة مجتمعات ريفية فى شمال الدلتا • والدراسة

---

(1) HarFouche, Feeding Practices and weaning Patterns of lebnse In Fants op. cit, p. 88.

(٢) نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • المرجع السابق •

(٣) أنعام سيد عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة • القاهرة • جامعة عين شمس • كلية الآداب ١٩٧٤ •

الاخرى فى الوجه القبلى بمحافظة المنيا قام بها سعيد فرح • وقد بين سيد عبد العاطى (١) أن الامهات فى هذه المجتمعات الثلاثة يطلن فترة الرضاعة ويأخرن سن الفطام لانخفاض تكاليف المعيشة وارتفاع تكاليف تغذية الابن فى فترات الطفولة ، ولكننا نرى أن العامل الاقتصادى ليس العامل الحاسم القريب لتأجيل الفطام ! فالعقيدة الدينية (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) والعادات والتقاليد عوامل أساسية لتأجيل الفطام ، بجانب عامل آخر تؤمن به الامهات وهو أن الرضاعة وسيلة مضمونة لتنظيم النسل (ترضع نظيف) اذ غالبا ما ينقطع الطمث أثناء الرضاعة ، وتضمن الام عدم الانجاب •

وقد بينت لنا الدراسة المسحية عن احتياجات الطفولة فى مصر (٢) • ان سن الفطام يختلف فى الحضر عنه فى الريف ، اذ يتم الفطام فى المناطق الحضرية فى سن مبكرة جدا اذا ما قورن بالمناطق الريفية ، اذ يتم فطام ثلثى الاطفال فى المناطق الحضرية مقابل الخمس فقط من أطفال الريف عندما يبلغون الشهر الثامن عشر ، أما اذا بلغ الاطفال حولين كاملين ، فلا يبقى منهم الا عشر أطفال الحضر يرضعون من ثدى الام ، مقابل خمس أطفال الريف • وقد بين البحث أن العمر المعتاد للفطام فى الحضر يبدأ بعد العام الاول حتى بلوغ الطفل الشهر الثامن عشر، أما فى الريف فيبدأ الفطام ابتداء من الشهر الثامن عشر ، حتى بلوغه العامين ، فبينما المشكلة السائدة فى الحضر ، أنهم يفطمون بعض الاطفال فى سن صغيرة جدا • نجد أن المشكلة فى أقصى الطرف الآخر ،أى فى الريف، هى أنهم يفطمون أطفالهم فى سن متأخرة •

ولقد أكدت دراسة سعيد فرح (٣) بمحافظة المنيا ، أهمية العامل الدينى فى تنظيم عملية الرضاعة ، وتأجيل الفطام عند القرويات • وقد بين البحث نفسه أن الامهات فى المدينة يفطمن أولادهن ابتداء من الشهر السادس • والاغلبية منهن تمنع

---

(١) السيد عبد العاطى : احتياجات الطفولة • المرجع السابق •

(٢) المركز القومى للبحوث الاجتماعية • بحث احتياجات الطفولة فى ج•م•ع• المرجع السابق ص ٨٥ ـ ٨٧ •

(٣) محمد سعيد فرح : دراسات فى المجتمع المصرى • الاسكندرية الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦ •

الرضاعة من ثدى الام بعد العام الاول ، أما فى الريف فالامهات يرضعن أولادهن حولين كاملين ٠

أما تقديم أطعمة للصغار ، تسبب للاسرة تكلفة اقتصادية ترهقها ، كما بين السيد عبد العاطى ، فيتعارض مع البيانات التى جمعها حامد عمار (١) ٠ فالامهات فى سلوا يقدمن لاطفالهن بعد الشهر الرابع بعض أغذية الكبار المهروسة ، مما لا يكلفهن شيئا، وتهتم الام باعطاء الاولاد من الذكور هذه الاطعمة ٠

وقد بينت لنا أنعام (٢) ، فى دراستها عن بعض الاطفال فى مدينة القاهرة ، أن العمل عامل مميز بين العاملات فيما يتعلق بوسيلة الفطام ٠ أما الاسباب التى تدفع الام الى أسلوب الفطام التدريجى فاولها الخوف من أن يصدم طفلها عند الفطام ، ثم الرغبة فى تعويد طفلها على استخدام الطعام ثم الخوف من أن يكرهها الطفل ، ويحتل هذا السبب المرتبة الثالثة بين الاسباب التى ذكرتها الامهات ، وقد كشفت لنا أنعام أنه لا توجد علاقة بين وسيلة الفطام وعلاقتها بمتغير الدخل ، تخالف فى ذلك ما توصل اليه السيد عبد العاطى ـ اذ وجدت أن الفطام التدريجى أكثر شيوعا لدى الامهات مهما تباين دخل أسرهن ٠ وقد أظهرت لنا أنعام أن هناك علاقة بين دخل الاسرة والسن الذى تبدأ فيه الام تقديم الطعام لطفلها ، اذ كلما ارتفع دخل الاسرة صغر السن الذى تقدم فيه الام الطعام لطفلها ٠ وعمل الام ليس وحده العامل الحاسم فى قصر فترة الرضاعة ٠ فقد بينت الدراسة المسحية لاحتياجات الطفولة (٣) ، أن مهنة الاب الذى يحتل مكانة عالية فى السلم المهنى تؤثر فى سن فطام الابن ، وتعكس الاثار المترتبة على المستوى الاقتصادى ٠ واذا كان محمود عبد القادر قد بين أن التعليم له أثره فى أساليب الرضاعة والفطام فى الكويت والبحرين ومصر ٠ فان أنعام عبد الجواد وجدت أن مستوى تعليم الام لا علاقة له بوسيلة الفطام التى تستخدمها الامهات القاهريات ، وأن كانت هناك فروق ترتبط بالسن الذى تبدأ فيه الام تقديم الفطام للطفل٠ فابناء العاملات يتناولون الطعام فى

---

(1) Hammed Ammar : Growing up in an Egyptian village. op, cit.

(٢) أنعام سيد عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة ـ المرجع السابق٠

(٣) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ٠ بحث احتياجات الطفولة فى ج٠م٠ع دراسة مسحية على مستوى الجمهورية ، التقرير النهائى ٠ القاهرة ١٩٧٤ م ٠

سن أكبر من أبناء غير العاملات ، أما العمل خارج البيت ، فلا تؤثر فى سن الفطام، اذ أن معظم العاملات وغير العاملات يفطمن أطفالهن فى المتوسط عندما يبلغون الشهر السادس عشر تقريبا . وقد أبانت لنا الدراسة المسحية على مستوى الجمهورية (١) . ان نصف الامهات الاميات ، وثلاثة أرباع الامهات المسلمات اللاتى يقطن فى الريف يفطمن الطفل قبل بلوغ السنتين ، أما فى الحضر فنجد أن ما يقرب من خمس الامهات الحاصلات على شهادة الثانوية يفطمن أطفالهن قبل بلوغهم الشهر الثامن عشر ، أما الحاصلات على شهادة جامعية فنسبتهن تصل الى حد الاجماع (٩٦٪) .

وقد بينت لنا أنعام عبد الجواد (٢) أن الفطام التدريجى هو أكثر الوسائل انتشارا فى القاهرة ، رغم أنه أحدثها ، مخالفة فى ذلك النتيجة التى توصل اليها اسكندر وزميله (٣) منذ أكثر من عشرين عاما ، ومؤداها أن معظم الامهات يقمن بعملية الفطام بشكل مفاجىء ، وبطريقة مؤلمة ، وقد كشفت البيانات التى جمعها نجيب اسكندر وزميله أن الطفل يفطم عندما توضع مادة مرة مثل الصبار لدهان الثدى ، مما ينفر الطفل من ثدى أمه ، ويبعده عنها . تلك الطريقة التى كانت سائدة فى الخمسينات تحتل الان المرتبة الثانية بين المرضعات فى دراسة أنعام . ثم يلى ذلك طريقة الفطام المفاجىء . وحرمان الطفل من ثدى الام ، وقد أظهرت نتائج الدرسة المسحية التى قام بها المركز القومى أن ٣٥٪ من الامهات فى الحضر يفطمن أطفالهن فطاما تدريجيا مقابل ١٨٪ من الامهات الريفيات ، أما الاسلوب الاكثر شيوعا فى الريف فتغطيه الثدى بالصبار ، اذ تستعمل هذه الطريقة أكثر من نصف الامهات فى الريف ، أما فى الحضر فاللاتى يلجأن الى هذه الطريقة أقل من اللاتى يستعملن الفطام التدريجى وتبلغ نسبتهن ٣٢٪ من الامهات(٤) وقد بينت لنا أنعام أن دهان الثدى بالصبار له آثاره الضارة السيئة على الطفل وعلى شخصيته الاجتماعية

---

(١) أنعام عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة (المرجع السابق) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل . المرجع السابق .

(٤) المركز القومى للبحوث الاجتماعية : احتياجات الطفولة . المرجع السابق . ص ٨٧ .

متفقة فى ذلك مع عمار الذى أشار الى أن طريقة الفطام القاسية تكون عند الطفل صدمة انفعالية(١) وقد بين لنا عمار أن الفطام المفاجىء لا يتم من الثديين مرة واحدة ، اذ يبدأ الفطام من ثدى معين يلى ذلك بعد فترة حرمان الطفل من الثدى الاخر ، بدهان الثدى الحناء أو الملح أو الصبار • ولقد كانت نتائج نسرين العمر التى درست فيها بعض الاطفال فى البصرة ، مخالفة لاراء كل من حامد عمار وأنعام اذ بينت نتائج بحثها عدم وجود علاقة بين استخدام طرق الفطام القاسية ، وبين المشاكل الانفعالية عند الطفل أثناء الفطام (٢) •

ويكشف لنا هذا العرض لاساليب الرضاعة والفطام فى بعض البلدان العربية عن مدى تضارب تلك الاساليب فيما بينها • كما تظهر المقارنة بين نتائج الدراسات التى أجريت فى السبعينات مع الدراسات الرائدة التى أجريت فى الخمسينات مدى التغيير الذى حدث للاساليب التقليدية التى كانت تتبعها الامهات فى الماضى ، وكيف أن الامهات الصغيرات فى السن والامهات المتعلمات استبدلن بها ، أساليب جديدة ، مما يكشف لنا عن التغير الذى حدث فى نمط تفكير المرأة العربية •

ونحاول الان أن ننتقل الى مشكلة أخرى من مشكلات الاطفال ، ونقصد بها موقف الوالدين من السلوك العدوانى للطفل •

٢ ـ موقف الوالدين من سلوك الطفل العدوانى :

وفى البداية نسأل ما موقف الامهات والآباء من السلوك العدوانى لابنائهم وما تصرفاتهما اذا اعتدى ابنهما على الاخوة أو الغرباء وما رد فعل الاسرة اذا واعتدى الاخرون على الابن ، سواء أكان هؤلاء الاخرون اخوته أم من الغرباء •

لقد أوضح لنا بروثرو بعد دراسته لاساليب تنشئة الطفل فى لبنان (٣) ، ان حوالى ٩٠٪ من الامهات أجبن بأنه غير مسموح للطفل أن يعتدى على والديه • وقد

(1) Ammar Hammed, Growing up in an Egyptain village. op cit p. 86.

(٢)نسرين العمر : علاقة طرق تربية الطفل ببعض المظاهر السلوكية (المرجع السابق) •

(3) Prothro Edwin Jtrry : child Rearing. in the Lebanon. In Ailon ShiLoh(ed). peoples and cultures in the Mildle East. op. cit, p. 273.

اعترفت ٤٠٪ من الامهات أنه ينبغى أن يعاقب الابن عقابا بدنيا اذا ما حدث منه هذا التصرف ، وأن يقع هذا العقاب فى الحال ، وأجابت مجموعة أخرى تبلغ ٨٪ أنه ينبغى أن يعاقب الطفل عقابا صارما • وقد أجابت حوالى ٢٠٪ من الامهات أنهن يزجرن الطفل ويهددونه بالعقاب البدنى ،كما استنكرت ٢٣٪ من الامهات حدوث مثل هذا السلوك العدوانى مدعيات حسن تربية أولادهن • وقد ضحكت حوالى ٢٪ من الامهات عندما سمعن هذا السؤال ، ولم يجبن عنه • وقد أجابت ٥٪ من الامهات أنه اذا صدر هذا السلوك من الابن ، فانهن يحاولن أن يشرحن له مدى سوء وقباحة هذا السلوك • ولقد وقفت كل الامهات موقفا موحدا من الاعتداء على الوالدين لما لهما من منزلة عالية ، كما رفضت الامهات أن يتلفظ الاطفال ألفاظا نابية أثناء التخاطب مع الوالدين •

أما العلاقات بين الاخوة والاخوات (١) ، فقد أظهرت الاجابات أن ٥٠٪ من الامهات قررن أن العلاقات بين الاخوة داخل محيط الاسرة طيبة للغاية ، وأجاب الربع الثالث أن العلاقات بين الاخوة ، أحيانا ما تكون طيبة ، وأحيانا ما تكون سيئة ، أما الربع الاخير ، فأجبن بأن العلاقات بين الاخوة مشحونة بالعداء بلا تحفظ فهم يتشاجرون سويا ويتنازعون ، ويتعاركون ، كما يضايق بعضهم ببعض ، ويرى بروثرو أن حجم العلاقات العدوانية أمر مؤسف فى ثقافة الاسرة اللبنانية •

وتتفق هذه البيانات التى جمعها بروثرو مع ما لاحظه بعض الانثروبولوجيين بين بعض الاسر المصرية ، اذ يميل بعض الاطفال الى اغاظة اخوتهم ، وبخاصة الاخوة الصغار لهم ، الذين يحلون مكانهم عند الامهات ، وتتقارب هذه البيانات مع ملاحظات حامد عمار فى مجتمع سلوا ،اذ تسود فى هذه القرية ظاهرة التنافس والغيرة والصراع بين الاخوة ، ويرى عمار أن نظام الانجاب يؤكد الغيرة والتنافس بين الاخوة ، فالكبير يغير من الصغير ، والصغير ينافس الكبير ، ويهدف الصبية من التنافس الحصول على رضا الوالدين ، كما يشجع الوالدان التنافس بين الاخوة لاعتقادهم أنه اسلوب يسرع بالطفل للتخلى عن النزعات الطفلية ، كذلك تسعى أساليب التربية فى سلوا الى بث الخوف عند الصغار ، فالوالدان يخيفان الصغير دائما بما يحكيانه من أساطير وقصص خرافية •

---

(1) Prothro : Ibid. p. 272.

وتكشف لنا هذه البيانات التى جمعها بروثرو من الامهات اللبنانيات المقيمات فى بيروت أن أسلوب الام فى موقف العدوان يهدف الى تصحيح السلوك واعادة النظام بالقوة لا بالتوجيه والارشاد · ولا تتدخل الامهات لكبح هذا السلوك العدوانى الا اذا صار مزعجا وعاليا ·

والضرب هو اسلوب التهذيب الاكثر شيوعا فى لبنان لمواجهة المواقف التى يتفجر فيها العدوان ، ثم يلى ذلك التأنيب ثم يأتى فى المرتبة الثالثة التهديد · وقد أبان بروثرو أن أما لبنانية واحدة من كل ست أمهات ، اعترفت بأنها تحاول فى مثل هذا الموقف أن تناقش الصغير فى تصرفاته ، وأن تفسر له كيف يتعامل مع اخوته وأخواته (١) ·

ولكن تصرف الام اللبنانية يختلف اذا حدث واعتدى ابنها على أحد من أبناء الجيران ، اذ أوضحت الاجابات أن ٦٠٪ من الامهات أجبن بأنهن لا يتدخلن ولا يبالين بهذا الامر ، وقد اعترفت بعض الامهات بأن أولادهن يتشاجرون ويتشاحنون مع أبناء الجيران ، ولكن بعض الامهات اعترفن بأن الصراع والعراك بين الاخوة أكثر من الشجار والعراك مع أبناء الجيران، ويدل هذا الاعتراف على أن هؤلاء الامهات لا يعرفن ماذا يحدث خارج البيت، كما يدل على قلة الاتصال وضعف الروابط مع أبناء الجيران ، والاسلوب الشائع لمواجهة موقف العراك بين الابناء وجيرانهم ، هو جذب الابن داخل البيت ، وضربه وتأنيبه ، ويدل هذا الاسلوب فى التعامل مع الابناء ، على أن اسلوب تقويم تصرفات الابناء يعتمد على السيطرة والكبح والتحكم فى تصرفات الابناء أكثر مما يعتمد على الارشاد والتوجيه ·

وقد أوضح محمود عبد القادر أن الدراسات الخاصة فى مصر (٢) · تشير الى أن موقف العدوان يقابل باهتمام خاص من الاباء والامهات ، بحيث يمكن أن نقول انه يشكل أحد الملامح الاساسية لتنشئة الطفل المصرى ، فالاباء المصريون يبدو عليهم

---

(1) Prothro : Ibid. 272.

(٢) محمود عبد القادر : الاساليب الشائعة ، للتنشئة فى الريف المصرى ، دراسة مقارنة عن الريف والحضر ، اعداد محمود عبد القادر والهام عفيفى · التقرير الثانى · مواقف العدوان · المجلة الاجتماعية القومية المجلد ١٣ · العدد ٢ مايو ١٩٧٦ · ص ١ ـ ٢ ·

الغضب أمام السلوك العدوانى الصادر من ابنهم ، أو الموجه ضده ، سواء أكان هذا العدوان بدنيا أم لفظيا ، وقد أبانت لنا دراسة محمود عبد القادر أن حوالى خمس الامهــات فى الريف يلجأن الى ضرب أولادهن أو تخويفهم أو تهديدهم لمنع الطفل من اللعب العنيف (الشقاوة) والعبث بمحتويات المنزل أو تكسيرها ، يلى ذلك فى المرتبة الثانية بعد الضرب الزجر والتأنيب وحرمان الطفل من الاشياء التى يحبها ، أو اخراجه من البيت ليلعب خارجه باعتباره نوعا من العقاب ·

ويلى ذلك أسلوب النصح والارشاد · واتاحة الفرصة للطفل باللعب خارج المنزل ، ويأتى فى المرتبة الاخيرة الاستجابات المتفهمة لسلوك الطفل · أما استجابات الامهات فى الحضر فمختلفة ، حيث يبدو أن أساليب النصح والارشاد والتهديد هو الاكثر شيوعا ، ثم العقاب البدنى فالتأنيب ، ومنع اللعب ، والحرمان المادى ، وتظهر لنا هذه البيانات أن الامهات فى الريف أكثر تشددا وقسوة فى معاملة الطفل من الامهاتفى الحضر، كما أوضح لنا محمود عبد القادر فى البحث نفسهأن الامهات فى الاسر الكبيرة الحجم تستخدم أسلوب التهديد والتخويف والضرب والزجر بنسبة أكثر من الاسر الصغيرة الحجم ·

ولكن هل تقف كل الامهات اللبنانيات موقفا موحدا من العدوان ، أم يتشابهن مع الامهات المصريات اللاتى يختلف سلوكهن بين الريف والحضر ؟ هناك فروق بين الامهات الارمن والامهات الكاثوليك والامهات المسلمات ازاء العدوان (١) · لقد اعترفت الامهاتالارثوذكس فى المدينة بأن تعلم الطفل الشجار أمر ضرورى · ومن جهة أخرى بين البحث أن الامهات الارمن فى الريف والحضر يؤمن أكثر من الامهات المسلمات بأن الطفل ينبغى أن يتعلم العراك ، ليدافع عن نفسه ، وقد أوضح البحث أن السنيين فى الريف اللبنانى أكثر مسالمة من غيرهم ، فهم يؤمنون بأن الطفــل ينبغى ألا يتعلم العراك ، فالمسلمون السنيون مسالمون يرفضون الاعتداء والعدوان على الغير ، مقتدين فى ذلك بتعاليم العقيدة الاسلامية التى تحض عــلى السلام ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لهم » و « ان الله لا يحب المعتدين » ·

---

(1) Prothro : Ibid. p. 273.

واذا كان الموقف من العدوان يختلف من طائفة دينية لاخرى فى لبنان ، فهناك تباين فى موقف الامهات من السلوك العدوانى للابنة والابن ، فالامهات يشجعن الصبى على الشجار والعراك ، ويمدحن فيه هذا السلوك · بينما يحرمن ذلك على الابنة · وتقترب هذه النتيجة معما توصل اليه محمود حسن(١) لبعض أسر الاحياء الشعبية فى مدينة الاسكندرية ، اذ أبانت المعلومات التى جمعها محمود حسن أن الاسر فى الاحياء الفقيرة فى الاسكندرية تعامل ابنها بقسوة أكثر من البنت ، وتأخذ ابنها بالشدة والعنف والغلظة أكثر من البنت ، وهذه النتائج متناقضة مع البيانات التى جمعها عمار عن سلو (١) فالمجتمع هناك يميل الى استعمال القسوة والالزام مع الفتاة أكثر من الطفل ، فالشدة هى ما يميز معاملة الابنة ، ولا يرجع ذلك الى تفوق جنس على جنس ، بل الى القيمة الاقتصادية والاجتماعية للذكر والتى تحقق للاسرة الاستمرار والمكانة · ويؤمن أهل سلوا أيضا بالعقاب لردع كل انحراف ، وقد شاع بينهم ··· (العصا لمن عصا) لاعتقادهم أن العصا سيردع المنحرفين الى الصواب ، وتحمل التربية فى سلوا مزيجا من الحب والقسوة · ويرى عمار أن استخدام القسوة له نتائجه السيئة التى تدفع الاطفال الى الكذب وممارسة الخداع· وقد بين لنا محمود عبد القادر فى دراسته للاساليب الشائعة للتنشئة فى الريف المصرى (٢) تباين تصرفات الامهات عندما يعتدى أطفالهن على الاخرين بالضرب ،

فالامهات فى الريف يلجأن الى تخويف أولادهن أو تهديدهم أو ضربهم عقابا لهم على السلوك العدوانى على الغير ، كذلك فالاستجابة فى الريف تدل أغلبها على شجب هذا السلوك ورفضه والاعتذار للمعتدى عليه من الابن أو أهله · وهناك فئة قليلة من الامهات تحبذ هذا التصرف من الابن ، أما فى الحضر فالغالبية العظمى من الامهات يرفضن هذا السلوك العدوانى من الاطفال ، فهناك تشابه بين الريف والحضر أمام هذا السلوك ، وان كان الحضر أقل تزمتا أمام السلوك العدوانى· أما

---

(١) محمود حسن : احتياجات الطفولة فى مجتمعات المساكن الاقتصادية بجامعة الاسكندرية · جمعية الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية ١٩٧٧ ·

(2) Hammed Ammar, Growing up in an Egyptain Village. op, cit.

(٣) محمود عبد القادر : الاساليب الشائعة للتنشئة فى الريف المصرى (المرجع السابق) ·

حق الابن فى الاخذ بثأره ، فنجد أن بعض الامهات فى الريف والحضر يرفضن هذا التصرف وبعضهن يبيح للابن حق الـرد على العدوان ، رد فعـل لاستجابة مملوءة بالتهديد الانفعالى ، والنمط الشائع فى مواقف العدوان على الابناء هو حث الطفل على طلب السلام ، وان كان الامر يتطلب التضحية ، فالامهات وان رفضن أن يعتدى أولادهن على الاخرين ، فانهن يستنكرن أن يعتدى على أولادهن ٠

وتصرفات الامهات اللبنانيات تتقارب مع تصرفات الامهات المصريات فى مثل هذا الموقف٠فان تقبلت الام اللبنانية عراك الاولاد وشجارهم فلا يعنى هذا أنها تقبل السلوك العدوانى فى جميع أشكاله ، اذ لا يسمح للابن أن (يشخبط عـلى الحائط) كما لا يسمح له أن يثير الضوضاء ٠واذا ما سمح له بالعدوان على الغير فانه محرم على الاخوة وأعضاء الاسرة ، ونفس السلوك نجده عند الاسر المصرية عندما يحاول الابن الاستيلاء على حاجيات الغير دون علمهم (١)فالاستيلاء عـلى حاجات الغـير عـدوان صريـح لقدسيـة ملكيـة الاخريـن ٠ والموقف الشائـع من قبل ما يقرب من نصف الامهات هو التخويف والتهديد والضرب ، وهى استجابات تعكس حرص الامهات على تمثيل الطفل لقيم الامانة واحترام ملكية الاخرين ٠

يلى ذلك أسلوب حث الطفل وتفهمه لمعنى السلوك الصادر منه ثم اسلوب النصح والارشاد ،وتبصيره برد ما استولى عليه الى صاحبه ٠ وفى هذا الموقف نجد أن نسبة ضئيلة من الامهات تقف موقف التزمت البالـغ ، ونسبة تقف فى أقصـى التسامح ، والامهات فى الحضر أكثر تسامحا من الامهات فى الريف مع الطفل فى هذا الموقف ٠ كما أنهن أكثر تفهما لطبيعة السلوك الصادر عن الطفل ، وأقـل تضخيما وتهويلا من الناحية الانفعالية ٠ فالاعتداء على ملكية الاخرين يدخل فى دائرة المحرمات فى الريف ، بعكس الحال فى الحضر ، فالامهات أكثر تسامحا ٠

أما عن تصرفات الامهات ازاء الحاح الاولاد فى طلب أشياء تخص الغير ، فتدل على استجابة الامهات المصريات لعدم حرمان الطفل مما يطلبه ، فالامهات وان كن لا يسمحن بالاستيلاء على ما عند الغير ، فانهن يحاولن شراء مثل هذه الاشياء التى يرغب فيها الابن ، وهذه النتيجة لا تؤدى الى شعور الابن بالاحباط ، ويدعم

---

(١) محمود عبد القادر : المرجع السابق ٠

من تقبل الجماعة عنده ، وهناك مجموعة من الامهات تلجأ الى أسلوب المنع والعقاب البدنى والزجر • ونجد أن تحقيق طلبات الطفل هى الاستجابة الاكثر شيوعا فى الحضر ، اذا كانت طلبات الطفل معقولة فى متناول الاسرة وامكانياتها المادية ، ولا يجد الباحث فرقا بين تصرف الامهات فى الحضر أو الريف فى هذا الموقف •

فأساليب التنشئة كما يقول محمود عبد القادر تدعم بقوة الهدوء والطيبة والدعة والسلام ، ولا خلاف فى ذلك بين المستويات الاقتصادية المختلفة فى الريف والحضر (١) ، وكما يحرم العدوان على أفراد الاسرة ، يحرم أيضا الكذب ، وبنفس القوة • اذ أبانت البيانات التى جمعها سعيد فرح من بعض الصبية فى مدينة الاسكندرية (٢) ، أن ٩٦٪ منهم يرفضون الكذب على الام ، مقابل ٦٦٪ يهابون الكذب على المدرسة • أما عند التعامل مع الغرباء ، فتقل نسبة الصادقين ، وتزيد نسبة الكاذبين وهذا يعنى تقدير الطفل للسلطة • وهم يتعاملون مع السلطة أيا كانت بأخلاق تغاير الاخلاق التى يتعاملون بها مع الاخرين •

وماذا تفعل الامهات عندما يعصى الطفل أمرا ؟ ومتى يعاقب ؟ لم تظهر دراسة بروثرو أية فروق طبقية أو فروق حضرية لنوع العقاب الذى يوقع على الطفل اللبنانى • ولكن الدراسة كشفت عن وجود أنواع متباينة للعقاب بين الطوائف الدينية المختلفة (٣) •

والعقاب أكثر احتمالا اذا اعتدى الطفل على والديه • كما أن اللامبالاه هى رد الفعل الاكثر شيوعا اذا اعتدى الطفل على أطفال غرباء • والعقاب البدنى أو السب هما الاسلوبان الاكثر شيوعا للسيطرة على الموقف • وقد أجابت ثلاثة أرباع الامهات بأنهن يعاقبن الطفل اذا أخطأ ، اما بضربه أو توبيخه أو تهديده • ويبدو أن العقاب البدنى هو الوسيلة الرئيسية التى تستخدمها الامهات اللبنانيات لقمع الابن المتمردوالطفل المخطىء• وتلجأ الامهات الارمنيات الى ضرب أطفالها وتأنيبهم أكثر

---

(١) محمود عبد القادر : المرجع السابق •

(٢) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية • رسالة دكتوراه • جامعة الاسكندرية • كلية الاداب ١٩٧١ •

(3) Prothro, E. J. : Child Rearing in the Lebnon, op cit.

من الامهات المسلمات،وهن أكثراستخداما للعقاب البدنى وايمانا بجدواه من الامهات المسلمات • وهذه الفروق فى استخدام أساليب العقاب بين المسلمات والامهات من الارمن تكشف عما يرى بروثرو عن ارتباط العقيدة بالسلوك (١) •

أما اذا أدى الابن سلوكا مرضيا ، فهل يثاب على ما فعل ؟ كشفت البيانات التى جمعها بروثرو أن حوالى نصف الامهات تكافأ أولادها على السلوك المقبول ، والباقيات يتجاهلن الموقف (٢) • والمكافأة التى تقدم الى الطفل عادة هى الاطعمة ، فالطعام هو الصورة المميزة للحب وعلامة الرضا والقبول فى البلدان العربية ، وتتفق هذه البيانات مع ملاحظة بيرجر (٣) ، بأن جوهر الكرم فى البلدان العربية هو تقديم الطعام ، ولقد جمع محمود حسن بيانات عن أساليب الثواب والعقاب من الاحياء الشعبية فى مدينة الاسكندرية (٤) ، تختلف عما لاحظه بروثرو وبيرجز • فالثواب على الاعمال الطيبة ، يتمثل عند هؤلاء الفقراء فى كلمات الثناء على الطفل والاطراء والتشجيع أو زيادة المصروف •

ولكن النتائج التى حصل عليها بروثرو عن أساليب الثواب والعقاب الشائعة بين الامهات اللبنانيات تتقارب مع النتائج التى توصلت اليها الدراسة المسحية الشاملة لاحتياجات الطفولة فى مصر (٥) • اذ أبانت المعلومات المتاحة من هـذه الدراسة المسحية أن العقوبة البدنية هى الوسيلة الاولى التى تعتمد عليها الاسرة المصرية عامة اذا ارتكب الطفل فعلا مخالفا لاوامر الاسرة ، والامـر الغريب أن الامهات يلجأن الى الضرب أكثر من الآباء • أما الاسلوب الذى يلى العقوبة البدنية فى الانتشار ، فهو الاقناع ، ومناقشة الطفل فى أخطائه • أما الصراخ ، وقـذف الطفل بوابل من الشتائم فيأتى فى المرتبة الثالثة • ويلى هذا الاسلوب فى المرتبة

---

(1) Prothro : Ibid p. 283.

(2) Prothro : Ibid p. 278.

(3) Berger Moore, Tht Arab World To Day. op cit.

(٤) محمود حسن : احتياجات الطفولة فى مجتمعات المساكن الاقتصادية بمحافظة الاسكندرية • المرجع السابق •

(٥) المركز القومى للبحوث الاجتماعية • احتياجات الطفولة • المرجع السابق•

الرابعة حرمان الطفل من الاشياء التى يحبها رغم أنه من أجدى الاساليب التربوية من الناحية النفسيـة ثـم يأتى فى المرتبة الخامسة التهديد بالضرب .

أما عندما يحسن الطفل التصرف ، ويظهر الطاعة لوالديه فنجد أيضا اختلافا بين أنواع الثواب والعقاب فى الريف والحضر فى مصر . ولقد أبانت لنا دراسة محمود حسن أن ما يزيد عن ثلثى الاسر توقع العقاب على أطفالها اذا ما أخطأوا . بل أحيانا ما تلجأ بعض الاسر الفقيرة الى طرد الابن من البيت . والعقاب الجسدى والضرب هما الاسلوبان الاكثر شيوعا مع الصغار أبنـاء الفقراء . أما العقـاب النفسى ، من تأنيب وحرمان من مصروف وطرد فأكثر شيوعا بين الاطفال الكبار .

وهناك أسر تنفرد فيها الام بعقـاب الابن ، وهناك بعض الامهات يؤجلـن العقاب حتى يحضر الاب من عمله لينزل عقابه على الصغير . وهناك بعض الامهات يتصرفن حسبما يمليه الموقف ، فالخطأ البسيط تقومه الام ، أما الخطـأ الفادح ، فيترك حتى يحضر الاب ، وعلى العموم فالموقف هو الذى يحدد نوع العقاب ، ومن يقوم بـه ؟ وهل يؤجل أم لا ؟

وتختلف المعلومات التى جمعها محمود حسن من الاحياء الشعبية التى تؤكد أن الضرب هو الوسيلةالاكثر شيوعا بين الصغارمعالبيانات التىجمعتها انتصار(١)، من أحياء مغايرة فى المستوىالاقتصادى والاجتماعى عن الاحياء الشعبية فى مدينة الاسكندرية.اذ أبانت البيانات المتاحة التى جمعتهاانتصار أنالعقابالبدنى والضرب لا يوقعان على الطفل دون الثالثة ، وحتى لو ضرب الطفل فهذا الاسلوب فى العقاب يحتل المرتبة الثانية بعد توضيح الاخطاء للصغير ، ونصحه لاداء السلوك المقبول ، وهذا يعنى أن الضرب يعتبر وسيلة رئيسية من وسائل تربية الطفل اذا ارتكب فعلا يخالف السلوك المتفق عليه ، مما يدل على قسوة المعاملة الوالدية أحيانا . ولكن اذا كان الوالدان قاسيين غليظين عندما يكذب الطفل أو يسرق أو يتلفظ بألفاظ نابية فانهما أكثر لينا وعطفا أمام طلبات الطفل ورغباته . فالاسر قلما تقسو على الطفل

---

(١) انتصار يونس : الاسرة وسلوك الطفل : اعداد انتصار يونس وأحمد العادلى مركز بحو ثالخدمة الاجتماعية بالاسكندرية ١٩٧١ ص ٢٥ .

وترفض طلباته • فأغلب الاسر تلبى الرغبات الممكنة لطفلها ، محايلة وارضاء له ، أما الذين يمتنعون عن تلبية رغباته فيفعلون ذلك لمجرد صعوبة تحقيقها •

ولكن هذا الحنو والعطف سرعان ما يتلاشى اذا أراد الطفل التخلص من ملابسه واللعب وهو عار (١) • حقيقة أن استجابات الامهات تتباين بين أقصى التساهل الى أقصى التزمت حيث يوقع العقاب البدنى على الطفل • ولكن النمط الشائع هو رفض تعرية الاعضاء التناسلية ، فالامهات يغطين هذه الاعضاء ثم ينصحن ويوجهن الصغار الى عدم الكشف عنها ، وأخيرا ينزلن العقاب البدنى ، أما النمط الشائع فى الحضر المصرى فهو العقاب البدنى المتشدد ثم اسلوب الحرمان المعنوى والمادى من الامتيازات التى يتمتع بها الطفل •

وتكشف لنا هذه المعلومات التى وفرتها مجموعة من الدراسات أنه توجد فروق ذات دلالة بين أسلوب العقاب فى مجتمع القرية وأسلوب العقاب فى مجتمع المدينة ، ففى حين يتسم العقاب فى الريف بالشدة والقسوة والغلظة والضرب نجد أن التسامح واللوم والنصح من أكثر أساليب التنشئة انتشارا فى الحضر •

والان وبعد أن عرضنا للسلوك العدوانى عند الطفل وعمليات الثواب والعقاب نبحث مدى اهتمام الوالدين بتدريب الابن الاعتماد على نفسه •

التدريب على الاداء والاعتماد على النفس :

يرى بعض علماء النفس أن تنمية الشعور بالاستقلال عند الطفل وعدم اعتماده على الاخرين يدعم عن طريق التدريب على أداء السلوك المستقل، فى فترات مبكرة من حياته ، ولن تجهض أبدا توحدات الطفل مع القيم التى تؤكد الاعتماد على النفس ، اذ تهدف التربية الاستقلالية تعويد الطفل الاعتماد على النفس ، وعدم الاعتماد على الوالدين، أى تعويد الابناء على تدبير شئونهم بدلا من الهيمنة والتسلط على تصرفاتهم ، مما يقتل عندهم أى اتجاه الى الاعتماد على النفس •

---

(١) محمود عبد القادر : الاساليب الشائعة للتنشئة فى الريف (المرجع السابق)

وقد درس بعض الباحثين العرب مدى اعتماد الطفل على والديه ، أو نفسه ، لما لهذا السلوك من آثار اجتماعية ونفسية بل واقتصادية هامة • وقد كشفت لنا انتصار يونس (١) فى دراستها لاطفال دور الحضانة فى مدينة الاسكندرية أن التربية الاستقلالية أكثر ظهورا بين أطفال المستوى الاجتماعى والاقتصادى المرتفع، كماأن التعاون مع الاطفال الاخرين بعيداعن اشراف الاسرة، كان ظاهرا بين أطفال المستوى الاقتصادى والاجتماعى المرتفع ، وهذه النتيجة تقارب مع النتيجة التى توصل اليها نجيب اسكندر وزميله (٢) ، اذ بالرغم من أنهما بينا أن الطفل فى الطبقة المتوسطة لا يستطيع أن يفكر فى الاستقلال بحياته أو مواجهة مشكلاته الاقتصادية فى سن مبكر مستقلا عن أسرته ، فقد ذكرا أن أفراد الطبقة الوسطى فى مصر ، أكثر حرصا على تعويد أطفالهم الاعتماد على أنفسهم فى بعض المواقف – مثل ارتداء وخلع الملابس فى سن مبكرة ، واستذكار دروسهم – وهم فى هذه المواقف أكثر من آباء الطبقات الدنيا حرصا واهتماما بتعويد الابناء الاعتماد على النفس مخالفين فى ذلك أباء الطبقة الدنيا التى يستقل أولادها اقتصاديا أحيانا فى سن مبكرة ، عندما يقذف بهم الى سوق العمل ، ولو للحصول على غذائه •

وقد أبانت أنعام عبد الجواد (٣) ، أن الغالبية العظمى من أمهات العينة التى اعتمدت عليها يعلمن أولادهن ارتداء الملابس وخلعها وتنظيمها ، ولا فرق فى هذا بين العاملات وغير العاملات • وقد بينت المعلومات التى جمعتها أنعام أن تعليم الطفل الاعتماد على نفسه فى بعض الامور يبدأ عند بعض الامهات عندما يبلغ الطفل عامين ، وهناك مجموعة من الامهات تعود أطفالها الاعتماد على النفس عندما يبلغون العام الرابع ، وهناك مجموعة ثالثة تهتم بتدريب أولادها على أداء بعض الاعمال

---

(١) انتصار يونس : الاسرة وسلوك الطفل • المرجع السابق •
(٢) نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • المرجع السابق •
(٣) انعام عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة • المرجع السابق •

بأنفسهم عندما يبلغون العام السادس ، ولا تظهر الدراسة أية فروق بين العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بمدى اهتمام الامهات بتعويد الصغار فى وقت مبكر نسبيا على الاداء المستقل • وقد أظهرت لنا دراسة سعيد فرح (١) ، عدم وجود فروق ذات دلالة عن تفاوت السن المناسب لاداء الصبية أفعالا معينة عند الامهات العاملات والمتفرغات فى الاسكندرية • وقد أجمعت الامهات على أن السن المناسب لاستقلال الابن نسبيا وبدء اعتماده على نفسه هو العام الثامن • ولكن الدراسة المسحية الاكثر شمولا التى قام بها المركز القومى للبحوث فى مصر (٢) ، بينت أن عدد الامهات المشتغلات اللواتى أتحن الفرصة لابنائهن للاعتماد على أنفسهم ، وللتعبير الحر التلقائى عن شخصيتهم أكثر من الامهات غير العاملات •

ولقد وجد نجيب اسكندر (٣) • ، أن موقف الاسرة من خروج الطفل الى الشارع بمفرده يختلف من طبقة لاخرى ، فالطبقة الدنيا أكثر اهتماما بدفع أبنائها الى الشارع فى سن أصغر من أبناء الطبقة المتوسطة ، فأكثر من نصف أباء الطبقة الدنيا يدفعون بأولادهم للعب فى الطريق عندما يبلغون العام الرابع ، وقد بين نجيب اسكندر أن هناك تفاوتا فى تعويد الاولاد الاستقلال فى الخروج خارج نطاق الاسرة ، واتاحة الفرصة للاحتكاك بالآخرين واكتساب الخبرات • والطبقة المتوسطة أكثر تزمتا وربما جبنا ازاء خروج الابن الى الطريق بمفرده ، أما الطبقة الدنيا فأكثر تساهلا وتراخيا •

وقد أظهرت البيانات التى جمعها سعيد فرح من بعض أسر مدينة الاسكندرية (٤) كراهية الامهات العاملات والمتفرغات انطلاق الابن الى الطريق العام، ومخالطة الصحبة واللعب معهم• كما لا توجد فروق أساسية بين العاملات

---

(١) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية • المرجع السابق •
(٢) المركز القومى للبحوث الاجتماعية : احتياجات الطفولة • المرجع السابق •
(٣) نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • المرجع السابق •
(٤) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية • المرجع السابق •

والمتفرغات اللاتى يكرهن نزول الفتيات الى الطريق العام واللعب مع أصحابهن ، فالامهات يخشين لعب الابناء من البنين والبنات فى الطرقات بعيدا عن الرقابة الاسرية خوفا من الاختلاط مع صحبه السوء مما يؤثر فى سلوك الاطفال ، وكذلك خشية تعرض الصغار لحوادث الطريق ، تلك الحوادث التى أصبحت لازمة من لوازم المدينة ٠

ولقد كشفت الدراسة نفسها التى قام بها سعيد فرح أن ما يقرب من ثلثى الامهات فى عينة بحثه يعودن أولادهن شراء المشتروات من الخارج ، ويعودن أطفالهن مسئولية الشراء والتعامل مع البائعين ، كما أظهرت الدراسة أن ما يقرب من ٣/٥ العاملات يدربن أطفالهن على أداء بعض الحاجات المنزلية خارج البيت وقضاء الخدمات الاسرية ، ويدل هذا الاهتمام بتدريب الاولاد على أداء بعض الاعمال على تنمية القدرة على الاعتماد على النفس ، وانجاز الشخص لمطالبه وحاجاته دون الاعتماد على الاخرين ٠

وتؤكد بعض الدراسات الميدانية أن هناك فروقا بين الامهات تؤكد ضرورة تعويد الابن القيام بأعمال معينة والاعتماد على نفسه ، وأن السن المثالى لذلك هو العام الثامن ، وان كانت بعض الامهات لا زالت تشعر أن الطفل ابن التاسعة فى حاجة اليها ويؤكد ذلك شعور أغلبية الامهات بالقلق اذا تركن أولادهن بمفردهم،ولا تعطى الامهات أولادها حرية اللعب بمفردهم زمنا طويلا ، اذ تقوم الامهات من حين لآخر بملاحظة ما يفعلون ٠

ومن العرض السابق يتضح أن تعويد الابن الاعتماد الكامل على النفس لا يوجد بمعناه الصحيح فى مصر على الاقل ، فالامهات لا يدربن أولادهن الاعتماد على النفس فى كل المجالات ، وحل مشاكلهم ، وتحملهم مسئولية أفعالهم ، اذ الواقع عكس ذلك تماما ، اذ دائما تحاول الامهات ربط أولادهن بهن ، وهن ينمين عندهم الرغبة فى الاعتماد على والديهم ، ويجهضون الدافع الى الفعل الاستقلالى ان بدا ، ولهذا أثاره السيئة فى الكبر ، اذ يظل هؤلاء الصغار معتمدين على السلطة الحكومية بعد السلطة الوالدية فى تلبية حاجياتهم ٠ مما يؤدى الى عدم القدرة على تحمل المسئولية والانجاز للوصول الى غاياتهم ٠

والآن وبعد أن حللنا أساليب الاسر فى تعويد الابن الاعتماد على النفس ، ننتقل الى تحليل أساليب الاسر فى تحقيق مبدأ المساواة بين الابناء سواء الذكور والاناث أم الصغار والكبار .

٤ - المساواة بين الابناء :

ما أسلوب المعاملة الوالدية للابناء من الجنسين داخل محيط الاسرة العربية ؟ ، وما مكانة الابن والابنة فى المعاملات الاسرية ؟ وهل تغيرت النظرة الى الولد والبنت . وما أثر ذلك فى توحد الطفل مع القيم التى تؤكد المساواة . فالطفل يدرك من والديه أثناء تفاعله معهم معنى المساواة ، ومدى احترام كل جنس للاخر، أو تمييز جنس على جنس ، ومدى تباين أسلوب المعاملة مع كل جنس . فالطفل يتعلم من سلوك والديه القيمة النسبية لكل جنس . وكيف يستجيب الى الذكر أو الانثى ، واعطاء كل جنس ما يستحقه من الاحترام .

ويرى باتى أن ثمة تباينا كبيرا بين تنشئة الولد والبنت فى طور الطفولة الاول ، ويمكن أن نجد من خلال هذا التباين العوامل الاساسية التى تكون نوعية العلاقات المميزة بين الرجل والمرأة فى بعض بلدان الشرق الاوسط (١) . هذا التباين فى المعاملات الوالدية لكل من الولد والبنت ، يرجع الى أسباب اقتصادية وثقافية ، وقد أشارت الدراسة المسحية الشاملة للمركز القومى للبحوث ، الى أن الاباء من المستويات الاقتصادية والاجتماعية الاعلى ، كانوا أكثر سماحة وعدلا فى معاملة الابناء كما أن الاباء فى المناطق الحضرية أكثر عدلا بين أولادهم من الاباء القرويين . فالاغلبية فى الحضر لا يفرقون بين البنت والولد ، أما فى الريف فالامهات أكثر عدلا فى معاملتهن للابناءمن الآباء ، اذ تبين أن ما

---

(1) Pati, Rapheal : The Family. In Golden River to Golden Road op cit, pp. 98 - 99.

يقرب من ثلثى الامهات فى الريف ، وحوالى نصف الاباء القرويين ، يعطون نفس الاهتمام للولد والبنت (١) ٠

وهناك أمهات لا يخفين تميز الابناء الذكور عن الاناث ، ولكن هذا التمييز أكثر انتشارا فى الريف من المدينة ٠ ويقابل هؤلاء فى أقصى الطرف الاخر أمهات يحابين البنات برعاية تفوق ما يلقاه منهن البنين ٠ ولكن نسبة هؤلاء قليلة ٠

وهناك فئة من الآباء لا يعدلون بين أولادهم ، فهناك مجموعة تميز الذكور ، كما أن هناك آباء وأمهات يميزون البنات ، وهؤلاء جميعا يتزايدون فى الريف عن المدينة ٠ وقد كشف لنا هذا البحث عن نتيجة هامة تكشف عن التغير الاجتماعى الذى حدث فى مصر ، فالامهات الاصغر سنا هن اللاتى يعطين اهتماما متساويا للابناء من الذكور والاناث ٠ كما أن الآباء الذين يعدلون بين أولادهم هم الارقى تعليما ٠ وتعلو قيمة الابن الذكر عن الابنة فى الريف بين الاسر الفقيرة ، والقليلة الدخل ، باعتبار أن الابن الذكر له قيمة اقتصادية منذ صغره ٠

وقد كشف لنا ذلك البحث أيضا عن وجود فروق بين المفهومات المتصلة بكل من الذكورة والانوثة فى الثقافة المصرية ، سواء فى الريف أم الحضر ، فبينما يسمح ببعض الحرية للفتى الذى يقترب من الرجولة ، فان هذه الحرية تنكر تماما على الفتاة التى تظل تعامل كما لو كانت طفلة صغيرة لتدريبها على الطاعة ، والخضوع والخنوع ٠ ولاعدادها باعتبارها انسانا لدورها كانسان يؤدى دورا ثانويا تابعا لدور الرجل ، وقد أبان البحث نفسه أن هناك سلوكا متقاربا متوقعا من الاب والام فى الحضر ، أما الاطفال فى الريف فالمعاملة الوالدية تختلف من موقف لآخر، كما يختلف أسلوب معاملة الولد عن البنت ٠

---

(١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية: بحث احتياجات الطفولة فى ج٠م٠ع٠ المرجع السابق ٠ ص ٨٤ ــ ٩٠ ٠

وعلى مستوى مدينة الاسكندرية ، أوضحت البيانات التى جمعها محمود حسن من ثلاثة أحياء شعبية (١) • أن الابوين يفضلان الولد عن البنت ، وينعكس هذا التفضيل على الحقوق التى يحصل عليها الاولاد • وقد أدى هذا التفاوت فى المعاملة بين الولد والبنت الى شعور البنت بالنقص ودنو المكانة • ولايقتصر التفضيل على تمييز الولد عن البنت بل يشمل تفضيل الابن الاكبر على الابن الاصغر ، أو تمييز الاصغر أو تدليله وعلى العموم فالابن الاكبر له منزلة خاصة •

وهناك قيمة أساسية فى المجتمعات العربية هى احترام الكبير والعطف على الصغير ، ولكن هذه القيمة بدأت تتغير ، وحل محلها قيمة العدالة بين الاولاد كبيرهم وصغيرهم (فكلهم أولادى) ، وتظهر المقارنة بين دراستى عايدة عبد اللطيف وسعيد فرح اللتين أجريتا فى محافظة المنيا ، ودراسة نجيب اسكندر (٢) ، التى أجريت منذ ١٥ عاما عن التغير الحادث فى معاملة الاولاد • فالاغلبية منذ ١٥ عاما كانت تفضل الاكبرعلى الاصغر ، وتعامل الذكر أحسن من الانثى ، ولكن الامر تغير ، وحلت قيم المساواة بين الابناء محل محاباة البعض •

ولكن نمط تفضيل الكبار قد بدأ يتضاءل ، وإن لم يختف ، حتى فى الريف والمجتمعات البدوية • وقد بينت دراسة سيد عبد العاطى عن احتياجات الطفولة فى المجتمعات الريفية والبدوية (٣) ، أن المساواة فى معاملة الاولاد لا تتحقق الا فى

---

(١) محمود حسن : احتياجات الطفولة فى مجتمعات المساكن الاقتصادية بمحافظة الاسكندرية • المرجع السابق •

(٢) عايدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية : دراسة فى المجتمعات الريفية والحضرية ، المرجع السابق ، سعيد فرح : احتياجات الطفولة فى المنيا ، الفصل الثالث فى كتاب دراسات فى المجتمع المصرى • المرجع السابق ، • نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • المرجع السابق •

(٣) السيد عبد العاطى : احتياجات الطفولة فى المجتمعات الريفية والبدوية • المرجع السابق •

الامور التى تتعلق بالغذاء والكساء واشباع الحاجات النفسية ، أمـا فى أمـور التعليم والمسائل الشخصية والمصروف فهناك تفاوت فى المعاملة ، ويرجع التفاوت فى المعاملة وسيادة الذكر على الانثى فى القرية البدوية الى تسـلط القيم التقليدية المتوارثة عن تفوق الذكر وتميزه ·

وقد أكدت أحدث دراسة عن الطفل المصرى ، والتى قام بها فريق بحث اعادة بناء الانسان المصرى(١) · أن هناك تأكيدا على فوارق السن والجنس فى بعض أنحاء مصر، سواء فى مجال التفاعل الاسرى أو مجال التفاعل بين الاباء والابناء · فلا زالت بعض الاسر تحرص على تناول الاب الطعام بمفرده ، وهناك أسر لا يتبادل فيها الآبـاء الحوار مع أولادهم · وهناك تقديس واحترام للقيم التى تؤكد سيادة الذكـر والفارق فى السن · وهذه التفرقة تظهر أكثر ما تظهر فى المجالات البعيدة عـن اشباع الحاجات البيولوجية · كما أن أهل الريف لا يميلون الى المساواة بين الصغار والكبار ·

وقد كشفت لنا نتائج البحوث الميدانية عن كيفية معاملة الآبـاء والامهات للابناء النتائج التالية :

ان المساواة بين الابناء تتحقق فى المدينة أكثر من الريف ، وان المساواة بين بين الاخوة والاخوات بين أسر الطبقة الوسطى أكثر منها بين الطبقات المحرومة ، فأكثر أهل المدينة يؤمنون بالمساواة والعدالة بين الاولاد الصغار ، ولا نجد فرقا فى ذلك بين العاملات ، وغير العاملات فى مدينة القاهرة أو الاسكندرية · ويؤكد الآباء والامهات فى المدينة على ضرورة تعليم الابن والابنة ، ما دام لديهم القـدرة عـلى التحصيل ، وعلى حق الابنة فى العمل ، وأن كان هذا أكثر انتشارا فى المدينة عنه فى الريف ، أما فى الريف فالنمط الثقافى السائد فهو تفضيل الولد الذكر ، ويرجع

---

(١) جامعـة الاسكندرية : الطفل المصرى · فـى اطـار التنميـة الاجتماعيـة والاقتصادية · التقرير الاول لابحاث اعادة بناء الانسان المصرى · ص ٥٦ ·

ذلك لاسباب عديدة ، فرغم أن الابنة قد تكون أكثر عطفا على أهلها الا أن الولد مفضل عن الابنة. فالبنت كما يعتقدون لزوجها ، ولا تنال أسرتها منها شيئا بعد زواجها ، أما الابن فيخلد اسم العائلة ، كما أنه أكثر قدرة على العمل ، ويعتبر مصدرا للدخل وحارسا على ثروة الاسرة ، وبجانب هذه المعتقدات ، هناك اعتقاد سائد بأن تربية الابنة أكثر صعوبة من تربية الابن . فأخطاء الولد فى مجتمعنا الريفى يتحمل مسئولياتها الولد وحده ، أما الاخطاء التى تصدر عن الابنة فتتحمل أوزارها الاسرة كلها .

وهذا التأكيد لقيمة الولد على البنت ، وتفضيل الذكر على الانثى ليس نمطا شائعا فى كل البلدان العربية ، فقد لاحظ زكى اسماعيل فى دراسته لقبيلة الشلك بالسودان (١) ، أنه رغم اهتمام الآباء بالابناء لتأكيد المنزلة الاجتماعية للقبيلة فانهم يفضلون البنات على الذكور فالابنة تعد ثروة اجتماعية واقتصادية هامة ، فهى تمهر عند زواجها قطيعا من الابقار يزيد من مكانة الاسرة وثروتها ، أما الولد فهو يطلب من أبيه أن يقدم الابقار ليتزوج ، وغالبا ما يكون زواجه من مهر أخته .

وعلى العموم ، فرغم تفضيل الآباء والامهات لانجاب الذكور عن الاناث وخاصة فى الريف وتفضيل الابن الاكبر فى المعاملة عن غيره ، فالاتجاه النامى هو المساواة بين الابناء على أساس السن والجنس ، ويزداد هذا الاتجاه يوما بعد يوم ، ولكنه أقوى فى المدينة ويلقى قبولا من المتعلمين أكثر من غيرهم .

وبعد أن درسنا اتجاهات الوالدين نحو المساواة بين الابناء نتقدم خطوة ونحاول معرفة التطلعات الوالدية لمستقبل الابناء .

---

(١) زكى اسماعيل : التربية والبناء الاجتماعى ، دراسة فى مجتمع بدائى ، قبيلة الشلك رسالة دكتوراه . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية كلية الاداب ١٩٧٥ ص ٢٧٩ .

٥ ـ التطلعات الوالدية :

يمر المجتمع العربى بمرحلة شاملة من التغير الاجتماعى والاقتصادى ، أدت الى تغير المكانات الاجتماعية لكثير من الافراد ، واتاحة الفرص للقادرين للحصول على مزايا ومكاسب عديدة وجديدة ، لم تكن متاحة منذ سنوات مضت • ومن ثـم تطلع الآباء والامهات الى تحقيق ما أفتقدوه فى طفولتهمفى أولادهم مؤملين تحقيق مستقبل أفضل لاولادهم تعويضا عما حرموا منه الاباء والامهات وخاصة فى مجال التعليم • وتعكس هذه التطلعات الوالدية نوعية البناء الاجتماعى الذى عاش فيه الوالدان ، والذى يتغير تغيرا سريعا • وتنعكس آثار هذه التطلعات بما تحمل من قيم ومعايير ومفاهيم على أساليب الوالدين فى معاملة اولادهم ، وتؤثر فى شخصيات الاولاد •

وقد بينت دراسة عماد اسماعيل وزميلاه ما طرأ من تغـير عـلى التطلعات الوالدية ، وقد توصل الى نتيجة هامة هى أن التطلعات الوالدية عند أبناء الطبقة الوسـطى كانت تختلف عـن تطلعات الآبـاء فى الطبقة الدنيـا ، فالاب الاولى يعمل ويضحى من أجل أولاده ، ويهتم اهتماما زائدا بتعليمهم • أمـا الاب فـى الطبقات الفقيرة ، فلا يتطلع الى تغيير مستقبل ابنه ، اذ أن اللامبـالاه والتواكل كانا المعيارين اللذين يحددان مستقبل الاولاد وكان الآباء يتطلعون فى أغلب الاسر المتوسطة الى تعليم أولادهم أفضل تعليم ، ما دام التعليم بالمجـان ، كما كانـوا يتطلعون الى شغل أولادهم لوظائف العمل الحكومى بعدأناختفىنظام توريثالحرف•

وكانت الدراسات الاجتماعية التـى أجـريت عن التطلعات الوالدية فـى السبعينات أوضح مثال لمدى التغير الذى طرأ على البناء الاجتماعى فى مصر ، ولقد

---

(١) محمد عماد اسماعيل : التنشئة الاجتماعية للطفل فى الاسرة العربية • ص ٢٠٢ •

بينت لنا دراسة عايدة عبد اللطيف عن التطلعات الوالدية فى محافظة المنيا (١) ٠ ان الاغلبية الساحقة من الآباء سواء فى القرية أو حتى المنطقة المتخلفة فى المدينة ، يتمسكون بحق أولادهم فى التعليم ، وتتفق هذه النتيجة مع المعلومات التى جمعها سعيد فرح من مدينة المنيا (٢) ، اذ بينت دراسة سعيد فرح أنه لا توجد فروق بين الآباء والامهات ازاء التطلعات الى مستقبل أفضل للابناء سواء فى الريف أو الحضر، وان تباينت مستويات هذه التطلعات ٠ ولم يعد مستقبل الابن المهنى والتعليمى وحده هو الشغل الشاغل للابوين ، كما لم تعد الابنة تحتل مكانة أقل من مكانة الابن فى تفكير الوالدين ٠

والاهتمام بالتعليم هو أهم ما يشغل تفكير الآباء فى المدينة والقرية ، فالشهادة هى الوسيلة للحصول على وظيفة فى مجتمعنا ٠ واذا كانت أغلب أسر المدينة والاسر الغنية فى الريف تتطلع الى تعليم أولادها حتى التعليم الجامعى ، فان الاسر الفقيرة سواء فى المدينة أو الريف تتمنى أن يلتحق أولادها بالمدارس المتوسطة ، تجارية أو زراعية أو صناعية ، ويلى الاهتمام بالتعليم تطلع الوالدين الى تكوين ثروة لاولادهم تؤمنهم من شر الحاجة ثم الاهتمام بالحالة الصحية للابناء ٠ أما الزواج فيحتل المنزلة الاخيرة من اهتمام الوالدين ٠ وقد كشفت الدراستان أن التطلع الى تعليم الابنة أصبح أهم من التطلع الى زواجها عكس القيم المتوارثة فى المجتمع القروى ٠

ولا نجد فرقا بين تطلعات الوالدين لاولادهما فى مدينة المنيا ، وبين تطلعات الوالدين لاولادهما فى مدينة الاسكندرية (٣)٠ وبينت الدراسة التى قام بها سعيد فرح أن الاغلبية الساحقة من الامهات تتطلع الى استمرار أولادها فى دور التعليم

---

(١) عايدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية فى دراسة المجتمعات الريفية ، الحضرية ٠ المرجع السابق ٠

(٢) محمد سعيد فرح : دراسات فى المجتمع المصرى ٠ الفصل الثالث ٠ المرجع السابق ٠

(٣) محمد سعيد فرح : البناء والشخصية ٠ المرجع السابق ٠

حتى الجامعة ، ثم يأتى بعد ذلك عالم المهنة ، بالنسبة للاولاد • والامهات العاملات أكثر اهتماما من المتفرغات باستمرار الابنة فى دور التعليم حتى الجامعة • رغم ايمان هؤلاء الامهات بأن التعليم أمر ضرورى وانه سلاح هام فى مواجهة الحياة • ويرجع الاهتمام بالتعليم أكثر من غيره ، الى أنه الوسيلة الهامة فى مجتمعنا لشغل مهنة منها ندر دخلا • وقد بينت الدراسة نفسها أن أكثر من نصف الامهات يأملن لابنائهن وبناتهن مهنا متقاربة فى المستوى ، وتترك حوالى نصف الامهات الفرصة لاولادهن لاختيار المهنة ، ولا يتحيز تفكيرهن الى اختيار مهنة معينة للابن أو للابنة ، وان كان أغلب الامهات يتطلعن الى شغل أولادهن من الجنسين لمهن تقليدية كالمهندس والطبيب ، ويرجع ذلك الى ارتفاع دخول أصحاب هذه المهن ، وقلة هى التى تقبل لاولادها أن يعملوا فى مهن حديثة ، كأن يعمل رساما أو موسيقارا أو أن تعمل الابنة مضيفة طيران •

وتتطلع أغلب الامهات لالحاق بناتهن بالمدارس التى تؤهلهن لمهن يتكسبن منها ، مقابل قلة تتطلع أن تلتحق بناتها بالمعاهد والمدارس التى تعدهن للحياة الزواجية • فالاغلبية تتطلع الى تعليم بناتها من أجل الالتحاق بمهنة وتعزف عن التعليم النسوى • كذلك بينت الدراسة ان الاتجاه المتوارث باعداد البنت لبيت الزوجية اتجاه ضعيف يؤكد ذلك زيادة اهتمام الامهات بعمل الابنة كسلاح يعطيها الامن الاقتصادى والاجتماعى ، وتفضل أغلبية الامهات استمرارابنتها فى التعليم بدلا من الزواج ، والانصراف الى بيت الزوجية •

وقد أظهرت لنا الدراسات الحديثة أنه ما زالت هناك فروق بين تطلعات الوالدين بالنسبة للابن والابنة ، برغم أن التعليم هو أهم ما يؤرق فكر الوالدين ، سواء بالنسبة للابن أو الابنة اذ بينت بعض البحوث أن ما يتطلع اليه الوالدان ازاء مستقبل الابنة أو الابن يختلف كثيرا ، فالتعليم ثم العمل ثم الزواج هو أهم ما يشغل بال الوالد بالنسبة لولده، أما مايتطلع اليه الوالد بالنسبة للابنة، فأولا التعليم ثم الزواج ، ويأتى بعد ذلك العمل • وقد احتل التعليم المرتبة الاولى فى التطلعات الوالدية لمستقبل الابناء من الجنسين ، وهو سلاح ضرورى فى مجتمع مفتوح يلعب

فيه التعليم دورا كبيرا فى أحداث الحراك الاجتماعى • ثم يأتى العمل بعده كأهم ما يشغل بال الوالدين بالنسبة للولد ، ولكن بالنسبة للابنة فالزواج يأتى بعـد التعليم ولكنه لا يفضل عن العمل ، فهو المرفأ الاخير عند أغلبية الامهات •

ولقد شجعت مجانية التعليم الآباء على التمسك بحق أولادهم فى الالتحـاق بالمدارس المجانية وألا يحرموا من هذا الحق الا نتيجة قصور قدراتهم العقلية ، أو العجز عن المثابرة والاستمرار فى الدراسة ، ويعكس الاهتمام بالتعليم ، وتطلع الآباء والامهات الى تعليم أولادهم حتى التعليم الجامعى مدى التغير الذى حدث فى مصر ، وتغير قيم المجتمع الزراعى ، حتى ان بعض الآباء قد يبيع ما يملك من أرض زراعية للصرف على ما يستلزمه تعليم الابن أو الابنة فى عاصمة المحافظة أو عندما يغادر القرية للالتحاق بالجامعة • وهذا التقدير لاهمية التعليم يعبر عما طـرأ من تغير على قيمة العمل الزراعى ، فالتعليم جسر الى عمل جديد ، كما يعبر عما عاناه الوالدان من حرمان ، ورغبة فى تعويض ما فاتهم فى طفولتهم وصباهم فى شخص أولادهم •

الا أن التطلع الى تعليم الاولاد، لا يعنى عند بعض الاسر الريفية والبدوية التضحية بالعائد الاقتصادى من تشغيل الصبية فى سبيل ما يتوقع من أجر يعود من وراء العمل الفنى أو الادارى ، اذ بينت لنا دراسة السيد عبد العاطى (١) ، أن بعض الاسر الريفية لا تزال تؤكد على الدور الاقتصادى للطفل الصغير فى العمل الزراعى ، حتى ان كثيرا من الاسر تدفع الطفل الى مجال العمل فى سن مبكرة مضحية بتعليم أولادها حتى مرحلة متقدمة ، وبجانب ذلك بين السيد عبد العاطى أن رغبة الاسر فى حصول أولادها على شهادة وما يقتضى ذلك من انتظام فى التعليم أهم من التدريب عـلى شئون المنزل • وهذه الاسر الريفية الفقيرة ، أن ضحت مقابل تعليم الابن أو الابنة

---

(١) السيد عبد العاطى : احتياجات الطفولة فى المجتمعات الريفية البدوية • المرجع السابق •

فبسبب فقرها ، لكنها قد لا تواصل التضحية حتى نهاية الشوط ، ولا تتطلع الى نيل ابنها شهادة عالية ، فأقصى ما تطلع له بعض الاسر الفقيرة هو نيل ابنها شهادة متوسطة تمكنة من العمل الحكومى ٠

ويمكن لنا أن نقول فيما يتعلق بالتطلعات الوالدية لمستقبل الابناء ان هناك اتجاها ناميا يؤكد على ضرورة الاهتمام بمستقبل البنت والولد معا ، وان اختلفت التطلعات بالنسبة لكل منهما ٠ فالاهتمام بمستقبل الابن وحده لم يعد أهم ما يشغل فكر الوالدين ٠

ولكن من المسئول عن التربية ، وهل السلطة الوالدية للاب تنصرف بجانب توفير الدخل المناسب لاعاشة الاسرة الى تربية الاولاد ، أم يعطى الام حق الانفراد بهذه الوظيفة ٠

٦ ــ مسئولية التربية :

يؤثر المناخ الذى يعيش فيه الطفل أو الصبى فى توحده مع القيم والمعايير السائدة ، مثل التعاون الاسرى أو تسلط أحد الابوين ٠ وينعكس المناخ الاسرى على شخصية الابن وسلوكه ، وايمانه بسيادة جنس على آخر ، أو المساواة والتعاون بينهما ، وقد كشفت بعض البحوث الميدانية أن الطفل ينظر عادة الى الاب كمصدر للسلطة (١) ، وهو الذى يتحكم فى مصير أفراد أسرته ، وهذا الاتجاه يزداد فى الريف عنه فى الحضر ، اذا كان هذا الاب هو مصدر السلطة ، فانه فى الوقت نفسه يكلف الام مسئولية تربية أولادهما وتوجيههم ، وعليها أن تتصرف فى أمور الابناء ، الا اذا عجزت عن تقويم المنحرف منهم ٠ فعليها أن تؤجل ذلك لحين حضور الاب ٠ والام المتفرغة بحكم ملازمتها للاولاد فى البيت ، وانصراف الاب عن البيت تعتبر مسئولة عن تربية الاولاد وتأديبهم ٠

---

(١) انتصار يونس : الاسرة وسلوك الطفل ٠ المرجع السابق ص ٨٥ ٠

واذا كانت بعض الاسر ترى أن مسئولية التربية تلقى عـلى الام وحدها ، فهناك مجموعة من الاسر (١)٠ ترى أن مسئولية التنشئة مشتركة بين الام والاب ، وهذا الاتجاه أقوى ما يكون بين أسر الامهات العاملات والزوجات الصغيرات السن ، ولافرق بين الاتجاه الجديد بين الآباء القرويين والاباء فى المنطقة المحرومة فى مدينة المنيا فى تأكيد المسئولية المشتركة فى تربية الاولاد وانها حق مشترك بين الزوجين٠ والاشتراك فى مسئولية تربية الاولاد هى التى تدفع الاب فى البحرين ، والكويت ، كما بينا ـ الى المساهمة برأيه فى تنظيم أسلوب الرضاعة ٠ وهناك مجموعة ثالثة تقصر حق تربية الاولاد على الزوجة ، وهى مجموعة قليلة ، تجد معارضة قوية ، وقد عبرت الامثـال الفلكولورية عن السخرية مـن النساء التى تنفـرد بتربية أولادها (عمر النسا ما تربى عجل ويفلح) ٠

هذا الاتجاه الذى يؤكد المشاركة بين الزوجين فى التربية ، يعبـر عـن ديمقراطية أسرية ، ولكنها ديمقراطية مشيدة من زجاج ، فاذا ما توترت العلاقات واختلف الوالـدان فى تربية أولادهما ٠ وهـذا ما يحدث أحيانـا ، فسيطـرة الاب على أمور الاسرة أمر واقع ، فهو الذى يفرض رأيه ، ويستبد به ٠

أما لماذا يشترك الاب والام فى التربية الاسرية ، فهناك أسباب عديدة أهمها استقلال الاسرة الزواجية وانفصالهما عن العائلة فى مسكن مستقل ، مما يحمـل الزوجين أعباء جديدة ، ويؤثر فى تقوية الروابط الزواجية ، كما أن تعليـم الزوجين زاد من شعورهما بالمسئولية المشتركة لامور الاسرة ٠

---

(١) عايدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية ٠ دراسـة فى المجتمعات الريفية والحضرية ٠ المرجع السابق ٠ محمد سعيد فـرح : دراسـات فـى المجتمع المصرى ٠ الفصل الثالث ٠ المرجع السابق ٠

وتتفق انتصار يونس مع هشام شرابى (١) ، على أن تصرف الوالدين ازاء سلوك الطفل وحكمهما على أفعاله مستمد من الرأى الاجتماعى والاحكام الاخلاقية السائدة فى البيئة ، أكثر من اعتمادهما على فهم سلوك الاطفال ودوافع هذا السلوك . كما تدعم دراسة انتصار رأى هشام فى أن معاملة الاسرة للطفل تفتقد لخطة تربوية ، ذات أهداف معينة ، بقدر ما ترتبط بمعنى الموقف الاجتماعى ، ومدى ايمان الوالدين بقيم معينة ، ومدى قبول المجتمع أو رفضه للسلوك الصادر عن الطفل . فمعاملة الوالدين لاولادهما فى مجتمعاتنا اجتهاد فردى فى تفسير السلوك تستند غالبا على الاساليب التربوية المتوارثة من الجدات ، والآراء والقيم السائدة فى البيئة .

الآن وبعد أن شرحنا السلطة الوالدية ازاء تربية الابن نحاول أن ندرس أثر التليفزيون على أطفالنا لما لهذا الجهاز من أثر واضح على الصغار .

٧ ـ التليفزيون والطفل :

التليفزيون وسيلة هامة من وسائل الاتصال الجماهيرى ، لسعة انتشاره واعتماده على الكلمة المسموعة والصورة المرئية . ويعتبر جهاز التليفزيون أداة هامة للتعليم المباشر ، اذ ينقل باستمرار الى الصغار معلومات جديدة وشيقة كما أنه جهاز قادر على التثقيف والترفيه فى الوقت نفسه . ومن ثم يستطيع أن يؤثر على عقلية الطفل ووجدانه .

ويعرض هذا الجهاز برامج يومية تجذب الصغار ، وتشد انتباههم ، وتعمل هذه البرامج التليفزيونية المتنوعة على اقناع الصغار والسيطرة على مشاعرهم وتفكيرهم ، فالطفل يشاهد على الشاشة الصغيرة برامج عن النظافة وآداب المائدة

---

(١) انتصار يونس : « الاسرة وسلوك الطفل » المرجع السابق + هشام شرابى مقدمات لدراسة المجتمع العربى . المرجع السابق .

وفوائد التغذية ، كما تبث الشاشة الصغيرة عادات جديدة عما ينبغـى أن يسلكه الصغير عندما يتعامل مع الكبار ، كما يعرض أفلاما بوليسية تبـين حفظ الامـن واحترام القانون ، كما تقدم برامج عن الشخصيات المؤثرة فى حركة التاريخ كقدوة حسنة • ويشاهد الاطفال البرامج الدينية التى تنمى عندهم الشعور الدينـى ، ويمكن أن تبث قيم جديدة من خلال هذه البرامج ، تساعد عـلى تعديـل السلوك المرذول ، والتبشير بعادات جديدة ، فهى وسائل تساعد على تطور أخلاق الطفل ، ومنبع لاشكال جديدة من السلوك فعندما يجلس الطفل أمام الشاشة الصغيرة ليشاهد ويسمع ويلاحظ تصرفات وسلوك الذين يتحركون أمامه ، فهو يتعلم نماذج جديدة للسلوك (١) • ، قد تدعم أشكال السلوك السائدة ، أو تبشر لاشكال جديدة من السلوك المقبول والمتوافق مع معايير المجتمع ، أو تبث قيما وأراء وأشكالا جديدة للسلوك تتعارض بل تتصارع مع قيم الجماعة •

ولقد جذب تأثير التليفزيون على الطفل اهتمام بعض الباحثين العرب ، فى العراق ومصر والكويت ، وقد قامت محاسن رضا (٢) • ، بدراسة ١٤٠ طفلا فى الكويت لمعرفة كيف يسهم التليفزيون فى تنمية معلومات الاطفال وأفكارهم ولغتهم ومهاراتهم واتجاهاتهم • وقد بينت لنا محاسن رضا أن معظم الاطفال فى الكويت يقبلون على مشاهدة الرسوم المتحركة ، كما تجذب برامج الاطفال العربية ، مثل برنامج (ماما أنيسة والصغار) انتباه نسبة كبيرة منهم ويأتى فى المرتبة الثالثة البرامج الاجنبية ، اذ نجد اقبالا من الطفل الكويتى على مشاهدتها ، رغم أنها تبث أفكارا وعادات وقيما تختلف عما هو سائد فى المجتمع الكويتى ، كما أنها لا تعنى

---

(1) Maccoby, Eleanor. Moral values and Behavior in childhood. in clausen. J (ed) Socialization and society. op cit, p. 242.

(٢) محاسن رضا أحمد : التنشئة الثقافية والمعرفية لطفل مـا قبل المدرسـة الابتدائية الطفل والتليفزيون • دولة الكويت • جمعية المعلمين الكويتية مارس ١٩٧٨ •

اطلاقا بمشكلات المجتمع الكويتى ، ولا تراعى قيمه ، بل قد تخدشها ، كما يقبل الاطفال على مشاهدة المسلسلات العربية والتمثيليات ولكن بنسبة أقل ، الا أن النتيجة غير المتوقعة كانت انصراف الاطفال فى الكويت عن مشاهدة البرامج الدينية • وربما يرجع ذلك الى أن اخراج هذه البرامج لا يتمشى مع عقلية الصغير ، وربما عرضها فى مواعيد لا تلائمهم • والامر الملفت حقا هو أن الوالدين يرغبان أن يشاهد أولادهما الرسوم المتحركة وبرنامج الاطفال سواء العربية أو الاجنبية ثم البرامج الثقافية ، وهم يعارضون جلوس أولادهم لمشاهدة المسلسلات الاجنبية والمسلسلات والافلام العربية •

وقد بينت لنا دراسة محاسن رضا أن نسبة الاطفال الذين يشاهدون الشاشة الصغيرة لساعات تتأخر عن الوقت المناسب لنومهم تزيد عن ضعف نسبة الاطفال الذين يجلسون أمام التليفزيون ليشاهدوا برامجه فى الساعات المحددة قبل الذهاب الى الفراش • وقد تبين أن الطفل الكويتى يجلس أمام شاشة التليفزيون حوالى ساعتين وربع الساعة فى المتوسط أى حوالى سدس عدد ساعات اليقظة ــ الا أن هناك عددا من الاطفال يشذون عن المألوف ، فهم يشاهدون برامج التليفزيون لمدة تتراوح بين خمس أو ست ساعات يوميا •

وقد أشارت محاسن الى أن أهم الاسباب التى تدفع الكبار الى حث أولادهم على مشاهدة برامج التليفزيون هى :

تزويد الطفل بالمعلومات الجديدة ، ثم الترفيه عن الطفل ، ثم تنمية قدرات الطفل العقلية ، ويأتى فى المرتبة الرابعة اكساب الطفل العادات والقيم المرغوبة، وينال هذا السبب تأييد ثمن الآباء والامهات • وهذا يعنى أن الاب فى الكويت يهتم بترفيه الابن أكثر مما يهتم بتنمية قدراته العقلية ، واكتساب العادات الجديدة ، أما أهم أسباب حجب الصغار عن الجلوس أمام الشاشة فهى أولا اكساب الطفل عادات منافية لعادات المجتمع الكويتى ، ثم عدم تناسب هذه البرامج مع مستوى تفكير الطفل ، ثم اثارة الطفل • فالسبب الرئيسى لرفض البرامج التليفزيونية أنها غير هادفة ، وتتعارض مع طباع المجتمع الكويتى وعاداته •

وقد قام احسان الحسن (١) ٠ ، بدراسة ثانية عـن التليفزيون وأثـاره الاجتماعية والنفسية على الاطفال فى العراق ، وقد بين احسان أن الاحصاءات تبين أن أبناء الطبقة العاملة يشاهدون أجهزة التليفزيون أكثر من أبناء الطبقة الوسطى فى العراق ، اذ أن عائلات العمال لا تحدد وقتا لمشاهدة التليفزيون ، فهى تترك الجهاز مفتوحا حتى ولو كان أولادها يؤدون واجباتهم المدرسية ، مخالفين بذلك بعض عائلات الطبقة الوسطى التى تمنع أطفالها التلاميذ من مشاهدة الشاشـة الصغيرة أثناء أداء الواجبات المدرسية٠ويمكن أن نقول استنادا على مشاهداتنا أن ذلك لا يختلف عمـا يحدث فـى مصر ،اذ أننا كلما نزلنا فى السلم الاجتماعى كلما ازدادت حالات مشاهدة التليفزيون ، فهذه الاسر الفقيرة ، لو امتلكت الجهاز تسرف فى استعماله على نحو سيء ، وتترك الجهاز مفتوحا ، حتى وان لم يشاهده أحد من الكبار ، مما يتيح الفرصة للصغار من أبناء الاسرة وأصدقائهم أن يجلسوا أمام الجهاز ومشاهدة ما يعرض ولو على حساب دروسهم ٠

دراسة ثالثة قامت بها نادية شكرى عن أثر التليفزيون فى تلاميذ المدارس الابتدائية (٢) قدمتها للحصول على درجة الماجستير من جامعة عين شمس ٠ وقد توصلت الباحثة الى بعض النتائج التى يمكن أن نعرضها على النحو الآتى :

١ ـ أن الاطفال يفضلون مشاهدة البرامج عن قراءة القصص أو سماع الراديو أو أى نشاط آخـر ٠

٢ ـ أن الاب أو الام أحدهما أو كلاهما يحددان للطفل الوقت والبرامج التـى يشاهدها ٠

---

(١) احسان محمد الحسن : آثار التليفزيون الاجتماعية والنفسية على الاطفال ٠ بغداد مجلة الجامعة المستنصرية ، بغداد العدد الثالث ٠ السنة السادسـة ١٩٧٢ ص ١٥٤ ـ ١٦٣ ٠

(٢) نادية شكرى يعقوب : أثر التليفزيون فى تلاميذ المدارس الابتدائية ٠ دراسة اجتماعية ميدانية بين تلاميذ المدارس الابتدائية ٠ رسالة ماجستير القاهرة جامعة عين شمس كلية البنات ١٩٦٧ ٠

٣ - الكثرة من أسر التلاميذ يمنعون التلاميذ الصغار من مشاهدة البرامج التليفزيونية أثناء وقت الاستذكار ٠

٤ - يشاهد تلاميذ المدارس الابتدائية فى صحبة والديهم ، وان كان الوالدان لا يشرحان للطفل ما تعرضه الشاشة ٠

٥ - يكثر تلاميذ الصفوف الاربعة الاولى من مشاهدة التليفزيون بلا توجيه أو ارشاد من الوالدين الذين يعتقدون أن الاطفال يقضون وقتا من الفراغ ٠

٦ - يؤثر مستوى تعليم الوالدين فى تحديد عدد ساعات مشاهدة الصغير للجهاز، وتحديد الوقت المناسب للجلوس أمام الشاشة ٠

٧ - لا رقيب على أبناء الطبقة العاملة اذا ما جلسوا أمام الشاشة فهم يستطيعون مشاهدة كل ما تعرضه الشاشة ٠

٨ - يشاهد الاطفال الذين لا تمتلك أسرهم جهاز التليفزيون عند الجيران ، والاقارب ٠

٩ - يشاهد أغلب تلاميذ الصفوف الاخيرة البرامج التليفزيونية أيام العطلة ، بعكس حال تلاميذ الصفوف الاولى الذين يشاهدون البرامج كل يوم ٠

١٠- تحدد بعض أسر التلاميذ وقت مشاهدة البرامج ، اما بعد استذكار الدروس واما قبل الاستذكار ٠

وقد تضمنت الدراسة المسحية الشاملة لاحتياجات الطفولة فى مصر جزءا عن آثار التليفزيون على الاطفال (١) ٠ ، وقد بينت المعلومات التى حصل عليها فريق البحث أن الاطفال فى الحضر أكثر حظا فى مشاهدة برامج التليفزيون من الاطفال فى الريف ، وتقترب هذه النتيجه التى وصلت الدراسة المسحية على مستوى

---

(١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية : بحث احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربية المرجع السابع ٠ ص ٢٠٣ ٠

جمهورية مصر،مع دراسة سعيد فرح على مستوى محافظة المنيا(١)، اذبينتالمعلومات التى جمعهاالباحث أنالاطفال المدينة أكثر استمتاعا بمشاهدة البرامج التليفزيونية من أبناء القرية ، وحتى القرى التى دخلتها الكهرباء يشاهد أطفال الاسر الموسرة بها البرامج التليفزيونية أكثر من غيرهم، ورغم ذلك فعدد هؤلاء ونسبتهم تقل عن نسبة أطفال المدينة الذين يجلسون كثيرا أمام الشاشة الصغيرة ، أما أطفال القرية المحرومة من الكهرباء ، ويعانى أهلها كثيرا من الحرمان المادى ، فاطفالها لم يشاهدوا بعد ما يعرض على شاشة التليفزيون ٠

وبعد أن عرضنا لاثر التليفزيون على الطفل ، باعتباره أحدث المخترعات التكنولوجية التى تؤتى آثارها السلبية والايجابية على الطفل، فنتقدم الى الخطوة الاخيرة ونعرض لاساليب التنشئة المتغيرة فى العالم العربى ٠

٨ ـ أساليب التنشئة فى مجتمع متغير :

تسعى عملية التنشئة الاجتماعية عادة أن تتوافق مع التغير الاجتماعى ، ويهدف المجتمع بعد التغير وفى أثنائه الى البحث عن أساليب جديدة للتنشئة الاجتماعية تتوافق مع التغير الحادث فى البناء الفوقى والبناء التحتى ، لاعداد الابناء لحياة أفضل فى المستقبل ٠ كما يتوقعه الوالدان فالآباء والامهات الذين يعايشون التغير فى العالم العربى يبحثون عن أساليب أفضل لتنشئة الابناء ، وتوجيههم الى المستقبل ٠ ومن ثم فالتغير السريع الذى طرأ على الدول العربية استلزم تغيرا مماثلا فى أساليب التنشئة لتحقيق التكيف الاجتماعى للابناء ٠ اذ أن أساليب التنشئة فى المجتمع التقليدى المستقر تختلف عن أساليب التنشئة فى المجتمع المتغير ، فالاولى تتميز بالجمود وتساعد على تقارب السلوك وتخليد قيم الاجداد ٠ أما أساليب التنشئة فى المجتمع المتغير ، فمتجددة تعكس تحرر الآباء من الاساليب التى ربوا عليها ، وهم لا يخلدون نماذج السلوك التى نشئوا عليها بسبب الشك فى جدواها ٠

---

(١) محمد سعيد فرح : دراسات فى المجتمع المصرى ٠ المرجع السابق ٠

وقدبينت الدراسة التىأجراها سعيد فرح فىمدينة الاسكندرية(١) عدماجماع الامهات على أساليب موحدة لتنشئة الابناء ، وعدم اتفاقهن على أساليب مشتركة لتوجيه سلوك الصغار • وأن هناك اتجاها قويا من الامهات يؤكد أهمية تغيير أساليب التنشئة ، وأن الاساليب التى نشئن عليها لم تعد صالحة لتوجيه الابناء الى المستقبل حسبما يبدو هذا المستقبل أمام أعينهن • وكما أظهرت الدراسة أن ثمة خلافا بين الاساليب المتبعة حاليا والاساليب التى ربيت عليها الامهات فيما يتعلق بالتعود على الاحساس بالمسئولية والمساواة بين الجنسين والنظرة الى التعليم وتقدير العمل • فاغلبية الامهات اللاتى سئلن يختلفن عن أمهاتهن فى تعويد الابناء على المسؤلية وتقدير العمل •

ولقد أوضحت لنا عايدة عبد اللطيف فى دراستها لمدينة المنيا (٢) ريفها ومناطقها المتخلفة أن ثمة قيما ما زالت راسخة فى الريف بمدينة المنيا والمنطقة المتخلفة بها • وثمة قيما بدأت تندثر وتتوارى ، كما ظهرت قيم جديدة وهذه القيم أكثر وضوحا بين المهاجرين الى المدينة وسكان المنطقة المتخلفة من القرويين المستقرين فى القرية • وقد أكدت دراسة عايدة أن هناك اتجاها ناميا نحو ضرورة احترام الممتلكات العامة وممتلكات الآخرين وكيفية المحافظة عليها ، وهذا الاسلوب فى توجيه الابناء أقوى فى المدينة عنه فى الريف • كذلك ففقراء المدينة أكثر اهتماما من القرويين بتعويد أولادهم على ضرورة احترام المواعيد وتنظيم الوقت ، وتعويد الذكور المشاركة فى أعمال البيت ، وأن هذا السلوك لا يهدم معنى الرجولة • أما قيم الادخار ، والحد من الانفاق فلا زالت هذه القيم لا تجد قبولا بين سكان المنطقة المحرومة والريف ، ولا يعنى هذا قبول بعض سكان المنطقة المتخلفةفى

---

(١) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعى والشخصية • المرجع السابق •

(٢) عايدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية دراسة فى المجتمعات الريفية الحضرية • المرجع السابق •

المدينة تسلط هذه القيم أو سيادتها ، ولكنها تنازع القيم القديمة ، ولكن فوائد القيم الجديدة ، وما تؤتى به من نفع هو ما سيؤدى الى تغلبها ·

كذلك يتفق سعيد فرح (١) · ، مع نتائج عايدة ، اذ بينت دراسته لاحتياجات الطفولة فى مدينة المنيا والريف المحيط بها · ان الآباء والامهات يؤمنون بأن الاساليب المتوارثة فى تربية الاولاد لم تعد صالحة لمجتمع الغد ، وان هذا الايمان يسود الريف والمدينة، ولكنه أقوى فى الريف من المدينة ، فلم يعد الآباء والامهات يربون أولادهم وفق القيم التى نشأوا عليها ، كما أن هناك أغلبية من الآباء والامهات لا تقتدى بأساليب الاهل فى التميز بين الولد والبنت فى التعليم والعمل ، ولا ترضى عن طريقة الاهل فى تعويد الابناء على التبعية كما ترفض أن يرث الابن مهنة الاب ·

وقد بينت أبحاث اعادة بناء الانسان المصرى (٢) · ، أن التغيرات الحضرية ، والحراك الاجتماعى والمكانى والاقتصادى والتعليمى ، كلها عوامل اضعفت من تأثير القيم التقليدية المنتشرة فى الريف ، وأثرت على استبدال أساليب التنشئة الجديدة بالاساليب القديمة المتوارثة ·

ورغم أن التعليم فى مصر يعكس قيما وسياسات لا تتناسب معروح العصر ، وقصور المدرسة عن أداء رسالتها على الوجه الاكمل (٣) · فمما لا ريب فيه

---

(١) محمد سعيد فرح : احتياجات الطفولة فى المنيا · المرجع السابق ·

(٢) جامعة الاسكندرية ، أبحاث اعادة البناء للانسان المصرى ·
التقرير الاول الطفل المصرى فى اطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ·
المرجع السابق ·

(٣) نفس المرجع ·

ان التعليم كان عاملا هاما فى دفع الآباء والامهات لقبول الاساليب الجديدة فى التنشئة . يؤكد ذلك أن أساليب التنشئة التقليدية المتوارثة من الامهات والجدات ، أكثر شيوعا بين الامهات الكبيرات السن أو الاميات ، أما الاساليب الجديدة فى التنشئة فأكثر انتشارا بين الامهات المتعلمات وصغيرات السن (١) ، وقد أكدت لنا أنعام أن التعليم ساعد على تقبل الامهات لاساليب التنشئة الجديدة .

ولقد أكد زكى اسماعيل فى دراسته لمجتمع الشيلك فى السودان أهمية التعليم فى تغيير هذا المجتمع (٢) ، اذ ساعد التعليم على نقل انماط حضارية جديدة . تختلف عن الانماط البدائية السائدة فى الشيلك ، كما حقق لهم فرص الحراك .. فالمدرسة قد هزت البناء القبلى من جذوره وغيرت من اسلوب حياة الوطنيين، وعدلت من التوقعات الوالدية ، وساهمت فى تكوين أنماط سلوكية جديدة . فالذهاب والعودة الى المدرسة يوميا فى مواعيد منتظمة . وخضوع الابن أثناء اليوم المدرسى لنظام تربوى صارم لم يكن معهودا من قبل يغير من سلوكه . كذلك يصرف الاسرة عن الاعتماد على أولادها من التلاميذ فى الزراعة أو الرعى ، مما يغير من أنماط الحياة التقليدية. وقد لاحظ زكى اسماعيل أن الذين يعيشون التغير فى الشيلك هم الذين تلقوا ولو قدرا من التعليم .

وهكذا يمكن أن نقول ان الصراع بين أساليب التنشئة القديمة وأساليب التنشئة الجديدة يفجره الى حد ما التعليم الذى ينتشر يوما بعد يوم ، حتى تسود القيم التى تناسب المجتمع المتغير .

---

(١) انعام عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة . المرجع السابق .

(٢) زكى اسماعيل : التربية والبناء الاجتماعى . المرجع السابق .

خاتمـــــة :

وتكشف لنا الدراسات التجريبية العديدة المهتمة بالطفل ، وأساليب التنشئة الوالدية ، ان بعض هذه الدراسات تعبر عن جهود فردية ، كما أن بعض منها انطلق فى تفسيره ، وتحليله للاساليب الوالدية فى معاملة الاطفال معتمدا عـلى نظريات غربية فانعام عبد الجواد استندت على منهج المادية التاريخية (١) ٠ مع عدم تمثلها وتشريحها لقوى المجتمع المصرى ، كذلك اعتمدت نسرين عند دراســة علاقة طرق تربية الطفل ببعض مظاهر الطفل السلوكية فى العراق - اعتمدت على - سـيرز وبرزثرو ٠

ولقد أغفلت أغلب هذه الدراسات الميدانية الطابع المميز للبناء الاجتماعى فى البلدان العربية ، وتباين التقاليد والعقيدة والتاريخ والوضع الاقتصادى والمستوى التكنولوجى فى هذه البلدان ، عن البلدان التى استوردوا منها هذه النظريات التى يفسرون بها أساليب التنشئــة الوالدية أو ســلوك الطفل ، كما أن معظـم هــذه الدراسات الميدانية درست الطفل بمعزل عن النسق الاقتصادى المتغـير فى العالـم العربى ٠

ولقد أبانت هذه الدراسات الحقلية أن بلدان العالم العربى ، تعايش عملية تغـير ، تتفاوت شدته من بلد عربى لآخر ، كما تتباين قـوة هـذا التغـير داخل الوطن الواحد ، ولقد كشفت لنا هذه الدراسات الحقلية عـدم اجمـاع الامهـات والآباء على أساليب موحدة لتنشئة الصغار ، سواء على مستوى الوطن العربى أم على مستوى البلد الواحد ، فقد وضح لنا تغير أساليب الرضاعة والفطام ٠ فهناك أمهات يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية ، ومجموعة ثانية من الامهات ترضع أطفالها رضاعة

---

(١) أنعام عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة ٠ المرجع السابق ٠ ص ٨ ٠

صناعية ، ومجموعة ثالثة تجمع بـين الرضاعة الطبيعيـة والرضاعة الصناعية ، ووجدنا أمهات يفطمن أولادهن فطاما فجائيا يحمل كل القسوة والغلظة ، وأمهات اخريات يفطمن أولادهن فطاما تدريجيا، كما وجدنا تغير أساليب الرضاعة والفطام حسب تغير نمط حياة الاسرة ودخلها ، كما تتغير أساليب الرضاعة والفطـام تبعـا للحالة التعليمية أو المهنية للاب والام ٠

كما أبانت لنا الدراسات الميدانية المتاحة أن هناك اتجاها ناميا يؤكد التربية الاستقلالية للابناء ، ولكن نمط العلاقة الشائع بين الطفل والراشد، سواء الذكـر أم الانثى وسواء فى الريف أو الحضر ، هو علاقة التبعية ، فالطفل لا يعامل باعتباره رجل الجيل التالى بل ينظر اليه باعتباره انسانا قاصرا ، يجب أن يقوم بالحزم ، وأن يعتمد على الكبير باستمرار ٠

كما كشفت هذه الدراسات عن طبيعة مكانة الابنة والابن ، اذ أن الابن الذكر مميز عند كثير من الاسر ، رغم وجود بعض الاسر التى لا تؤمن بهذا التميز وتمييز الذكر فى مجتمعنا يرجع الى التراث الثقافى الذى يعلى من قيمة الولد الاقتصادية فهو مورد الرزق ، وحافظ ميراث الاسرة ولا تتميز الابنة الا اذا كانت جميلة أو وحيدة ، كما يميز الكبير عن الصغير ، كما يدلل أصغر الابنـاء من اخوته فهـو « آخـر العنقود » ٠

وأظهرت لنا الدراسات الحقلية تباين التطلعات الوالدية ، سواء فـى الريف أو الحضر ، وسواء بين المتعلمين أم غير المتعلمين ، كما وضح لنا تفاوت التطلعات الوالدية ازاء مستقبل الابناء التعليمى والمهنى والزواجـى ، كذلك بينت لنـا الدراسات أن هناك ثلاثة اتجاهات فيما يتعلق بالمسئولية الوالدية نحو الابنـاء ، فهناك اتجاه يؤكد انفراد الام بتربية الاولاد ، وهناك اتجاه ثان يؤكد مسئولية الاب وحده فى تربية صغاره ، واتجاه ثالث يؤكد المشاركة الوالدية فى توجيه الصغار كذلك وضح لنا تباين تاثيرات المؤثرات السمعية والبصرية ، وتفاوت الدور التربوى للتليفزيون من جماعة لاخرى ، سواء فى مصر أو العراق أو الكويت كما ظهر لنا

تباين موقف الآباء والامهات ازاء عدوان الابناء على الاخوة والاقارب والممتلكات الخاصة بالاسرة أو الغرباء .

ماذا يعنى هذا كله ؟

الحقيقة أن العلاقة بين الوالدين والاطفال فى بعض الاسر تخضع لبعد أساسى ،هو مدى التغير الاجتماعى ، فعندما يعايش هؤلاء الآباء والامهات تجربة التغير معايشة قوية ، فانهم ينقلون الى أطفالهم مضمون تلك التجربة والمعتقدات والقيم التى يعايشونها ، والتى تتباين عن المعتقدات والقيم والتجارب التى نشأوا عليها ، والتى ينقلونها بدورهم فى الوقت نفسه الى أولادهم ، ان عدم تجانس ما يدمج فى شخصيات الابناء ، يولد الصراع ويكون حالة ازدواج القيم عند الصغار ، كما يلهب الصراعات بين الآباء والابناء ، ويحد من السلطة الوالدية ، كما يؤدى الى الخلط بين الحقوق والواجبات المرتبطة بالمراكز والادوار الاسرية .

وتظهر هذه الدراسات الحقلية أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية أثرت على وعى الام الصغيرة السن بدورها الجديد،وخاصة الامهات المتعلمات والامهات العاملات وان تفاوتت درجة هذا الوعى بين الامهات تبعا لدرجة تعليمهن، ومكانتهن فى النسق المهنى، كما تبين أن الآباء والامهات فى الوطن العربى يجمعون فى معاملة أولادهن بين الاساليب المتوارثة والاساليب الجديدة ، ومن ثم فالاسرة العربية - باعتبارها مجالا تمارس فيه تنشئة الصغار - ليست نسقا منعزلا عن أنساق البناء الاجتماعى، ولكنها تعايش التغير الاجتماعى والاقتصادى ولو بدرجات متفاوتة ، وهى تؤثر و تتأثر بالانساق الاجتماعية الاخرى، فان كان تأثير الانساق الاقتصادية والتعليمية والسياسية والترفيهية واضحا على الاسرة ووظائفها وحجمها ، فان تأثير الاسرة على هذه الانساق يتضح من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، عندما تدمج الاسرة فى شخصيات أولادها قيما تساعد على التكيف الاجتماعى، واستمرار البناء أو تدمج فى شخصيات أولادها قيما تتعارض مع القيم التى تبشر بها المناهج التعليمية الرسمية أو القيم التى تبثها أجهزة الاتصال . ولكن لماذا تتباين درجة تقبل التغير ، هل يعود ذلك الى الجهل الذى يرسخ فى أغلاله أكثر الامهات والآباء أم يعود الى المعاناة الاقتصادية التى

تعوق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، اننا لا نستطيع أن نرجع التمسك بالماضى، وتباطؤ سرعة التغير الى عامل واحد ، فهناك عوامل متشابكة اقتصادية واجتماعية وتاريخية ، وتراث ثقافى عتيق ، ساعدت كلها على اعاقة انتشار الاساليب الوالدية الجديدة ، وترسيخ الاساليب الوالدية المتوارثة التى لا تتمشى مع التغيرات الجديدة فى المجتمع .

ولما كانت التنشئة الاجتماعية عملية يقصد بها توحد أعضاء المجتمع مع القيم الثقافية ولما كانت كل ثقافة تحاول أن تنشأ أعضاءها حسب نمط القيم السائد ، فان المعلومات التى توفرت من الدراسات الحقلية توضح تباين أساليب التنشئة فى البلدان العربية ، واختلاف هذه الاساليب داخل البلدالواحد،فالمتعلمون والمتعلمات أكثر تقبلا للاساليب الوالدية الجديدة ،وأعضاء الجماعات الفقيرة لتى تعانى من الحرمان المادى أكثر عجزا عن تقبل الجديد ، كما أن الامهات والآباء صغار السن أكثر انجذابا نحو أساليب التنشئة الجديدة ، وأكثر اقتناعا بأن أساليب التنشئة الاجتماعية المتوارثة عن الاجداد لم تعد صالحة لاعداد الابناء اعدادا صالحا لاداء أدوارهم فى مجتمع تتغير فيه أدوات الانتاج ونظمه الاقتصادية ، والتعليمية والسياسية ، كما أن أساليب التنشئة فى الريف غيرها فى الحضر ، وهذا يؤكد لنا أن الاطفال فى الوطن العربى يعايشون ويواجهون حالة من « القيم المتشابهات »، ورغم أن هناك آباء وأمهات يسايرون التغير ، ولو بدرجات متفاوتة - ولهم نظرة مستقبلية عن الاساليب الملائمة لتنشئة الصغار ، فهناك آباء وأمهات يرفضون أساليب التنشئة الاجتماعية الجديدة ، وقد يرجع ذلك الى مشكلات قلة المال أو الى الجهل ، أو الى الايمان بقيم راسخة لا يمكن التخلى عنها ، مما يمنع ظهور أساليب تنشئة جديدة أو انبلاج قيم جديدة .

ان أهم ما أبانت عنه الدراسات الميدانية ، هو أن هناك اتجاها نحو تغير أساليب التنشئة الاجتماعية ، وتبدل وضع الطفل ، ولكن هناك خلافا فى الرأى حول تقييم هذا التغير ، هل الاساليب الجديدة أصلح من الاساليب المتوارثة عن الآباءوالاجداد والسلف الصالح، أماقتفاء أثرالاجداد فيتنشئة الصغار هوالاحسن.

واذا ما قبلنا تعريف عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها « التزاما أبويا لتوجيه الصغار نحو المستقبل » وانها عملية تتأثر بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى تطرأ على البناء الاجتماعى ، وأن تغير أساليب التنشئة الاجتماعية أمر ضرورى لاستمرار البنـاء وتوافقه ، فاننا نرفض استعارة الاساليب الوالدية من مجتمعات تختلف معنا فى المكان ، كما نتحفظ على التمسك بأساليب تربوية نختلف معها فى الزمان ، ونرى أن الاساليب الابوية فى توجيه الصغار ، تعكس التطاحن الفكـرى فى مجتمعاتنا ، وتباين المكانات التعليمية ، وتفاوت الامكانيات الاقتصادية ٠

المراجع

★ احسان محمد الحسن : آثار التليفزيون الاجتماعية والنفسية على الاطفال . بغداد . مجلة الجامعة المستنصرية . العدد الثالث سنة ١٩٧٢ .

★ انتصار يونس : الاسرة وسلوك الطفل . اعداد انتصار يونس وأحمد العادلى. مركز بحوث الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٧١ .

★ أنعام سيد عبد الجواد : تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة . رسالة ماجستير . القاهرة - جامعة عين شمس . كلية الآداب ١٩٧٤ .

★ بياجيه جان : الحكم الخلقى عند الطفل . ترجمة محمد خيرى حربى . القاهرة - مكتبة مصر . ١٩٥٦ .

★ جامعة الدول العربية : حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربى . التقرير النهائى . جامعة الدول العربية . الادارة الثقافية - بيروت سنة ١٩٧١ .

★ جامعة الدول العربية : ندوة تربية الطفل فى السنوات الست الاولى فى التقرير النهائى فى جامعة الدول العربية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ادارة التربية . الخرطوم . ١٩٧٧ .

★ جامعة الاسكندرية : الطفل المصرى فى اطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية. التقرير الاول لابحاث اعادة بناء الانسان المصرى ١٩٧٩ .

★ الحلقة الدراسية حول الطفولة والشباب فى التخطيط والانماء فى الدول العربية . بيروت ١٩٧٠ .

★ دوركيم أميل : التربية الاخلاقية . تأليف أميل دوركيم . ترجمة السيد محمد بدوى - القاهرة مكتبة مصر .

★ دوركيم أميـل : قواعـد المنهج فى علم الاجتماع • تاليف أميل دوركيم •
ترجمة محمد قاسم — القاهرة — مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ •

★ زكـى اسماعيل : التربية والبناء الاجتماعى • دراسة فى مجتمع بدائى — قبيلة الشلك رسالة دكتوراه • الاسكندرية •جامعة الاسكندرية• كلية الاداب ١٩٧٥ •

★ سيد عبد العاطى : احتياجات الطفولة فى المجتمعات الريفية والبدائية •
القاهرة — وزارة الزراعة • الادارة العامـة لتكوين وتنمية المجتمع ١٩٧٧ •

★ سـيد قطـب : هـذا الدين • القاهـــرة — دار الشروق •

★ عايـدة عبد اللطيف : التنشئة الاجتماعية — دراسة فى المجتمعات الريفية والحضرية • المنيا — جامعة المنيا — كلية الاداب ١٩٧٧ •

★ عبد المنعم المليحى : تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق •
القاهرة — دار المعارف ١٩٥٥ •

★ غسان يعقوب : تطور الطفل عند بياجيـه • بـيروت دار الكتاب العربـى ١٩٧٣ •

★ محاسن رضا أحمد : التنشئة الثقافية والمعرفة للطفل مـا قبـل المدرسـة الابتدائية • الطفل والتليفزيون • دولـة الكويت • جمعية المعلمـين الكويتية مارس ١٩٧٨ •

★ محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع • القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ •

★ محمد سعيد فـرح : البنا ءالاجتماعى والشخصية •
رسالة دكتوراه — جامعة الاسكندرية — كلية الاداب — ١٩٧١ •

★ محمد سعيد فرح : دراسة فى المجتمع المصرى • الاسكندرية • الهيئة العامة كللتاب ـ ١٩٧٦ •

★ محمـود حسـن : احتياجـات الطفولة فـى مجتمعات المساكن الاقتصاديـة بمحافظة الاسكندرية ـ جمعية الخدمـة الاجتماعية بالاسـكندرية ـ ١٩٧٧ •

★ محمـود عبد القـادر : الاساليب الشائعة للتنشئة فى الريف المصرى • دراسة مقارنة بين الريف والحضر • اعداد محمود عبد القادر والهام عفيفى • التقرير النهائى • موقف العدوان • المجلـة الاجتماعية القوميـة • المجلد ١٣ عدد ما يو ١٩٧٦ •

★ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : بحث احتياجات الطفولة فى ج•م•ع دراسة مسحية على مستوى الجمهورية ـ التقرير النهائـى القاهرة ١٩٧٤ •

★ مقداد يالجن بن محمد على : فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية • رسالة دكتوراه • جامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم ـ ١٩٧٥ •

★ المنظمة العربية للتعليم والثقافة (٥) : الاحصـاءات التربوية فـى الوطـن العربى ٧٤/١٩٧٥ القاهرة ـ ١٩٧٧ •

★ نادية شكرى يعقوب : أثر التليفزيون فى تلاميذ المدارس الابتدائية • دراسة اجتماعية ميدانية بين تلاميذ المدارس الابتدائية • رسالة ماجستير ـالقاهرةـ جامعة عين شمسـ كلية البناتـ ١٩٦٧ •

★ نجيب اسكندر : الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل • تأليف نجيب اسكندر وعماد اسماعيل • القاهرة ـ دار المعرفة ـ ١٩٥٩ •

★ نسرين العمـر : علاقة طرق تربية الطفل ببعض مظاهر الطفل السلوكية • بغداد ـ مجلة الجامعة المستنصرية • السنة الثالثة ـ العـدد الثالث ١٩٧٢ •

Whiting Beatrice. The Introduction. In B. whiting. Six cultures studies of child Rearing. N.y. Tohrn Wiley. 1963.

Whitin John : socialization process and Persoality. By charles Harrington and J. Whiting. In Hsu F. Psychological AnthropoLogy.

Whiting John : Contribution of Anthropology to the Method of studying child Rearing. By J. whiting & Beatriec whiting. In Paul Henry Mussen. Handbook of Research Methods in child developement op cit.

Wright Herbert : observational child study. In Mussen Pual (ed) Handbook of Research Methods in child developement opcit.

Yarrour Leon. Interviewing children. In Henry Mussen (ed) HandBook of Research Method in child developement. op. cit. .

Allport : Pattern and Growth in Personality. N. y. Holt Renehart and winston 1961.

Allport G : Personality & social Encounter. Beacon Press, Boston 1960.

Allport : Becoming; Basic consideration of psychology of personality. yale uni press N.y. 1960.

Ammar Hamed : Growing up in an Egyptain Village. Silwa province of Aswan. London. Routledge & Kegan Paul 1954.

Angrist Shirley : The study of sex Roles. Journal of social issues Vol xxV. Nom 1. 1969. P. 218.

Baldwin Alfred : Theories of child developement N.y. John Wiley & sons 1968.

Bell R. J : A reinterpretation of the direction & Effects in studies of socialization. In Danziger (ed). Reading in child socialization. oxFord Pergamon. Press 1970.

Berger Moore : The Arab World. To day. New Y. Doubleday 1962.

Charlas : HarringGton : Socialization Process and Personality, By charles HarringGton and John whiting. In francais Hsu : Psychological Anthropology New adition. Cambridge Massachusett. 1972.

Clausen J. : A Historical comparative view of socialization theory and sociatization. In clausen John (ed) Socialization and society. edtied B. John clausen. Boston. Little Brown and com 1968.

الفهرس

(تـم بحمـد الله)

طبع بمطبعـة التقـدم

٢١ شارع سيزوستريس ـ تليفون : ٨٠٦٠٥٤ الاسكندرية

٦١

